

# بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله كما حمد نفسه ، والصلاة والسلام على خير خلقه المصطفين خصوصاً خاتم المرسلين محمد وعلى أصحابه بدور الهداية وشموس الرشاد وآلهم ومن تبعهم على صراطهم المستقيم الى يوم الدين .

(وبعد) فلما ألف علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رسالته المسماة ( تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في اغلاله ) لم يذكر فيها نصوص كتاب « هذه هي الاغلال » بألفاظها ونصوصها بل اكتفى بذكر معانيها اختصاراً ، مشيراً إلى أرقام صفحاتها استقذاراً لها واحتقاراً ، ولكن دعت الحاجة لذكرها نصاً لأمرين ( أولهما ) قطع شغب المشاغب وجدل المجادل والمعاقد ، بدعوى أن الشيخ لم يفهم تلك النصوص فغلط فيها ( ثانياً ) أن تكون عمدة لمن ليس عنده الكتاب « الاغلال » في حكمه عليه وعلى صاحبه بنفسه .

وربما زدت شيئاً يوضح غرض الكتاب ومراعى مؤلفه وأهدافه التي يرمى إليها بعبارته الملتوية ونفاقه المقنع وجبنه عن الصراحة والصدق اللذين هما أهم سند الدعاة المصلحين الذين يريدون الخير لأنفسهم وللناس اجمعين . وهاك نصوص نصوصه وما أردت نقله وردّه .

آخر صفحة ١٥٦ وأول ١٥٧

( ويشهد لذهابه - يعنى النبي ﷺ - فى حب الجمال مذهب الكمال أنه كان دائماً يحتضن الطبيعة ويحنو عليها ويعمل على اجتلائها وعلى الخلوة بها )  
فهذا هو فهم الماديين الذين ينكرون ما وراء المادة من عالم الغيب كرب العالمين وملائكته ووحيه لصفوة خلقه وتصويرهم للنبوة والرسالة والوحى السماوى الذى يؤمن به أهل الأديان جميعا وينكره الماديون الدهريون.  
لخص الكاتب فكرهم بعبارات مقتضبة مبهمة مبرقعة - وسيأتى تبسيط فكرته فى غضون كتابه وإسفار وجهها مما لا تحتاج معه إلى استنتاج ، بل نقل النصوص بألفاظها كاف واف للحكم على مرأى الكاتب وأغراضه وأهدافه .

ثم وصف خروجه ليلاً إلى البقيع لزيارة قبوره ووصف حاله حينئذ فقال ( ص ١٥٧ )

« انه فى الصحراء انه ينجى السكون والظلام والنسيم والسماء . . . . انه يخاطب ماحوله بلغة هى فوق الحروف والالفاظ . إنها لغة تموت عندها الالفاظ والحروف . . انه يرى فى الكواكب فوق الاشراق والارتفاع والنظام والدوام فتمتلئ نفسه الكبيرة بهذه المعانى . ويذهب تصويره لها إلى أن رسالته يجب أن تشرق إشراقها وترتفع ارتفاعها ، وتدوم دوامها ، وتنتظم انتظامها ، انه يغمره من هذا الاشراق والانتظام والدوام ما يرفع عن نفسه الحدود والقيود والعوائق والموانع انه يقفل من هذا المشهد الرائع معتقداً أنه لا شئ يستطيع أن يقف فى طريق الجمال الذى تزود به مما شهد ورأى والذى قفل به ، عن أن يتم وعن أن يأخذ طريقه إلى الوجود ، انه رأى قرأ واحداً وسع نوره الكون ، وشهد

سواء واحدة قد أظلت الوجود وأنه الآن يرى قلباً واحداً يستطيع أن يتسع للوجود وأن يملأه ضياء وحرارة . . . . .

انه لا يستطيع فراق الطبيعة لانه لا يستطيع فراق الجمال . . . إن الليل والنهار والظلام والضياء والشمس والقمر والكواكب والنجوم والكسوف والخسوف والرعد والبرق والغيمة والصحور والرياح والنسائم والجبال والسهول والانهار والغدران وكل النبات والحيوان وكل ساكن ومتحرك ان كل شئ من هذا ليأخذ بلبه وببصره ويلهمه الجمال»

أما وحى السماء ونزول الروح الأمين على قلبه وقرآن منزل عليه من رب العالمين لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ولو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله أو بسورة منه ما فعلوا ولن يفعلوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، فهذا كله ليس له موضع في تفكير كاتب الأغلال ولا يستحق قليلاً ولا كثيراً من جهوده وعنايته التي وجهها لتقرير المذهب المادى وتوضيحه في كل مناسبة من كلامه وفي غير مناسبة كما سيأتى ذلك مبسطاً موضحاً .

أول ص ١٥٨

« لقد بدأ رسالته بالخلوة بالطبيعة ومناجاتها فوق غار حراء وختمها بمناجاتها أيضاً وهو في حجر عائشة بينما كان يجود بأنفاسه فلقد كان في تلك الساعة شاخصاً ببصره إلى السماء لا يحوله عنها هول ولا أهل ويقول ( اللهم الرفيق الأعلى )

ونقول للكاتبة : الرفيق الأعلى ليس هو الطبيعة ، وقصة زيارته ﷺ للبقيع كانت لزيارة القبور والسلام على الأموات المؤمنين فيه . وسؤاله الله تعالى الرفيق الأعلى كانت دعاء لله تعالى أن يلحقه بأهل الرفيق الأعلى من

الملأ الأعلى في أعلى جنات الفردوس التي هزأ بها الكاتب وبالمؤمنين بها آخر كتابه ، فرويداً حتى تمر به في حينه .

لهج الكاتب بذكر الطبيعة وتفريقها بين الانسان والحيوان (ص ٥٥- ٥٧) وقرر نظرية دارون الطبيعي الانكليزي « أن الانسان مترقّ عن الحيوانات التي دونه كالقروود ونحوهم » وليس مخلوقاً من تراب وطين مسنون كما أخبر الله بذلك في كتابه ، فقال ( ص ٤٧ )

« لا محالة من أن نتصور الانسان في بداية وجوده عارياً من كل معرفة كما كان عارياً من كل لباس ... »

واستنتج ذلك من حال الطفل يأتي إلى هذه الدنيا حيناً يأتي عارياً من جميع المعارف فقال

« وجاء إلى هذه الحياة — ولا مجال للجدل كيف جاء<sup>(١)</sup> — كما يجيء الأطفال اليوم على أحسن تقدير على أن من الواجب أن نعتقد أن هنالك فرقاً عظيماً من حيث الاستعداد والطاقة بين أطفال اليوم والانسان الأول لأن أطفال اليوم يحملون في دماهم تراث الآباء والاجداد كله بخلاف الانسان الأول الذي جاء لا يحمل معه سوى ماورث من منبته<sup>(٢)</sup> إن كان فيه ما يورث . نعم جاء إلى الحياة كما يجيء أطفال اليوم من حيث التجرد من كل معرفة ومن كل لباس لا يعرف لغة ولا كتابة ولا إشارة دلالة على الكلام »

ثم سار في وصف جهالات الانسان الأول ، وعدم فهمه للأمر

---

(١) لم يفصح الكاتب بما يعتقد في كيفية مجيء الانسان الأول أبي البشر جبنا منه عن الافصاح وإن كان قد لوح بذلك تلويحاً هو كالتصريح (٢) يريد أصله الحيواني الذي ترقى عنه .

حواله ، وفزعه من الرعد والبرق والريج وتزول المطر وجريان الانهار .  
ورعبه من الظلام ، وتخيله الأشباح المؤذية المهاجمة . الخ إلى أن قال (ص ٤٨)  
« فراح يعبد كل ما يرى أو يسمع عبادة ساذجة حقيرة ، فكان الانسان إذ  
ذاك يتلخص في شيئين : في الجهل المطلق لكل شيء وفي عبادة كل شيء متقلب  
مضطرب ونعود فنقول مرة أخرى إن أحسن وأصدق صورة ترسم للانسان في  
ذلك العهد هو الطفل من حيث العرى من كل لباس علمي وبدني »

ثم سار في شرح نظرية تطوره من الحيوانية إلى أن قدر أن يتفاهم  
بالأصوات التي لا مقاطع لها ولا معاني كالأطفال سواء حينما يلحون في  
طلب حوائجهم بالبكاء والصراخ فقال (ص ٤٩)

« ثم ترقى بقصد أو بغير قصد <sup>(١)</sup> بأن ذهب يتخذ لنفسه طريقة للتفاهم  
والتخاطب أفضل من التصويت المبهم فذهب يتخاطب بالإشارات والحركات —  
إلى أن ظفر بعد مالا يمكن تخيله من العناء والمشقة والزمان بما يصح أن يسمى  
أول لغة انسانية ذات مقاطع وحروف مفهومة . . . »

ثم شرح كيف اهتدى للكتابة والصناعات الخ . بما هو تطبيق لنظرية  
النشوء والارتقاء ، وخروج الانسان الاول آدم الذي خلقه الله بيديه وأسجد  
له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، خروجه من نحو القردة لا يفهم ولا  
يتكلم ، ويفزع من كل شيء ، ويعبد كل شيء مما حوله . الخ وقرأ من  
(ص ٤٧ — ٥٤) من أغلاله

هذا ومناقضة هذه النظرية لنصوص الديانات لا تخفى على من تأملها ،

---

(١) يعني ولا دخل للعناية الالهية ولا لهداية الرسل فأين قول الله تعالى ( ولو  
شاء الله لما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء ) (وعلم آدم الاسماء كلها)

وعرف ماجاء على السنة الرسل كلهم في كيفية خلق أبيهم وأيننا آدم ﷺ  
واسمع كلام أهل العلم الحديث الآن في هذه النظرية على لسان عالم من  
علماء الأحياء هو «لو كنت دى نوى» مؤلف كتاب «مصير الانسان» الذى  
قرظه الدكتور «روبرت مليكن» الحائز لجائزة «نوبل» فى علم الطبيعة بقوله  
«يأتى بالبراهين العلمية على زيف الفلسفة المادية ، ولست أعرف أحداً  
سبقه إلى هذا ، وما من أحد يستطيع حمل هذا العبء ما لم يتمرس بأحدث  
مكتشفات الرياضة والطبيعة والكيمياء وعلم الأحياء ووظائف الاعضاء .  
إنه رجل يبنى للحق فى العلم والدين ، وكتابه من القوة والسداد بحيث لا يتيسر  
مثله أكثر من مرة أو مرتين فى قرن واحد » اهـ

ويقول فيه «ملتون أورشفر» من كتاب صحف أمريكا الشهيرة « منذ  
وضع « دارون » نظريته فى التطور أخذ الشك فى قواعد الدين المسيحى  
— قلت : والاسلامى (١) — والموسوى — ينتشر وفتن الناس بأن يعدّوا  
الانسان وليد المصادفة فى عالم الأحياء ؛ وأن ينكروا وجود الروح وحريتها  
فى أن تختار بين الخير والشر ، وأن يروا الحياة شيئاً لا غرض له ولا معنى ،  
وأصر أهل الشك أن العلم قد صرع الدين

« بيد أنا نسمع اليوم صوتاً جديداً . صوت عالم ينادى بأن العقائد  
القديمة صحيحة كلها ، والداعية الجديد إلى الايمان بالله هو عالم من علماء الأحياء

---

(١) مع الفارق الكبير ، ان الشك الذى ترتب على نظرية دارون فى الدين  
الموسوى والمسيحى كان عاماً أو شبه عام ، أما فى الدين الاسلامى فكان خاصاً ببعض  
مقلدة الغرب من المسلمين (غ)

اسمه الدكتور «لو كنت دى نوى» وقد كان من قبل أحد علماء معهد رو كفلر ومعهد «باستور» وقد كشف فى كتابه العجيب (مصير الانسان) عن نظرية جديدة للتطور ، وحاول من طريق العلم والمنطق أن يثبت ما كان مثاراً للجدل من المعانى السامية التى تاقّت اليها نفوس البشر منذ أول عهدهم بالحياة كحرية الارادة ومعنى الحياة والخلود ، ووجود الله سبحانه وتعالى ، فيجعلها حقائق لا ممرارة فيها

« يستهل عالم الأحياء «دى نوى» كتابه باعترافه بأن العلم عرضة للخطأ فينبغى لنا أن لا تثق به ثقة عمياء ، فليس فى هذه الدنيا شئ نستطيع أن نعرفه معرفة كاملة مطلقة ، وحواسنا الخمس يشوبها نقص ، وأدواتنا العلمية لن تبلغ الكمال فى دقتها (تأمل)

« وليس فى طاقتنا أيضاً أن نعرف الحقيقة ، فاذا مزجت الدقيق بالسناج (١) كان لك منهما مسحوق أغبر ؛ فلو سارت حشرة دقيقة بين حبيبات هذا المسحوق الأغبر لكانت هذه الحبيبات فى نظرها صخوراً ضخمة بيضاء وسوداء ، فلا وجود لهذا المسحوق الأغبر كما نراه نحن فى تقدير هذه الحشرة ، ونحن نعيش فى كون لا يحيط به إدراكنا ، فكل رأى نراه فى شأن الحقيقة إنما هو رأى نسبي فى هذا الكون الجبار (تأمل) تجد العلم يعبت بأجزاء ضئيلة من المعرفة ، ولكن المهاوى التى تفصل بين مانعرفه من الحقائق إنما هى مهاوى رحبة عميقة ، ونحن نعيش على كرة عمرت حوالى ألفى مليون سنة وعلى هذا المسرح العظيم تمت روائع التطور ولكن

(١) الهباب أو غبار الفحم أو الدخان

كيف رفع الستار عنها؟ لقد استحال علينا حتى اليوم أن نعرف معرفة دقيقة كيف بدأت الحياة؛ بل لا ترى أحداً قد تمكن من أن يشرح لنا أصل الحيوانات الفقارية التي ننتمي نحن إليها (اسمع)

إن تاريخ التطور كله مشوب بالأسرار الغامضة، فكل خطوة كبيرة خطاها الأحياء إلى الأمام قد تمت على رغم مناقضتها لنواميس الاحتمال العلمى المحكمة. وكل تقدم من أدنى إلى أعلى كان ارتقاء بعيد الاحتمال

خذ - مثلاً - تلك اللحظة التي بدلت فيها الحياة نهجها في التناسل، فقد مرت ملايين من السنين وخلايا « البروتوبلازمة » تتكاثر بالانشطار كأن فيها حياة خالدة (١) ثم ظهر فجأة أسلوب جديد، فذ في التناسل - هو الزواج - ومن أدعى الأمور إلى العجب أن الموت (١) جاء قريباً للتناسل الجنسي حين طرأ هذا التناسل على الحياة

إلى أن قال: إن الثلوج التي تذوب على قمم الجبال تصبح جداول وأنهاراً متدفقة وهي في طريقها منحدرية إلى البحر، وهي تنحدر استجابة لناموس لا يرد وهو « ناموس الجاذبية » أما في التطور فإن الحياة لم تنحدر إلى أسفل بل ترقى صعداً يستحثها ناموس لا يرد كناموس الجاذبية.

(١) يرى بعض علماء الأحياء أن البكتريا أو الجراثيم لا تموت لتكاثرها بالانشطار كل جرثومة تنشط إلى جرثومتين وهلم جرا. فلو هيئت لها الظروف لظلت تنشط هكذا إلى الأبد، ويغفلون عما تحت (لو) هذه من القيود الهائلة، فإن البكتريا تموت إذا جفت وبالتعتيم وبالحرمان من الغذاء. هذا إلى أن كل شطر من الانشطار ليس هو عين البكتريا قبل الانشطار. فالقول بخلود البكتريا قول بعيد عن الدقة كما ترى (غ)



ومنذ كان العالم صعدت الحياة في هذا المعراج فبدأت مادة لا شكل لها،  
ومضت علواً حتى صار إنساناً له عقل وضمير

فهل عمى العلم عن البيانات التي تدل على التهج والنظام في التطور؟  
كلا فإن الحياة في ترقبها المتواصل كثيراً ما خالفت نوااميس الاحتمال الثابتة  
حتى لنرى أشد الماديين عناداً مضطراً إلى التسليم بوجود قوة مجهولة ..

ولم يكن للماديين بد من أن يطلقوا اسماً على هذه القوة المجهولة لكي  
يتمكنوا من أن يدخلوها في نطاق تفكيرهم . ولما كانت جوانحهم منطقية  
على نفور من اسم الله وصفوها بقولهم «عدو المصادفة» وما داموا يعترفون  
بوجودها فليسموها ما شاءوا . وقد ظلت الحياة تعمل ألف مليون سنة  
إلى أن صار الإنسان مخلوقاً مفكراً وهي خاضعة لسيطرة حافظ أصيل هو  
حافظ البقاء ، ثم ظهر خالق جديد من البشر ظهر أنه خاضع لقوة جديدة  
— فكرة الخير والشر — التي يبذلون المهج في سبيلها . ثم يقول « من  
الواضح أن زمام التطور في المستقبل سيكون في أيدي الأخيار من الناس ،  
ولكن ماهو الخير وماهو الشر ؟ أما الماديون فيذكرون وجود الخير والشر  
وأما « دى نوى » فلا يكتفى بتوكيد وجودها بل يسعى إلى تعريفها أيضاً  
— إلى أن قال — فالخير ينبغي أن يكون أيضاً احتراماً للشخصية البشرية ،  
والشر هو ما كان احتقاراً لها

وإذاً فينبغي أن لا نياس إذا كان الاخيار نادرة في هذه الدنيا ، فإن  
هذه القلة هي التي ستسير بالارتقاء قُدمًا شأنها اليوم كشأنها في ملايين  
السنين . وهذه القلة سوف تكون طليعة سلالة جديدة ، وأسلاف

الانسان الذى بلغ كمال النمو الروحاني - إلى أن قال  
« إن كثيرين من الناس ينظرون إلى المخترعات الحديثه كأنها دلائل  
الحضارة الحق . بيد أن مثلنا الأعلى ينبغي أن يكون كرامة البشر  
لا راحتهم . أساء البشر الاختيار بين الخير والشر ، فالعقل يشير بالمطابقة  
للمألوف والملاءمة والتراضى . ولن يشير بالثورة والمقاومة والتطور ؛ وانك  
لا تجد فى تاريخ البشر رجلاً ذهب شهيد الرأى المتزن . ولذلك ترى الذكاء  
وحده خطراً ، فهو وحده الذى صنع القنبلة الذرية ، وإذا الناس يدركون  
أن ظفر العلم يهدد أمنهم وسلامتهم ، فصار الصراع بين الذكاء والمبادئ  
الاخلاقية مسألة موت أو حياة للناس

ومما يؤسف له أن هناك كثيرين من الناس لا يزالون يعدون الانسان  
حيواناً راقياً لا أكثر ، ولذلك نراهم لا يثبتون سوى حلول حيوانية  
لمشكلات البشر .

وضرب مثلاً بسياسة الطغاة الذين يجندون الناس ويعبئونهم  
كلحشرات .. ثم قال « ومن هنا ترى الرجل الذكى محيراً لانه لا يستطيع  
أن يدرك الله الذى لا تدركه الابصار على صورة يفهمها : أهو جبار ذو لحيه  
على صورة الانسان ؟ فى هذا العصر عصر العلم يسهل الرد على السؤال ،  
فمن ذا الذى يستطيع أن يتصور الالكترون (١) وكل عالم يقول لك : إن  
الالكترون شئ لا يمكن تصوره ، ولا يسعك أن ترسم شكله وليس ثمة  
رجل قد رآه ، فالالكترون الذى لا يرى موجود وإن تعذر علينا أن

(١) هو الكهربي أو ذرة الكهربائية السالبة

تصوره؛ فما ظنك بالله الذى لا تدركه الابصار، والذى ليس كمثل شئ ..  
« إننا نعرف قوانين الأخلاق وفى وسعنا أن نلتزمها، وأهم من هذا  
نستطيع أن نعود إلى العادة القديمة عادة تهذيب الشباب وتقويم أخلاقهم،  
فالكفاح من أجل المستقبل ينبغى أن يبدأ فى المدرسة، لأن التعليم سلاح من  
أساحة التطور، ونحن نربى صغارنا اليوم يحشون عقولهم بتفاصيل لا تجدى  
أما الأخلاق التى لا غنى عنها فيمرون بها من الكرام، فكأنك  
تعلم الزراعة أن يزرعوا الأزهار دون أن تعلمهم كيف يحرثون الأرض،  
فلم لا يفكر أحد فى تعليم الخلق للصغار؟ إن العالم كله ليدرك حقا عظمة  
المزايا التى تعود عليه يوم يكون أكثر السكان فى الدنيا أهلا للثقة بهم  
إن ناموس التطور اليوم كما كان منذ الأزل كفاح نحو العلا والكفاح  
لم يفقد شيئا من حدته وعنفه لأن ميدانه قد انتقل من المادة إلى الروح، ففى  
البشر نفحة من روح الله، ونحن أحرار فى أن نهملها ونخمدوها أو أن نتقرب  
من عرش الله بما نبديه من رغبة فى طاعة أمره »  
اتتهى ما أردت نقله مما لخصه عدد المختار (مايو ١٩٤٧) من كتاب  
(مصير البشر) للكونت « دى نوى »

وقد استفدنا منه أنه ليس فى طاقتنا أن نعرف الحقيقة، وأن العلم (١)  
عرضة للخطأ، فينبغى أن لا تثق به ثقة عمياء، فليس فى هذه الدنيا شئ

---

(١) يراد بكلمة العلم فى لسان أهل العصر واصطلاحهم: الأفكار والآراء التى  
تثبت بالتجربة والاختبار العملى كالكيمياء والطبيعة والميكانيكا، ويخرجون  
من ذلك علوم الدين وكذلك علوم الرياضيات والفلسفة

نستطيع أن نعرفه معرفة كاملة مطلقة ، فحواسننا الخس يشوبها نقص ،  
وأدواتنا العلمية لن تبلغ الكمال فى دقتها ، وأننا نعيش فى كون لا يحيط به  
إدراكنا ، فكل رأى نراه فى شأن الحقيقة إنما هو رأى نسبي ، وأنه فى  
هذا الكون الجبار تجد العلم يعث بأجزاء ضئيلة من المعرفة ولكن المهاوى  
التي تفصل بين ما نعرفه وبين الحقائق إنما هى مهاوى رجة عميقة

وإن تاريخ التطور كله مشوب بالأسرار الغامضة ، وإن كل خطوة  
خطاها الأحياء إلى الأمام قد تمت على رغم مناقضتها لنواميس الاحتمال  
العلمى المحكمة ، وكل تقدم من أدنى إلى أعلى كان ارتقاءً أبعد الاحتمال  
واستفدنا منه أيضاً أن المثل الأعلى يندبغ أن يكون كرامة البشر  
لا راحتهم كما يظن كثير من الناس أن المخترعات الحديثة هى دلائل  
الحضارة ، وأن الذكاء وحده - يعنى بدون الأخلاق والضمير - خطر ،  
فهو الذى صنع القنبلة الذرية فأدرك الناس من ذلك أن ظفر العلم يهدد أمنهم  
وسلامتهم ، فصار الصراع بين الذكاء والمبادئ الأخلاقية مسألة موت أو  
حياة للناس أحيوا أخلاقهم عاشوا بسلام

واستفدنا أسفه أن هناك كثيرين من الناس لا يزالون يعدون الإنسان  
حيواناً راقياً لا أكثر . وقوله إنه يجب أن نعرف قوانين الأخلاق وأن  
نلتزمها . وأهم من ذلك أن نرجع إلى العادة القديمة ، عادة تهذيب الشباب  
وتقويم أخلاقهم ، وأن يبدأ ذلك فى المدرسه ، وذلك بالتزام الخلق والدين .  
وتأمله من حشو عقول الشباب بتفاصيل لا تجدى ، وأما الأخلاق التي لا غنى  
عنها فيمرون عليها من الكرام كتعليم الزراع أن يزرعوا الأزهار دون

تعليمهم كيف يحرثون الارض للحبوب والثمار ، واستفهم منكرًا لم لا يفكر أحد في تعليم الصغار الخلق ؟

وجزم قائلاً : إن العالم كله ليدرك حقا عظمة المزايا التي تعود عليه يوم يكون أكثر سكان الدنيا أهلا للثقة ، يعنى بالأخلاق الطيبة التي معدنها الدين والايمان بالله تعالى

فاستفدنا منه جملة عدم الغرور بما يسمونه العلم ، والعناية والثقة بالدين والأخلاق ونشرها بين الناس خصوصاً الشباب حتى يكون للناس مستقبل زاهر بالأمل والثقة والارتقاء والسلام والصفاء ( ١ )

فتأمل هذا كله ثم ارجع إلى ما فتى به صاحب الأغلال إذ اغتر بالفتات الذى وقع عليه من آراء المتخربين فى هذا الكون الرحب الفضاء الغامض الأسرار ، فأعجب بها وحقر من أجلها الدين والخلق والعمل الصالح والايمان بالله واليوم الآخر والقدر والملائكة الخ . وأخذ يهزأ بذلك وبالمؤمنين به بسخرية تدل على العُجب والزهو وقصر النظر كما سترى ذلك فى كتابه فى مواضعه إن شاء الله تعالى

ثم أعاد الكاتب صاحب الأغلال نظرية تطور الكائنات من المادة السديمية الدخانية إلى التجمع وتكوّن الشموس ثم السيارات ثم الاقمار —

---

(١) واستفدنا قبل ذلك وفوق كل ذلك استدلال (دى نوى) على وجود الله بنفس التطور الذى ضل به من ضل ، وباتخاذ من الكهيب دليلاً على خطأ من أنكر وجود الاله حين لم يستطع تصويره فان الكهيب موجود ولا يمكن تصويره لانه تارة يكون موجيا وتارة ماديا كما يبدو من التصوير الضوئى لآثاره (غ)

كل ذلك بطبيعة المادة وقوانينها (ص ٢٨٧ - ٢٩٠) إلى أن قال (ص ٢٩٠) « أما الانسان فليس هناك شك في أنه كان منذ ثلاثمائة سنة ( يريد ثلاثمائة ألف سنة فسقطت لفظ الف كما صرح به في صفحة ٢٨٨ ) دع أكثر من ذلك أضعف منه اليوم أجساماً وعقولا ومعارف ( يعني أنه كان في الحالة القردية أو ما يشبهها ) وليس هناك من يرتاب في أنه في هذه الثلاثة المائة [ الألف ] السنة قد تحسن من ناحيته الصورية ومن ناحية التفكير ومن ناحية القوة البدنية تحسناً عظيماً »  
يعنى بتحسّن صورته أنه صار منتصب القامة لا شعر على بدنه ، بعد ما كان يمشى على أربع ، مغطى البدن بالشعر ، ذا مخالب وأنياب بارزة حادة ثم صار إنساناً مفكراً متكاملاً بعد ما كان حيواناً أعجم . ثم استدل بتطور الحضارة على تطور الانسان وبقوله تعالى ( وقد خلقكم أطواراً ) غير ملتزم بمآله بعض الشيوخ في تفسير الأطوار قال :

« وانما نطلق ما أطلقه الله وأن نحمله على أحسن الوجوه »

يعنى نظرية تطور الانسان من حيوان قرد أو شبيه به إلى إنسان آدمى . وأما النصوص في الديانات كلها في خلق الانسان الاول ( آدم ) من تراب ثم من صلصال كالنفخار ثم نفخ الله فيه من روحه ، فلا وزن لها عند الكتاب ولا قيمة له فضلاً عن الاحاديث كحديث « خلق الله آدم طوله ستون ذراعاً في السماء وأن الصالحين من ذريته يدخلون الجنة على أحسن صورة كصورة أبيهم آدم » الخ وتشريف الله لآدم بخلق بيده ، وتعليمه أسماء كل شيء وإسجاد الملائكة كلهم له

وقد سمعت كلام أحد العلماء العصرين صاحب كتاب ( مصير الانسان ) ورأيه في نظرية التطور ، وفيما يسمونه العلم وعدم الاغترار به ، وان

التطور جرى على نهج لا مجال للعلم به . الخ .

\*\*\*

قول الكاتب « إن الايمان بقضاء الله وقدره والتوكل عليه يوهن المسلمين ويضعفهم ، وانه يجب عليهم ترك ذلك ، وأن التوكل على الله هو العلم بنظام الطبيعة ، وكذلك الايمان بالقضاء والقدر ( ص ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٦٨ : ٣١٥ ) ففي آخر ( ص ٢٦ ) وأول ٢٧ يقول :

« إن الشعوب تمتاز بالايان بالثراء الانسانى الطبيعى ولهذا تحاول الظفر كل شىء ، والوصول إلى كل شىء ، والتغلب على كل شىء . . . وتنقل الانسان فى وجوده وحقيقته من طور إلى طور أعلى وأرقى . . .

ثم مثل بالاغريق والرومان والمصريين القدماء والعرب وأوربا الحديثة وأمريكا طبعاً وغيرهم

« ممن أوجدوا التاريخ الانسانى وصنعوا الحضارات - على أقدار مختلفة متفاوتة - بفيض من هذا الايمان »

« وكل شعب يكفر بالانسانية - الانسانية المطلقة انسانيته هو وإنسانية غيره - ويكفر بمواهبها وثرواتها الذاتية الطبيعية ويؤمن بأنها مقيدة بقيود وحدود لا تتعدها ولا تتخلص منها وانها ليست مطلقة القوى وليس متروكاً لها الطريق ، الطريق الذى ليس له نهاية تحده ولا غاية تلزمه الوقوف عندها - لا محالة أن تفتقر هممه ويضعف عمله وأن يقف عاجزاً عن التحليق فى سماء الانهائية وأن يرضى من زمنه بالتافه الحقيير والنصيب اليسير »

وفى آخر ( ص ٢٨ وأول ٢٩ ) يقول

« فالأمم والرجال الذين وثبوا امتازوا كما ذكرنا بهذا الايمان والأمم والرجال العاجزون القاعدون - وكذلك الاطفال لم يرزقوا هذا الايمان بل رزقوا

- وأخبر به رزقاً - بالاعتقاد اللازم المسيطر بأن الانسان خلق عاجزاً محدوداً مهيناً حقيراً لا قدرته على التحكم في الطبيعة القاهرة الغالبة، ولا يد له تستطيع الامتداد إلى تغيير هذا العالم الذي أوجده الله ولا إلى تغيير صبغته التي صبغها الله بها ثم مثل بالفقر والمرض والبطالة والجذب والجهالة والاخلاق والاستقلال والسيادة الوطنية وكل مشكلة، وان هذا الفريق - يعنى المؤمن بقدر الله - ليس أهلاً لحل مشكلة منها .. إلى أن قال ( آخر ص ٢٨ وأول ٢٩ )

« وما عليهم إلا أن ينتظروا من الله أن يضعها لهم كما يشاؤون ويشتهون وكل ما يجب عليهم في هذه الحالة أن يطيلوا الدعاء والبكاء وأن يصدقوا الضراعة والمسكنة وأن يجملوا الانتظار . . . أولئك الذين يريدون كل شيء من السماء ومن الآلهة المتعددة الأخرى أما هؤلاء فيعلمون أن عليهم أن يرجعوا إلى أنفسهم وأن يعولوا عليها وأن يطلبوا منها كل شيء، وأن في استطاعتها أن تهبهم ما فقدوا وما احتاجوا فيبدعون في الأعمال ويسيزون في الطريق . أما أولئك فقصاراهم النحيب والدعاء المذل ثم الانتظار الممل . .

ومعلوم أن الدعاء أضعف وسيلة يلتجئ بها عدو عدوه بل انه ليس بوسيلة وليس له من فائدة سوى أنه يقوم بعملية تمويض (لعله يريد تعويق) وتصريف خبيثة (رمثل بخطباء الجمع) الذين يقرعون مسامعنا كل يوم جمعة بهذه الضراعات الكاذبة والابتهالات الوقحة الذليلة داعين على الآخرين سائلين الله أن يسقط عليهم السماء أو يخسف بهم الأرض . . . ولكن الله لن يصنع ذلك أبداً

( وفي ص ٢٦٨ يقول ) « لست أريد أن أقول ان التوكل هو الاخذ بالاسباب مع الاعتقاد بأن الله قد يدخل فيها فيجعلها ان شاء اسباباً ويجعلها ان شاء غير أسباب أو مع الاعتقاد بانه تعالى قد يفعل من غير الاسباب فان هذا هو السفه والفوضى التي لا ضابط لها »

فليعلن غوستاف لوبون في قبره فقد وجد له خليفة ينق بأصواته



الحق في كتابه ( الآراء والمعتقدات ) من إنكار القدر والرب ؛ وما وراء الطبيعة والمادة والملائكة ، وليس ثم موضع بسط دمامله وذكر عباراته بنصوصها وأرقام محالها ، ولعل لذلك فرصة أسنح وأوسع .

« فالإيمان بقدرته يوجب بأن ما جعله سبباً لشيء فسيبقى كذلك ولن تبطل سببيته بحال ولن يوصل إلى ذلك الشيء بشيء آخر غيره ويوجب الإيمان بأن ذلك الشيء الذي جعله مسبباً لن يوصل إليه بدونه فموجود السبب يوجد المسبب وبنفقه لا يوجد »

وقال في ص ٣١٥ وص ٣١٦ بعنوان ( مشكلة لم تحل )

« فالمشكلة التي ما أظن أحداً قد درسها دراسة صحيحة وافية هي ان فكرة التدوين قائمة على الإيمان بسبب ترجع إليه جميع الأسباب لأنه هو خالقها المهيمن عليها ، المتصرف فيها كيف شاء وهذا السبب الذي هو سبب الأسباب أي الله على اختلاف كبير بعيد بين أصناف المتدينين فيه وفي حقيقته — لا يحتاج هو إلى سبب في وجوده وقيامه بنفسه وفي فعله وصنعه فاذا وصلوا إلى الإيمان بهذا السبب وإلى الإيمان بقدرته الكاملة التي لا يعجزها شيء ولا يند عن سلطانها وقبضتها أمر شكوا في الأسباب الأخرى التي هي دونه والتي هي من خلقه وصنعه . وإذا ما صاروا إلى هذا الشك في الأسباب تراخوا فيها وفي الأخذ بها وفي العمل على اتقانها والتعويل عليها وحينئذ تصاب قواهم كلها بالضعف وبالعجز عن الابداع والتبريز وعن الانتاج والعمل البارع العظيم فإن الانسان لن يكون سببياً محضاً إلا متى آمن بأن هذا الوجود كله مربوط بأسباب آلية طبيعية تسير إلى نهاياتها ونتائجها سيراً آلياً طبيعياً ليس لقوة من القوى أن تقف في سبيلها وأن تتحكم في نهايتها وهو — أي الانسان — لن ينجح النجاح المرجو إلا إذا كان سببياً محضاً فالإيمان بسبب الأسباب — يعنى الله تعالى الرب الخالق — يمنعه على حسب ما تصور وبلغ — من أن يكون سببياً وعدم كونه

سببياً يمنع من النجاح - هذا هو كل ما استطاعت مسدرك البشر الدينية أن تبلغ وأن تعرف ، تلك لعمر الله هي المشكلة الحقيقية الكبرى التي لم يوجد لها حل حتى اليوم »

« وقد يقال بعبارة أخرى - على حسب تصور المتدين - الأسباب إما أن تكون كافية للآخذين بها أو غير كافية فإن كانت كافية فأين الإله وأفعاله وألطفه ؟ فهي إذن غير كافية وإن كانت غير كافية فهي إذن غير خليفة بأن يعول عليها المؤمن تعويلاً صحيحاً ولا أن يلتفت إليها ومن هنا يصبح غير سببي » اهـ

وأقول أنا محمد بن عبد الرزاق حمزة - هذه لعمرى هي فلسفة القرن الثامن عشر وما قبله وما بعده إلى نصف التاسع عشر ، فلسفة الحاد والكفر والذهرية لخصها غوستاف لوبون في كتابه الآراء والمعتقدات ومنه استقى الكاتب فعب منها ونهل ، وقاءها في أغلاله دما وصديدا من قرحات باطنه وقلبه . وسأفرد مقالا للجمع بين الأصل وفرعه من كتاب غوستاف وكتاب الأغلال ان شاء الله تعالى . ولا بأس بسوق نبذة منه على سبيل النموذج حتى لا يظن اتهامه بغير بينة من كلامه .

قال في كتابه ( الآراء والمعتقدات ) ص ٢٩

« ومع أن علم الحياة الحديث أصاب في تقضيه مبدأ علة العلل - يعني الخالق سبحانه - فأننا نرى سلسلة الأشياء تبدو كأنها خاضعة لهذا المبدأ - يعني إثبات واجب الوجود الخالق سبحانه - يؤيد ذلك كون الشروح العقلية التي أتى بها العلماء لم تقدر على حل كثير من الأمور الغامضة في الكون »  
أقول : لا تقدر ولن تقدر ما دامت تنكر أشرف ما في الوجود وأعلى مافيه وعلاه الروحية وخالقه الأكبر سبحانه وتعالى

ثم قال (ص ٤٧) « لا أهمية لارتباط الاشياء والحوادث بعضها ببعض عند أولى النفوس الدينية ؛ فالارتباط المذكور فى نظر هؤلاء إن هو إلا أمر يختص بموجودات علوية نعانى عزائها فقط »

وقال (ص ١٤٨) « لعل أهم ثورة ظهرت فى عالم الفكر هى الثورة التى أدى اليها العلم باثباته ان الحوادث تصدر عن نواميس مهيمنة لا عن أهواء الآلهة ؛ إذ بهذا الاكتشاف تبدلت الكيفية التى ننظر بها إلى الكون دفعة واحدة ؛ وهذا الاكتشاف العظيم الذى أخرج الناس من دائرة المعتقد إلى دائرة المعرفة لم يعم بعد ، إذ أن كثيراً من الناس يعتقدون أن قوى ما بعد الطبيعة تسير الحادثات وتقدر على تغيير مجراها عند ما يستغاث بها إلى أن قال : والانسان بتركه مبدأ الوجوب فى تسلسل الحوادث يعود إلى المبدأ الذى قضى عليه بعد عناء كبير والقائل إن مصدر الحوادث هو الآلهة ذات الأهواء ، فلو أن الحادثات التى يخبر بها أولو الكرامات فى الوقت الحاضر ممكنة لتقهقر العلم طائفاً إلى قرون الاساطير حيث مصير الحروب بيد الآلهة — إلى أن قال :

إن نفس الانسان الدينية تهيم عليه فى كل وقت فترغمه على الالتجاء إلى ما بعد الطبيعة وإن كان البحث الدقيق فى خوارق ما بعد الطبيعة يدلنا على أن هذه الخوارق عبارة عن أوهام تكونت فى نفوسنا » الخ اهـ

وليس هنا موضع مناقشة هذا الجاهل فى دعواه إن علم الحياة نقض مبدأ علة العلل ، ولا أن خوارق ما بعد الطبيعة أوهام ، وان نفى وجوب تسلسل الحوادث يرجع بنا إلى عصر الخرافات ؛ وإنما قصدنا أن نريك

أصول كتاب صاحب الاغلال ومادة ارتوائه واستقائه ومادة تفكيره التي انتقضت برمتها، وانقلبت رأساً على عقب ، وصارت تفكير العجائز عند مفكرى القرن العشرين ، وكاتبنا هذا وأمثاله استقوها من كتب غوستاف لوبون وأضرا به كما رأيت ، وسنقل بطلانها والضحك من مفكرها عن أقطاب العلم في هذا العصر الحاضر مثل السير جنز العالم الرياضى الطبيعى الفلكى الانكليزى من كتابه ( الكون الغامض ) ومثل الاستاذ مصطفى مشرفه باشا عميد كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول من محاضرة له نشرت فى المقتطف . ومن رسالته « النسبيه الخاصة » مما يدل على تلاقى آخر سير العقلاء ونهاية سبلهم مع ما جاء فى الدين من أن الله هو الفاعل المختار لا تحكمه أسباب ولا تتحكم فى فعله نواميس ، وليس العالم مسيراً بعلم طبيعى آلية كما قرره هذا المأفون الناقص الفهم والاطلاع تبعاً لمقليديه وأصنامهم ، فيتوافق العقل الصريح والدين الصحيح كما قال تعالى ( سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ) وقال ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ) وقال ( ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ) ( إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون )

جاء فى محاضرة للدكتور مشرفة باشا عميد كلية العلوم الآن بعنوان

(الاضافات الحديثة) (العلوم الطبيعية وأثرها في تطور الفكر الحديث) نشرت بمقتطف يوليو (١٩٣١) ابتدأها بتصوير تطور الفكر عند الانسان في مختلف أطواره من طفولة إلى شباب إلى كهولة ، ثم خلاص من ذلك إلى تشبيه تطور العلم عند المجتمع بتطوره في الفرد ثم قال « فالتفكير العلمي إذاً حي متطور تؤثر في تطوره الخبرة العلمية ، أو بعبارة أخرى الاضافات التي يضيفها العلماء إلى المعرفة البشرية . ثم قال :

« ونحن اليوم — أيها السادة — نعيش في عصر يشهد تطوراً عنيفاً في التفكير ، بل انقلاباً بليغ الأثر في مجملنا العقلي ، فوجهة نظرنا اليوم نحو ما يحيط بنا من الكائنات تختلف اختلافاً بيناً عنها في أواخر القرن الماضي بل تكاد تناقضها مناقضة صريحة »

ثم ذكر أن سبب هذا التطور الاضافات العلمية إلى العلوم الطبيعية في نحو ثلث قرن كما سيصفها . ثم استحسن أن يليق نظرة على موقف العلوم الطبيعية وحالة التفكير العلمي في أواخر القرن الماضي فقال « الكون آلة »

ثم شبه فلسفة القرن الماضي بفلسفة رجل ناجح في عمله راض عن فلسفته مؤمن بنفسه ثم لخص فلسفة العلوم الطبيعية في آخر القرن الماضي بقوله « فالكون مؤلف من المادة المحسوسة التي نراها ونلمسها وهي موزعة في الفضاء الذي يحيط بنا ونحكم بوجوده بالبداهة ، ثم ان الاجسام المادية تتحرك في هذا الفضاء بناء على قوانين ثابتة كشف عنها وطبقها الرياضيون وعلماء الفلك فحصلوا على نتائج ضرب بها المثل في الدقة والضبط - إلى

أن قال - فالكون إذًا في نظر علماء القرن التاسع هو آلة هائلة تشتغل طبقا لقوانين ثابتة ، هذه الآلة مصنوعة من المادة التي لا تقبل الخلق ولا الفناء .

وتقوم بالمادة أو ترتبط بها حالات كالحرارة وما أشبهه هي مظاهر لشيء واحد هو الطاقة والطاقة كالمادة لا تقبل الخلق ولا الفناء . ومهمة العلم هي معرفة القوانين التي تنظم سير الآلة وتربط الطاقة بالمادة ، والعلماء جادون في هذا السبيل يضيفون القانون تلو القانون .. فإذا استمرت الحال على هذا المنوال فلا شك أن الانسان سيصل إلى معرفة أسرار الكون فيهيمن عليه ويسيطر على أجزائه

#### مواطن الضعف

ثم ذكر ما حيرم في الضوء الذي ينتقل في الفضاء العادي من المادة ، فهو إذًا مستقل عن المادة قائم بذاته لا يمكن أن يوصف بأنه حالة من حالات المادة .

ومثله الحرارة وإشعاعات أخرى ، فليست هي كالحركة هذه الأشعة الضوئية والحرارية وغيرها حيرت ألباب العلماء في أواخر القرن التاسع عشر وناقضت فلسفتهم مناقضة صريحة . فالتجأوا إلى فرض وجود نوع مستحدث من المادة سموه الاثير لكي تقوم به هذه الأشعة وهو ليس بالمادة التي نعرفها ؛ إنما له خاصية أساسية من خواص المادة هي التكيف حتى يصح أن تقوم به حالة كالضوء والحرارة . ثم خلاص الموقف في أواخر القرن الماضي المادة ذلك الجوهر الذي لا يقبل الخلق ولا الفناء ، والطاقة عرض

يقوم بالمادة ولا اتصور وحدها عارية عن المادة ، والزمان والمكان بديهيان  
ثم هناك فوق هذا كله القوانين الطبيعية ، وهى التى تنظم حركة المادة وما  
ينشأ عنها من التغيرات ، كما أنها ترتب أمور الطاقة أيضاً وأهمها قانون بقاء  
المادة ، ويليه فى خطورة الشأن قانون بقاء الطاقة ثم قوانين نيوتن فى الجاذبية  
ثم قال « وهنا أصرحكم القول بأن وجهة نظر العلم اليوم : « هذه  
الفلسفة تشبه وجهة نظر الرجل إلى فلسفة الطفل فى حياته ثم وصفها لعبه  
وهى أهم شئ عنده فى الوجود ، والمنزل والخادمة والطاهى والأطفال الذين  
يلاعبهم وقواعد اللعب التى يتبعها والام والأب  
فما هى الخبرة التى اكتسبناها والتى حولت نظرنا إلى الأمور عما  
كانت عليه فى أوائل القرن؟

### الحقائق المقلقة

أولاً - إذ علمنا تركيب المادة فالذرات التى تتركب منها جميع المواد  
انحلت إلى الالكترونات والبروتونات التى هى كهرباء خالصة ، فانقلب  
الموقف فصارت المادة تقوم بالكهرباء بدلاً من أن الكهرباء حالة تقوم بالمادة،  
والالكترونات والبروتونات (١) تتشتت كالضوء إذا مرت فى ثقوب  
ضيقة فهى ذات خاصية موجية كأنها مؤلفة من أمواج كأمواج الضوء كما تنبأ بها  
«دى برولى» العالم الفرنسى سنة ١٩٢٦ وحققها عملياً طوسون وجرمر وغيرهما

---

(١) الالكترون الكهربي السالب . والبروتون الأبتب الموجب أو  
نواة ذرة الايدروجين ومنهما تتكون ذرات بقية العناصر : نواة فى قلب النواة  
تدور حولها كيرباتها الخاصة فى أفلاك كأفلاك السيارات حول الشمس

فالمادة إذاً قد فقدت جوهريتها وصارت كالضوء عرضاً يقوم بغيره لا جوهرراً مستقلاً بذاته . ثم شرح كذلك زوال قانون بقاء الكتلة ، فجميع الأجسام تتغير كتلتها بتغير سرعتها

« ولم يقف الحد عند الكتلة والطاقة بل تعداهما إلى الزمان والمكان فقد أصبحا في نظر علماء الطبيعة ظليين زائلين لا إطلاقاً لحقيقة وجودهما »  
ثم شرح ذلك وضرب له الأمثلة توضيحاً وأشار إلى نظرية آينشتين التي تخلط الزمان بالمكان

### « الحالة الآن »

« والآن وقد اختلط الزمان بالمكان وزالت معالم المادة واختلطت بالنور ماذا تظنونه حادثاً للقوانين الطبيعية . ان الزمان والمكان لا يسمحان لي بشرح هذه النقطة الشرح الذي تستحقه ولكن سأذكر لكم وجهة النظر الحالية

اننا نقسم القوانين الطبيعية إلى قسمين . قسم نسميه القوانين الاحصائية وهي لا تعبر إلا عن قوانين الصدفة والاحتمال أمثال قانون بويل للغازات فما هو إلا نتيجة وجود عدد كبير من جزئيات الغاز في اضطراب مستمر بحيث لا نظام إلا نظام الصدفة . ( القسم الثاني ) نسميه القوانين التطابقية ومثاله القانون الذي اكتشفه جحا في الحكاية المشهورة فانه كان يسوق عشرة حمر فوجد انه إذا ركب واحداً منها ثم عدها كانت تسعة وإذا نزل ومشى ثم عدها كانت عشرة وهكذا اكتشف جحا قانوناً من القوانين الطبيعية لا يختلف في كنهه عن كثير من قوانين الطبيعة



وربما كان خير وسيلة لختام محاضرتي ان أقرأ على حضراتكم ترجمة ماختم به السير « جيمس جنز » كتابه ( الكون الغامض ) .

قال : لقد حاولنا أن نبحث فيما إذا كانت العلوم الحديثة عندها ما تقول عن مسائل صعبة وربما كانت إلى الأبد بعيدة عن منال العقل البشرى ولا نستطيع أن ندعى أننا لحننا أكثر من بصيص ضعيف من النور وربما كنا واهمين تماماً في لمح هذا البصيص فاننا ولا شك قد اضطررنا أن نجهد أعيننا إجهاداً عظيماً قبل أن نظفر بشيء ما ولذا فليس مغزى كلامنا أن العلم عنده قول فصل بل بالعكس ربما كان خير ما نستطيع أن نقوله « ان العلم قد عدل عن إلقاء الأقوال فان نهر المعرفة قد تعرج في اتجاه سيره مراراً وتكراراً بما لا يسمح لنا أن نحكم بالناحية التي فيها مصبه . اهـ

هذا ما أردت تلخيصه من محاضرة الأستاذ مشرفة باشا عميد كلية العلوم وقد أطلت في تلخيص المحاضرة المذكورة لما فيها من بيان حال التفكير في القرن الماضي وهو الذي حشا به القصيمي كتابه « الاغلال » معجبا به يريد هدم الدين والأخلاق بذلك وقد وسمه الاستاذ مشرفه باشا بأنه كفلسفة الطفل ولعبه بالنسبة للرجل العاقل عند مفكرى القرن العشرين وان قوانين الطبيعة التي يريدنا القصيمي أن نكفر بالله واليوم الآخر لأجلها كما كفر بسببها من قبل غوستاف لوبون ما هي إلا كحمار جحا الذي ينساه حين يركبه ويعده ويتذكره إذا نزل عنه

ثم استشهد سعادة العميد بكلام السير جيمس جنز أننا نر من الحقيقة إلا بصيصاً ضئيلاً بعد اجهاد الأعين وإن العلوم الحديثة ليس عندها ما تقول

عن مسائل صعبة ربما كانت إلى الأبد بعيدة عن منال العقل البشرى. وإن العلم ليس عنده قول فصل بل بالعكس خير ما يقال إن العلم قد عدل عن إلقاء الأقوال لأن نهر المعرفة قد تعرج في اتجاه سيره مراراً وتكراراً بما لا يسمح لنا بالحكم على الناحية التي فيها مصبه

والسير جيمس جنز مؤلف كتاب (النجوم في مسالكها) و(كتاب الكون الغامض) هو دكتور في الآداب ودكتور في العلوم وعضو المجمع العلمى البريطانى وقطب من أقطاب العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية من الانكليز الذين يطريهم القصيمى ويتغنى بهم ، وسأنتقل لك نبذاً من كتابه (الكون الغامض) الذى استشهد سعادة عميد كلية العلوم مشرفة باشا بنخاتمته يتبين منها جهل كاتب الأغلال بما وصل إليه الفكر العلمى فى هذا العصر فى مشكلته التى لم تحل وكتابه كله فى الكفر بالله والإيمان بالأسباب التى لا تتخلف عند الكاتب وأن المؤمن بها لا يمكن أن يؤمن بالله الفاعل المختار الذى يسميه قوة مجنونه خرقاء سفية (١). ويريد منا أن نكفر بديننا وبدين الرسل كلهم لأجل أفكار تركها أهلها وعدوها صبيانية مجونية هذيانية جحوية قلد فيها كافراً بالله واليوم الآخر هو غوستاف لوبون قال السير جيمس جنز فى كتابه (الكون الغامض) ص ١٦٩ س ١١ وما أكثر ما يغيب عنا أننا لانستطيع إلا أن نبحت هذه المسائل فى صيغ الاحتمالات ، وما أكثر ما يعير رجل العلم بأنه يبذل آراءه على الدوام، وفى هذا ما يشعر بأنه ليس من الضروري أن يؤخذ بقوله جدياً. على

أنه لا لوم في الحقيقة على العالم الذي يرتاد نهر المعرفة إذا انحرف أحياناً إلى مجرى جانبي فرعى ولم يستمر سائراً في المجرى الأصلي، ذلك بأن المرتاد لا يستطيع أن يتأكد من طبيعة المجرى الجانبي إلا بعد أن يسير فيه، وأخطر ما في الأمر وأبعده عن سيطرة المرتاد أن نهر المعرفة ملتوى يجرى آناء نحو الشرق وآناء نحو الغرب، وقد يقول المرتاد في وقت ما «إني أسير مع التيار» وبما إني متجه نحو الغرب فأكبر الظن أن بحر المعرفة — أي الحقيقة — كائن في الجهة الغربية فإذا تحول اتجاه النهر بعد ذلك نحو الشرق قال «كأنني بالحقيقة الآن واقعة في الجهة الشرقية» وأكبر الظن أنه ليس من العلماء الذين عاشوا في الثلاثين عاماً الأخيرة من يستطيع أن يبت برأى قاطع في اتجاه نهر المعرفة في المستقبل أو في مكان الحقيقة أين يكون، ذلك أن تجاربه الخاصة تدل على أن النهر لا يتسع مجراه على الدوام فحسب بل تدل أيضاً على أنه دائم الالتواء. ولذلك ينصرف العالم بعد أن يلاقى ضروباً من الخيبة متعددة عند كل التواء عن الظن بأنه قد انتهى «إلى مجرى الحقيقة اللانهائي وأحس معالمة»

«ويلوح أننا على حق إذا قلنا مع هذا الاحتراس السابق إن نهر المعرفة قد انحرف انحرفاً شديداً في السنوات القليلة الماضية، فقد كنا نظن أن نفترض من ثلاثين عاماً أننا سائرون صوب حقيقة نهائية من النوع الآلي، وأن هذه الحقيقة تتكون من خليط مهوش من الذرات قدر عليه أن يقوم زماناً ما برقصات خالية من المعنى طوعاً لتأثير قوى عمياء ليس لها غرض معين، ثم يرتد ليكون منه عالم ميت لا حياة فيه. وفي

هذا العالم الآلى المحض ظهرت الحياة مصادفة (١) بتأثير هذه القوى العمياء نفسها، واتفق أن ناحية ضئيلة واحدة على الأقل من نواحي هذا الكون الذرى - وقد تكون عدة نواح منه - قد أصبحت واعية برهة من الزمن ولكنهما مقدر عليهما آخر الأمر بتأثير القوى العمياء أن تنجمد عن آخرها ثم تترك هذا العالم مرة أخرى لا حياة فيه » اهـ

هذا ملخص آراء الماديين فى القرن الماضى لخصه لك المؤلف فى عبارة وجيزة وهو الذى يدعونا اليه كاتب الاغلال فى فصله الأخير من كتابه تحت عنوان « مشكلة لم تحل »

فاسمع الآن رأى السير جيمس جينز فيما تطورت إليه أفكار القرن العشرين فى ذلك قال ص ١٧٠ س ١٨ « أما الآن فان الآراء متفقة إلى حد كبير يكاد فى الجانب الطبيعى من العلم يقرب من الاجماع على أن نهر المعرفة يتجه نحو حقيقة غير آلية وقد بدأ الكون يلوح أكثر شبها بفكر عظيم منه بآلة عظيمة ولم يعد العقل بعد دخيلا ألقى به المصادفة فى عالم المادة، بل بدأ يجول فى خاطرنا أن من واجبنا أن نحياه ونعده خالق العالم المادى المسيطر عليه - ولسنا نقصد بهذا العقل بطبيعة الحال عقولنا الفردية بل

(١) من أكبر أغلاط العلماء الطبيعيين فى الماضى هذا القول الذى أدركوا خطأه الآن من أن الحياة ظهرت فى الارض مصادفة . إنهم لم يقولوه استنتاجا من قرآن حملتهم عليه ولكنهم لما عجزوا عن تفسير ظهور الحياة بعلمهم قالوا بظهورها مصادفة ! وهذا طبعا ليس بفرض علمى ولا بتفسير فكل إنسان يستطيع عند العجز أن يحيل أى ظاهرة على المصادفة . فالقول بالمصادفة والاعتراف بالعجز عن التفسير سواء (غ)

نعني ذلك العقل الكلى الذى توجد فيه على شكل فكر تلك الذرات التى نشأت منها عقولنا (١)

« وتلك المعرفة الجديدة تضطربنا إلى أن نعدل رأينا السابق الفطير وهو أننا قد ألقى بنا مصادفة فى كون لا يعنى بالحياة أو أنه عدو لها بالفعل ويلوح أن من المحتمل أن يختلف من الوجود ثنائية العقل والمادة القديم الذى كان من أكبر أسباب هذه العداوة » الخ اهـ

واقراً ما كتبه أول الكتاب من غرور طبيعى القرن التاسع عشر ورياضيه فى فهم هذا العالم وهو ما يدعونا إليه صاحب الأغلال وكيف انقلب عليهم التفكير رأساً على عقب بعد اكتشاف « بلانك » نظرية الكمة حتى أبطلت قانون السببية الحتمية الذى يدعونا إليه القصيمى تبعاً لغوستاف لنكفر بالله ونؤمن به، وأتينا لانكون سببيين ناجحين فى الحياة حتى نكفر بالله وقدرته واختياره ونؤمن بالأسباب التى يعجز الله عن إبطالها أو التدخل بينها وبين مسبباتها وأنه إن فعل كان سفيهاً ومجنوناً أو كالمجنون إلى آخر ما قرره فى فصله الأخير من كتابه بعنوان « مشكلة لم تحل » وقد نقلنا لك خلاصته فيما مضى قريباً بنصه

قال جينز ص ٢٠ س ١ « وقد أظهر اينشتين فى عام ١٩١٧ أن النظرية

---

(١) المهم فى هذا الكلام وأمثاله مما كتب جينز أن علمه الطبيعى جعله يدرك وجود الخالق سبحانه من خلال السنن المنحلة فى الفطرة بصرف النظر عما يرد فى كلامه من تصوير وتمثيل قد لا يتفق مع ما ينبغى للخالق سبحانه من تنزيه عن مشابهة المخلوقات . فالاسلام من ناحيته قد احتضن العلم ، والعلم من ناحيته بدأ يتصل بالدين إذ بدأ يدرك وجود الخالق سبحانه ( غ )

التي وصفها بلانك — نظرية الكم أن الاشعاعات تسير دفعات متقطعة في قفزات واهتزازات — تظهر في أول نظرة على الأقل أنها تنطوي على نتائج أبعد أثراً من فكرة عدم الاتصال وظهر أنها ستناقض ما كان لقانون السببية من الشأن في توجيه العلم الطبيعي في مجراه . لقد كان العلم القديم يقرر تقرير الواثق أن الطبيعة لا تستطيع أن تسلك إلا طريقاً واحداً وهو الطريق الذي رسم من قبل لتسير فيه من بداية الزمن إلى نهايته في تسلسل مستمر بين علة ومعلول ، وأن لامناص من أن الحالة (ا) تتبعها الحالة (ب) أما العلم الحديث فكل ما يستطيع أن يقوله حتى الآن هو أن الحالة (ا) يحتمل أن تتبعها الحالة (ب) أو (ج) أو (د) أو غيرها من الحالات الأخرى التي يخططها الحصر .

نعم في استطاعته أن يقول إن حدوث الحالة (ب) أكثر احتمالاً من حدوث الحالة (ج) بل إن في مقدوره أن يحدد درجة احتمال حالة من الحالات (ب) و (ج) و (د) بعضها بالنسبة إلى بعض ولكنه لا يستطيع أن يتنبأ عن يقين أى الحالات تتبع الأخرى لأنه إنما يتحدث دائماً عما يحتمل . أما ما يجب أن يحدث فأمره موكل إلى الأقدار مهما تكن حقيقة هذه الأقدار . ثم ضرب مثلاً مادياً بذرات الراديوم وغيرها من المواد ذات النشاط الإشعاعي أنها تتفكك بمجرد مرور الزمن عليها وتختلف وراءها ذرات من الرصاص والهليوم فينقص حجمها باستمرار ويحل مكانها رصاص وهليوم . قال والقانون العام الذي يتحكم في معدل التناقص غريب غاية الغرابة شبهها بعدد الوفيات أو القتلى في كتيبة ترمى بالرصاص

اعتباطاً من غير قصد لمن يصاب ،فليس لكبر السن أثر في ذرة الراديوم  
الواحدة بل تموت بمنية تخبط خبط عشواء ولا يدرى بأى طريق تختار  
تلك الذرة المعينة لا بأكثرية اصطدام ولا بشدة حرارة فليس في  
الاستطاعة تفكيك الراديوم أو تعجيل التفكيك بضغطه أو تسخينه بل  
الموت يصيب على الأرجح في كل عام ذرة واحدة من ألفين . ويرجو المؤلف  
في ص ٢٢ أن التاريخ قد يعيد نفسه فتعرف قانون العلة والمعلول أى فيما  
بعد أما الآن فلا يعرف

ثم ضرب مثلاً آخر بانبعاث الضوء من المصباح الكهربائى العادى  
وشرح كيف يشع النور فقال ص ٢٥ س ١٦ « وقد بين اينشتين أنه لا بد  
من وجود نوع آخر من القفزات وان هذه القفزات لا بد وأن تحدث من  
تلقاء نفسها كما تتفكك ذرة الراديوم من تلقاء نفسها ومعنى هذا بالاختصار  
انه لا بد لنا من أن نلجأ مرة أخرى إلى فرض وجود القدر » وقال  
ص ٢٧ س ٣ « ومع أننا لا نزال بعيدين عن القول الفصل في هذا الموضوع  
فقد نحيل إلينا أن ثمة عاملاً من العوامل لم نجد له بعد اسماً خيراً من القدر  
يعمل في الطبيعة ليمحو أثر قانون السببية القديم الصارم . وقد لا يكون  
المستقبل كما تعودنا أن ننظر إليه قد حدده الماضى تحديداً غير قابل للتغير  
بل انه قد يكون إلى حد ما على الأقل متروكاً لتصريف الأقدار مهما  
تكن هذه الأقدار » وهناك اعتبارات أخرى توجه افكارنا في هذا  
الاتجاه نفسه

مثال ذلك أن الأستاذ هايزنبرج أوضح أن ما تصوره نظرية الكم

الحديثه ينطوى على مايسميه هو « قاعدة عدم قابلية التحديد » ولقد  
ظللنا من قبله زمناً طويلاً نعتقد أن أعمال الطبيعة هي غاية مايمكن الوصول  
إليه من الدقة والاحكام ، ومع اننا نعلم أن الآلات التي يصطنعها الانسان  
بعيدة من الدقة والكمال ، فقد كنا نصرّ على الاعتقاد بأن أعمال الذرة  
الداخلية هي المثل الأعلى للدقة والاحكام ثم جاء هابز نيرج فأوضح الآن أن  
أكثر ماتمتته الطبيعة هو الدقة والاحكام (١)

وقال ص ٢٢ س ٣ بعد ما ضرب مثلاً لتناثر الذرات بغير نظام ومثله  
نرمى مليون طن من قطع النقود في الهواء وسقوط مايسقط منها على وجهه  
وما يسقط على الوجه الآخر اتفاقاً فقال « ومن هذا يرى كيف كان من  
السهل أن يتسلل وهم الجبرية إلى العلم ان كانت الجبرية وهماً » وليس لدينا  
حتى الآن معلومات موثوق بها عن أية مسألة من هذه المسائل على أن  
هناك عدداً من علماء الطبيعة وإن كنت أظن أن هذا العدد آخذ في  
التناقص بسرعة كبيرة يتوقع ان قانون السببية الصارم سيستعيد في نهاية  
الأمر مكانته القديمة في العالم الطبيعي بطريقة ما ولكن الاتجاه الحديث  
في تقدم العلم لا يقوى مركزهم في ذلك ، ومهما يكن من شيء فإن السببية  
الصارمة ليس لها الآن مكان في صورة الكون التي يعرضها علينا علم

---

(١) العلم الطبيعي في موقفه الحاضر يدرك الدقة والاحكام وسنن الفطرة التي  
تجرى على السكتل والمقادير المحسوبة من المادة والطاقة ولكنه إذا تعداها إلى  
عالم غير المحسوس أشكل عليه الأمر وتبيل وقال قائله بمثل هذا القول . ولن  
ينجو من هذا التبيل حتى يعبد خالق الذرة مع العابدين (غ)



الطبيعة الحديث . وقد نتج من ذلك أن صار في هذه الصورة أكثر مما كان في صورة الكون الآلية القديمة متسع للحياة والشعور يقومان فيه مع الصفات الأخرى التي تفرنها عادة بهما مثل الإرادة الحرة، والمقدرة على تغيير الكون إلى حد ما بوجودنا فيه وذلك في حدود الصورة نفسها . ومبلغ علمنا أو مبلغ ما يستطيع العلم الحديث أن يناقض به علمنا أن الأقدار المسيطرة على ذرات مخنا قد تكون هي عقولنا نحن وقد تكون هذه العقول هي التي تؤثر بوساطة هذه الذرات في حركة أجسامنا فتؤثر بذلك في أحوال العالم الذي يحيط بنا . ولم يعد العلم اليوم قادراً على ألا يميز هذا الاحتمال بفليس لديه حجج دامغة يرد بها على ما هو متأصل فينا من الاعتقاد بأن لنا إرادة حرة . على أن هذا العلم لا يشير أية إشارة إلى ما قد يكون لقدم السببية أو الجبرية من معنى ، فاذا كنا نحن والطبيعة بوجه عام لا نستجيب بطريقة فذة للمؤثرات الخارجية فما الذي يحدد مجرى الحوادث ؟ فاذا كان ثمة مؤثر أيّاً كان نوعه فإن هذا يلقي بنا في أحضان الجبرية والعالية وإذا لم يكن ثمة شيء من ذلك فكيف يستطيع حادث أن يحدث (١) »

(١) لم يبق إلا خطوة حتى يتدين العلم مضطراً . ان العلم منكر الجبرية والعالية كما رأيت وانكاره هذا يضطره إلى نفى الاحتمال الأول : احتمال تجدد مجرى الحوادث بمؤثر خارجي من عالمها ، فلم يبق للإجابة على سؤاله الاضطراري : كيف يستطيع حادث أن يحدث ؟ إلا جواب واحد هو ما أجمعت عليه الأديان وما توحى به فطرة الإنسان في كل ما عرف من تاريخه إلى الآن (غ)

وفي رأبي أنه ليس من المحتمل أن نصل إلى نتائج قاطعة في هذه المسائل إلا إذا فهمنا جيداً طبيعة الزمن الحقيقية خيراً مما نفهمها الآن. ثم أبان صعوبة فهم الزمن وأن قوانين الطبيعة الأساسية لا تقول لم يمر الزمن بلا انقطاع بل مستعدة لتجوز احتمال بقاءه ثابتاً لا يتحرك بقدر تجوز احتمال رجوعه القهقري. وذلك أن تقدم الزمان إلى الامام بلا انقطاع وهو جوهر الصلة بين العلة والمعلول إنما هو شيء أضفناه من تجاربنا الخاصة إلى قوانين الطبيعة المحققة وليست هي متأصلة في طبيعة الزمن وإن كانت نظرية النسبية تهم أن تسم الرأي القائل بتقدم الزمن تقدماً مستمراً وبوجود الصلة بين العلة والمعلول بميسم الوهم والخداع »

إن ماهية الزمن وما يكتنفها من غموض هي التي تمنع أفكارنا من التقدم وتقف بها عند حد محدود. وإذا كان الزمن من المسائل الأساسية وإذا كان فهمه على حقيقته سيظل انه فوق مستوى مداركنا، فأكبر ظننا أننا سننظر أعجز من أن تقضى برأى حاسم في النزاع الطويل الآن بين الجبرية والقدرية (١)

« على أن احتمال إلقاء مبدأ الجبرية وقانون السببية من علم الطبيعة يعدّ إلى حد ما من التطورات الحديثة في تاريخ نظرية الكمية (الكونتم) ثم ذكر قوانين بقاء المادة والكتلة والطاقة، واغترار علماء القرن التاسع عشر بذلك. ثم قال ص ٥٩ « وكان من عادة علماء الطبيعة في القرن

---

(١) يعنى القول بقانون السببية والجبر وعدم تخلف المسبب عن سببه، والقول بانخراص قانون السببية وتدخل القدر الالهى والارادة الحرة في نظام الكون والخلق.

التاسع عشر أن يتحدثوا عن هذه القوانين كأنها هي المسيطرة على الخليقة. وعلى هذا التفكير وضع الفلاسفة قواعدهم التي فرضوها على طبيعة الكون الأساسية. غير أن هذا كان يشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة »

ثم ذكر كيف هبت العاصفة بالبحث النظري الذي قام به السير ج ج طمسون بتغيير كتلة أى جسم مكهرب إذا ما حرك. الخ

وقال ص ١٤٠ « وقد يرى كثيرون من الناحية الفلسفية العامة أن أهم ما أنتجه علم الطبيعة في القرن العشرين ليس هو نظرية النسبية وما أدت إليه من إدماج الفضاء والزمن معاً ، ولا هو نظرية الكم وما يبدو منها في الوقت الحاضر من إنكار لقوانين السببية ، ولا هو تمزيق الذرة وما كشف عنه هذا التمزيق من أن الأشياء ليست كما تبدو في ظاهرها. بل أهم من هذا كله إقرارنا العام بأننا لم نلمس بعد الحقيقة النهائية ، فكأننا كما قال أفلاطون في تشبيهه الشهير لانزال محبوسين في كهفنا مستدبرين الضوء ، ولا نستطيع أن نشاهد غير الظلال على الجدار ، وكل ما يطلب إلى العلم الآن هو أن يدرس هذه الظلال ، وأن ييوبها ويفسرها بأسهل طريقة مستطاعة »

انتهى ما أردت نقله من كتاب الكون الغامض للسير جيمس جز العالم الفلكي الرياضي الطبيعي الانكليزي العصري الذي مات من بضع سنين. وقال ( ا. ن . داس أندريه ) في مقدمة كتابه « من أسرار الفطرة » تعريب الأستاذين الغمراوي والكرداني ، بعد ما لخص نظريات الطبيعة في الذرات في نصف القرن الماضي ونظريتها في أول هذا القرن ، وأورد

سؤال ناقد عالم الطبيعة إذ يقول: منذ نحو نصف قرن أخبرتنا أن الذرات صلبة لا تقبل انقساماً ولا انكساراً ، خلقت كاملة أول الخليقة واستمرت منذئذ في كمال غير منقوص . واليوم نخبرنا أن الذرات بنيات متفككة يسهل جداً كسرها . فأنت تتحدث عن ذرات شعاعية تتكسر وتتحول إلى ذرات أبسط ، بل وتبحث في احتمال أن تكون الذرات الأثقل قد تكونت في الأصل من الذرات الأخف . فأى قوليك نصدق ؟ إن نظريتك التي يقبلها جيل ينبذها الجيل الذي بعده ؛ فمن أين لنا أن نثق أنك هذه المرة على صواب ؟ فأجاب بقوله : إن الجواب الصحيح في رأيي هو أننا لا نزعم لنظرياتنا أى صدق مطلق ، إن الذى نزعمه إن نظرية مثل نظريتنا الذرية الحديثة لها مزايا عظيمة — إلى أن قال :

والنظرية تكون أحسن وأفضل كلما قل ما تستلزمه من افتراضات أساسية لتفسير ما يراد تفسيره . ولسنا نزعم لنظرية أنها نهائية بوجه من الوجوه ؛ فقد نفاجأ بكشف جديد يرغمنا على تعديل كثير من تفاصيلها . ثم قال : من هذه الوجوه تكون أية نظرية علمية خاصة مجرد أداة وقتية نتخذها لنقتطع بها من كتلة الفطرة معرفة لنا بالعالم المادى ، وقد تحل محلها في أية لحظة نظرية جديدة .

ثم قال : فالفرق إذاً بين أى اعتقاد دينى ، وبين نظرية علمية أن الاعتقاد فيه عند معتقديه عنصر من الحقيقة المطلقة ، أنه لهم علم يثبتون حوله أو يسقطون ، وفى التخلي عنه العار والاثم . أما النظرية العلمية فهي عند أهلها صحيحة مادامت نافعة ، ويعتبر رجل العلم حتى أحسن نظرياته

وسيلة مؤقتة تعينه على طريقه ، ولا ينفك ينظر حوله منقباً لعله يجد شيئاً خيراً منها وأشمل . اهـ

فهذا عالم طبيعي يكتب رسالة في نظريات الطبيعة الجديدة على ضوء ما اكتشف في أول هذا القرن وآخر الماضي يقول : لا نزع لنظرياتنا أى صدق ، ولسنا نزع لنظرية أنها نهائية بوجه من الوجوه فقد نفاجأ بكشف جديد يرغمنا على تغيير كثير من تفاصيلها ، ويعتبر رجل العلم نظرياته حتى أحسنها وسيلة مؤقتة ، ويرجو خيراً منها (١)

وقصدى بهذا هو الرد على هذا المغرور الذى يريدنا على الكفر بديننا لأجل ما سماه العلم والأسباب تبعاً لصنمه وغوستافه فى كتابه « الآراء والمعتقدات » فهذا كلام أهل العلم العصرى فيه ، وهذا كلامهم فى الأسباب التى يريد منا أن نعتقد عجز الله تعالى عن تعطيها إذا شاء عطاها ، وأنه لا يوجد مسبب إلا بسبب ، وأنه من يؤمن بالله فاعلا مختاراً لا يكون سببياً فلا يكون ناجحاً كما قرره فى فصله الأخير ؛ ونقلنا لك نصوص عباراته الشنيعة فى ذلك الفصل الذى يشكك فيه فى وجود الله تعالى

ولست أكتب هذا لأهل الإيمان بدينهم ، وبكتاب ربهم وبما جاء فيه من أوصاف الله تعالى وكمالاته وقدرته وحكمته واختياره ، وما اتفقت عليه الديانات فى الإيمان بالله واختياره . وإنما كتبت هذا للذين اغتروا بكلام صاحب الأغلال فتشككوا فى كلام الله وكلام نبيه ، وآيات الله التى

(١) فكيف يمكن أن يبنى عاقل على النظريات العلمية مهما كانت ، نقداً يشكك به فى أصل من أصول الدين اليقينية ( غ )

التي أيد بها رسله ، وأكرم بها أوليائه ، بل تشككوا في الله سبحانه الفاعل المختار . وقد كشف عن اعتقاده أن المؤمن بالله فاعلا مختارا لا يمكن أن يكون سببياً مؤمناً بالأسباب ، ولا أن يكون ناجحاً ، وقد أشاد بالأسباب في كتابه وعقد لها فصلاً خاصاً ، فأبان بهذا أنه لا يؤمن بالله العظيم رب العالمين خالق السموات والأرض سبحانه وتعالى عما يقول الدهريون علواً كبيراً الذين قلدهم بغير عقل ولا بصيرة ولا فهم كلوبون وقد تقلت لك من كتاب الآراء والمعتقدات ما تعلم منه أصول كتاب الأغلال . فالرجل الذي يصف أنبياء الله ورسله في كتابه « حضارة العرب » ص ٣٤ بأنهم من ذوى الهوس ، ويقول فيه آخر « ص ٣٣ » « حقا إن من عجائب التاريخ أن يلبي نداء ذلك المهوس الشهير - يعنى النبي ﷺ أعلى الله قدره وصانه من هذا الشين - شعب جامح شديد الشكيمة لم يقدر على قهره فاتح ، وأن تنهار أمام اسمه أقوى الدول ، وأن لا يزال يمسك وهو في جأشه ملايين من الناس تحت لواء شرعه » الخ

فهل مثل هذا الجاهل الوقح يقلد ويجعل أصول دهريته مواد لتحريف دين الأنبياء إليها ؟

فاسمع كلام صاحب الأغلال في المتدين ومن يؤمن بالله واليوم الآخر واقرأ من وسط « ص ٣١٦ » إلى وسط ٣١٧ كيف تهكم بالمتدينين وبإلههم وشبههم وشبه إلههم أقبح تشبيهه إلى أن قال « ص ٣١٧ »

« اننا اذا تصورنا ذلك كله لم يعسر علينا أن ندرك كيف عجز المتدينون

- على اختلاف ديارهم وأزمانهم وأنبيائهم<sup>(١)</sup> وأمزجتهم وأجناسهم - عن أن يهبوا الحياة شيئاً جديداً ، وأن يكونوا فيها مخلوقات متألقة

( وأمر آخر ) ذلك أن المؤمنين يرون دائماً أن الله حينما خلق العالم وخلقهم قد ضمن أرزاقهم وكفلها وتعهد بحمايتهم ورعايتهم في كل أمورهم أو جلها . . . فيصيبهم هذا الاعتقاد بمثل ما يصاب به الطفل المدلل المسكفول بين والدين مدللين رحيمين ثرين أى يصاب بالتواكل والاعتماد على القوى الخارجيه وحينئذ لا يصنعون لأنفسهم ما يجب أن يُصنع وما لن يظفروا به إلا اذا صنعودهم ولا يمكن أن يكونوا في أفكارهم مثل الذين يرون أنهم متروكون موكولون لقواهم ولا تقسمهم .

ومثل بالطفل المدلل مع ذلك الرجل العصامي الذى يعمل ويناضل ويعيش وإلا فلا سبيل له إلى البقاء .

ثم قال فى آخر « ص ٣١٧ »

« ثم ان المؤمن يعتقد عادة - بأن الله تفضل عليه وأوجده من صميم العدم فمن الواجب عليه أن يشغل بخدمة ذلك الرب المتفضل وبالألقطاع لعبادته . . . وأن يصرف - ان استطاع - كل قواه وأعماله وأوقاته أو أكثر ذلك الى القيام بشكر ذلك المنعم الخالق المتفضل . . . وحينئذ يجىء عاجزاً فى تناوله الأمور والحياة ويكون دون ذلك الذى صرف جميع قواه وأوقاته فى سبيل الانتصار فى معركة الوجود والبقاء »

(١) تأمل ذكر « أنبيائهم » لتعرف تفاقه حينما يذكر أنه يريد الدين الباطل فما كان الأنبياء ليأتوا الا بالدين الصحيح فهم عنده لم يهبوا الحياة شيئاً جديداً ولم يكونوا فيها مخلوقات متألقة يعنى كالملاحدة والزنادقة الذين وهبوا الحياة وتألّقوا فيها بزعمهم ، وباليته أعلن دهريته صراحة بدل هذا النفاق المفضوح وهاجم بطلا لا ثعلبا مراوغا محتالاً

هذا هو رأيه في الايمان بالله والمؤمنين به لا يحتاج إلى تعليق ، تكفى قراءته للحكم عليه .

أما رأيه في الايمان باليوم الآخر ركن الايمان فى كل الأديان السماوية ، والذي قرنه الله مع الايمان به فى غير آية ، فقد مهد لذلك بذكر الآمال والأهداف ، وان المؤمن هدفه الأكبر وأمله الذى يملأ قلبه هو الايمان بالآخرة . ثم رتب الحكم على ذلك فقال (ص ٣١٨)

« على أن هنالك ما هو أكبر وأظهر فى ايجاد الاختلاف بين المتدين وغيره فى هذه القضية

ثم ذكر أنه لا بد للإنسان من أمل وأنه لا يحيا إلا بأمل ، واختلاف الناس بحسب اختلاف آمالهم . إلى أن قال آخر هذه الصفحة

« على أنه لا خلاف فى أن أسمى هذه الآمال وأقواها فى الاجتذاب والتوجيه والسلطان هو ذلك الامل الضخم الابدى فى تلك الحياة الفخمة الابدية التى ينال فيها المرء الخلود وكل ما يرجى من حاجات الجسم والنفس بدون أن يكدر ذلك شئ من المسكدرات المعروفة التى تشوب لذائذ هذه الحياة الاولى القصيرة ، فاذا استطاع إنسان أن يتمثل هذا الامل وأن يغنى ويتغنى به ، فلا محالة من أن يشغله ذلك عن كل شئ فى هذا الوجود وقد يطغى عليه وعلى وجوده حتى لا يدع لهذه الحياة شيئاً وقد يدع شيئاً قليلاً أو كثيراً ، وقد يفنى عن هذه الحياة ويغيب عنها لانه ليس من أهلها لا ينافس ولا يغضب ، ويصير كذلك الرجل الورع الطيب ( يعنى عبد الله بن عمر ) الذى صرفه ورعه ودينه عن كل ما هنا حتى قال فيه معاوية بن أبى سفيان ، وهو يضع خطوط الطريق لابنه يزيد ، أما فلان ( يعنى ابن عمر ) فقد أعجزه الورع فدع له دينه يدع لك دنياك

فاذا لاحظنا على المتدينين - أفراداً وشعوباً - عجزاً عن ايجاد الحياة وعن



التحليق بالصناعة والزراعة أو التجارة أو العلوم المادية الانسانية ، أو عن أى شىء ما من وسائل الحياة وأسبابها فلتعلم أن أحد أسباب هذا العجز هو التصور لهذا الامل العظيم ( أمل الايمان بالآخرة وسعادتها ) والانصراف اليه بأكثر العقل وأكثر الامل وأعظم الاهتمام

ثم مثل بعلى بن أبى طالب وجيوشه وانهزمهم وانهيارهم لايمانهم أمام معاوية وجنوده — يعنى لعدم إيمانهم — ثم قال ص ٣١٩

« وإذا ألفينا الرجل التقي الورع المحافظ على فروضه وعباداته ينهزم شر هزيمة فى كل عمل يتناوله أمام ذلك الذى جعل فرضه ودينه وعبادته هو التحليق بتجارته أو صناعته مصيراً ذلك إلهه المطاع المعبود وربّه

فالمؤمنون يشتغلون اذن بأملهم فى الآخرة عن أن يصنعوا لهم فى الدنيا أملاً جسيماً عظيماً فيأتون عادة عاجزين عن اللحاق بالآخرين الذين صنعوا لهم هذا الامل ثم أعطوه كل نشاطهم وإبداعهم فأصبحوا فيها السادة الغالبين ثم مثل بأوربا أيام كانت مؤمنة بالكنيسة فى ذلها وهوانها ، وضعفها وعجزها . ثم قال :

« فلما أن مرقت من إيمانها وتنازلت عن ذلك الامل الاخرى وجعلت الصناعة والتجارة والحياة الكبيرة القوية هى آلهتها التى وحدتها وأبت الاشراك بها صعدت بالحياة الصعود الذى أعجز أبصارنا بنوره والنظر إليه . وقد قال أحد فلاسفة الانجليز المعاصرين <sup>(١)</sup> المدرسين اليوم فى إحدى الجامعات البريطانية — وهو ملحد كما هو الظاهر — إن أوربا لم تستطع أن تكون أوربا إلا بعد أن أعتقت نفسها من رق الايمان بالآخرة وبالله »

(١) الظاهر أن العبارة هى لغوستاف لوبون فالمعاصرة هى له لاللاكاتب خوف ما توهمه عبارته وسرقته التى لم يعز فيها الكلام لصاحبه . ولعله يريد سبنسر فيلسوف الانجليز

ثم مثل بروسيا القيصرية المسيحية منذ أقل من ثلاثين عاماً انها كانت مثلاً طيباً للفقر والضعف والسكنة والجهل حينما كانت مسيحية متدينة صالحة . فلما أن مرق بها البلاشفة وصنعوا لها أرباباً أخرى وعبادة أخرى صارت هي روسيا اليوم قاهرة ألمانيا التي لم تكن تقهر . الخ .. والواقع يكذبه فروسيا الدهرية الشيوعية ليست خيراً الآن من روسيا القيصرية المسيحية في الغنى والقوة ، ولا روسيا الشيوعية الدهرية هي التي كسرت ألمانيا وحدها بقوتها ودهريتها ، وأسباب هزيمة ألمانيا معلوم لأطفال السياسة ، فمقدمات استدلال الكاتب كنتائجها سفسطة وكذب على الواقع ولكن الهوى في احتقار الدين ورميه بكل باطل يعمى ويصم ، وما الحيلة فيمن يخرق (١) ثم يستدل خرقه بيهتان يفضحه الواقع المشهود ؟

ثم مثل بتركيا اليوم وكل الأمم الحديثة والقديمة وباليابان والصين ، ثم بالهند واختلاف الديانات فيها . إلى أن قال ص ٣٢١

والعقلاء يعلمون اليوم جميعاً أن الهند لن تظفر بالحياة المرتجاة ما لم تغير أديانها أو تغير فهمها لها أو تتركها .

وقد أ كذبه الله في كذبه على العقلاء ، والهند اليوم تسلمت مقاليد حكمها ، وصارت دفة البلاد بيد أهلها ، هندوسها ومسلميها كل في بلاده بدون تغيير دينهم . فأعجب بالجراءة على الله وعلى غيبه ومستقبله

ثم مثل بآبداع الاغريق والرومان والمصريين القدماء (٢) وغيرهم لمبالغة في حب مظاهر هذه الطبيعة حتى عبدوها وصيروها كل أملهم ورجائهم المنشود

(١) خرق كذب واختلق ومنه قوله تعالى (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم)

(٢) المعروف أن مدينة قدماء المصريين ورقبهم إنما كانت بدافع الايمان بالآخرة

« وهوت الأمم الأخرى التى انصرفت بآمالها عما ترى وتحس وتجد ، إلى ما لا تحس ولا تجد ولا ترى ، حتى ان رجلا فيلسوفا عظيما هو الدكتور غوستاف لوبون لما لاحظ هذا قال فى كتابه الموسوم (بالآراء والمعتقدات) « إن الايمان بالله وحده كان نكبة على البشر » لأنه على ما زعم قد وقف بالحضارة عن التقدم إلى الأمام . قال « ولم تستطع الحضارة البشرية أن تخطو خطواتها الصحيحة إلا فى عهد الوثنية وعبادة الأصنام » (١)

تبرأ الكاتب فى حاشية سفلى هنا من كل زيغ وإلحاد ، وأن غرضه من هذه الأقوال الاعتبار وطلب الفائدة ، لا الايمان بها ، مع أنه قررها أولا وأعاد وكرر فى تقريرها ، فما استشهد بكلام غوستاف لوبون إلا بعد ما قرره فى عمل الاغريق وما عطف عليهم وإبداعهم لعبادتهم ما تحس . الخ ثم إذا كانت فى هذه الأقوال فائدة واعتبار فلم لا يؤمن بها ؟ هل يستفيد الانسان ويعتبر الا بما يؤمن به ؟ وأى فرق بين قول غوستاف وقول الكاتب « وهوت جميع الأمم التى انصرفت بآمالها عما ترى وتحس وتجد إلى ما لا تحس ولا تجد ولا ترى »

أليس هذا هو الكفر بعالم الغيب الذى هو أحد أركان الايمان فى الديانات السماوية كلها ، فإله وملائكته واليوم الآخر والجن وخبر الرسل المتقدمين : كل ذلك من الغيب الذى يجب الايمان به والذى امتلأ به كتاب

(١) لم يكن يخطر ببال أن يصل السفه والشطط بمجد أيا كان إلى تفضيل الوثنية على الأديان السماوية ، وعبادة الأصنام على عبادة الله ، وعقل ينزل به السفه إلى هذا الدرك جدير ألا يؤبه بأى قول يقوله فى أى ميدان من ميادين القول لأن يؤتم به ويحتج بقوله فى نقد دين ما ، بله دين الاسلام (غ)

الله تعالى حتى ان أول وصف للمتقين في أول سورة البقرة قوله تعالى ( الذين يؤمنون بالغيب ) فإذا قرر الكاتب أن الامم التي تترك ما تجد وترى وتحس إلى ما لا ترى ولا تجد ولا تحس ، تهوى . فهذا هو قول غوستاف : ان الإيمان بالله وحده كان نكبة على البشر ولم تستطع الحضارة البشرية أن تخطو خطواتها الصحيحة القوية إلا في عهود الوثنية وعبادة الاصنام فهل يظن الكاتب أن القراء لا عقول لهم فيقرر كلام لوبون أعظم قرير ، ويستدل به ثم يذر الرماد في العيون بهذه الحاشية المتهاففة التي ينقضها ما في أعلى الصحيفة

ثم مثل بملاحظات فردية بنجاح غير الاتقياء فقال ص ٣٢٢

« ومن الملاحظات الفردية في هذه القضية أن الآحاد الذين نراهم ينجحون في التجارة أو الصناعة أو العلوم أو غيرها من الجوانب الانسانية هم دائماً من غير الاتقياء الورعين وأنه لا يقدر على المنافسة القاصمة إلا أولئك الذين تركوا الأوامر الدينية جانباً وراءهم حتى اننا إذا حاولنا أن نلتمس في تاريخنا نفسه مكان أولئك الأفاضل القلائل الذين بلغوا في سماء الشعر والأدب الخالد أو قاموا بنظريات علمية لها بقاء وخلود أو جاؤوا بفلسفة ذات شأن معترف به بين الفلاسفات لم نجد لهم إلا بين أولئك الذين وصفوا بالتمرد والانحلال الديني أمثال المتنبي وأبي العلاء وابن الرومي والجاحظ وابن سينا والرازي والفارابي وابن رشد وجابر بن حيان والحسن بن الهيثم وسواهم . ولا يزال حتى اليوم نرى أنه لا يقوم بتصرف شؤون الدولة الكبيرة كالوزارة والسفارة وأمثالها الاجاعات تختار من غير الاتقياء حتى امنا ( يريد أمتنا يعني السعودية ) التي شهرت بالتدين وبتأسيس ممالكها وحكمها على أوامر الله نجدها تعرف هذا وتعترف به وتكل أمورها الرسمية ذات الشأن إلى غير المتدينين ، وهذا لانها تعلم بالاستقراء والتجربة

أن هذه الشؤون اذا أسندت الى جماعات الصالحين لم يحسنوا ولم يستطيعوا القيام بها »

ثم استشهد بقول عمر « لوددت انى وجدت رجلاً قويا تقياً مسلماً أستعمله » وبقوله « إني أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الورع » الذى لم يفهم الكاتب مراد عمر منه فلم يكن عمر يوماً ما دهرياً حتى أيام جاهليته بل كان يعرف الله ويخافه بالغيب ويقدم فى حكومته المؤمنين ويرضاهم ويأتمنهم ويبعد الفسقة بله الكفرة بله الدهرية ، وحكاية إنكاره على عامله أبي موسى الأشعرى استكثابه لنصرانى معروفة .

وهنا نسأل الكاتب سؤالين نرجو جوابهما صريحاً بدون مداورة أو روغان .

(الاول) مؤسس المملكة العربية جلالة الملك عبد العزيز بن سعود هل هو مع نجاحه الباهر تقي ورع صالح أو فاجر متمرّد تارك لدينه وراء ظهره ؟ فان قال بالاول انتقضت قاعدته رأساً على عقب ، وان قال بالثاني - ولا أظنه يقول به وان اعتقده - كذب به الواقع الملموس المحسوس . فهو مخالف للواقع على كل حال

(ثانياً) عمر بن الخطاب ذلك العبقرى الناجح الذى فتح الشرق والغرب هل كان متديناً تقياً ورعاً متبعاً لدينه مصلياً مسجماً عابداً أو كان فاجراً فاسقاً تاركاً لدينه وراء ظهره ؟ فان قال بالاول تبعثر كتابه شذر مذر ، وتبخرت بحوثه وجهوده ، وتناثرت أفكاره وذهبت أدراج الرياح وانمحى ما يدعوا اليه ويشير به من الكفر بالله واليوم الآخر والفجور والاحاد .

وإن قال بالثاني باهت التاريخ والواقع ، وصار مفترياً كذاباً أفاكاً ، قليل العقل والحياء .

ثم نسأل عظماء رجال المملكة السعودية من وزراء وسفراء وغيرهم : هل هم حقيقة فجار فساق ليس لهم دين ولا تقوى ولا ورع ، فلذلك نجحوا وأسندت اليهم هذه المهام لعدم دينهم ولفسقهم ونجورهم ، وعدم تقواهم وورعهم ؟ ثم نسأل الحكومة السعودية نفسها : هل هي حقا وثقت بمن لا دين له لعدم دينه ، وأنها لا تثق بالمتدينين من أجل دينهم ؟ وهل حقا ما قاله ذلك الكاتب فيها وفي رجالها ؟ نريد أجوبة صريحة في ذلك كله

المتدينون لا عقل لهم بتجربة الكاتب وحكمه عليهم . قال ص ٣٢٣  
ثم انه قد علم بالتجربة أن المتدينين يفقدون الميزان الفكرى الذى توزن به الأمور فى الغالب <sup>(١)</sup> ويصبحون من الناحية النفسية أناساً طيبين خيرين فاقدين لكل مناعة عقلية مستعدين استعداداً غريباً للوقوع فى حبائل المشعوذين والدعاة المضللين ، عمن عن كل الحقائق التى يراها ويستفيد منها الآخرون ويرتفع لديهم سعر التهريج والدجل ارتفاعاً عجيباً وتنبت أرضهم الدعاة الكثيرون - دينيين وغير

(١) فان أردت الاصول التى فرعها الكاتب من كلام غوستافه فى كتابه ( الآراء والمعتقدات ) فاسمع لقولة لوبون ص ١٤٦ « المعتقد هو إيمان لا يتطلب لثبات أمره أدلة - الى قوله « وبراہین المؤمنین فی الغالب صبیانیة بالنسبة للعقل ومع ذلك فليس من خصائص العقل أن يقضى فيها لاشتقاقها من عناصر دينية أو عاطفية لا صلة بينه وبينها . ولما كان العقل غير مشترك فى تكوين المعتقدات فانه لا حد لسرعة التصديق فى المؤمن ، ولا يتخيل أن المؤمن يعاقد الاشياء من غير برهان بدليل أنه يستشهد بالبراہین على الدوام ، غير أن هذه البراهین التى يقنع بها تدل على ما فيه من سذاجة متناهية ، وسرعة تصديق متأصلة »

دينين .. ويصيخون لكل ناعق ويهبون بسخاء نادر جيوبهم وقلوبهم وعقائدهم لكل سائل لأنهم بعد أن عزلوا<sup>(١)</sup> العقل وتنازلوا عن تحكيمه عجّزوا عن أن يعرفوا الحق من الباطل ، والصادق من الكاذب ، والقائد من الصائد ، فصدقوا المستحيلات والمتناقضات ، وآمنوا بأشنع الترهات ، لأن العاصم من كل ذلك وهو العقل — قد أبعد وعزل »

ثم مثل لانهم عاقل المتدينين بتصديقهم لما كان يشاع في الحرب الماضية ثم استطرد فعمم عدم العقل عند المتدينين قديماً كما هو الحال الآن ، واستشهد بأشعار من ذلك ثم كلف نفسه تعليل ذلك فقال ص ٣٢٥

« ومن الواجب أن نعرف سبب هذا الاستسلام والضعف الفكري لدى هؤلاء المتدينين والذي يظهر لنا كثيراً أن من أسبابه أنهم ينكرون أن يكون بين أحداث هذا الوجود ترابط عقلي وتعليل ثابت بل يرون أن الوجود كله — بما فيه من حوادث وأحداث محكوم بقوة مجنونة — أو هي كالمجنونة — في أفعالها وتصرفها ( أنظر كيف يعبر عن الله الفاعل المختار ) ولهذا فلاقوانين ولا ضوابط للمعجزات والحوارق — تأمل شكه في آيات الأنبياء ومعجزاتهم — فكل

---

(١) من الذي قال ان المؤمنين المتدينين عزلوا العقل وتنازلوا عن تحكيمه ؟ وأي قيمة لقول كهذا مادام مصدره الهوى والتجنى على الدين وأهله ؟ ومن الذي قال إن الاسلام يعزل عن العقل — والرجل يكتب للمسلمين لاليهود ولا للهندوس والاسلام يحكم العقل ويأمر بحسن تصرفه واستعماله في مئات الآيات ان الرجل يكذب ويفترى ويتخذ من افتراءاته حججاً على الناس ممن يكرهه ؛ وللناس ممن يود أن لو كان مثلهم في الدنيا . ولقد كان يستطيع أن يقلد أهل الدنيا في أخلاقهم وسننهم ويجربها في نفسه لننظر أين تنفضى به من غير أن يطعن في أهل الدين كل هذا الطعن المنكر المكذوب ( غ )

شئ جاز وكل شئ مستحيل<sup>(١)</sup> فيصابون بالفساد الفكرى العام وإذا اختلت الوسيلة فكذلك النتيجة . وإذا انهار الاساس انهار بلا شك مارع عليه ! ولن تجد ميزانا فكريا لدى هؤلاء الذين يعيشون فى هذا الجو المسحور المجنون المائج بالخوارق والمعجزات والكرامات التى صنعها الشيوخ والصالحون ساخرين من القوانين الطبيعية »

فأعاد ما كرهه سابقا ان الايمان برب فاعل مختار يفعل ما يشاء على مقتضى حكمته لا على موجب هوس الماديين الطبيعيين وأغلاهم المقيدة لأفهامهم ، وأنه يؤيد رسله بالآيات والخوارق التى تعمى عيون معارضهم وتحير أصحاب الفكر المادى ، فيلجأون إلى البهت والتكذيب بما لم يحيطوا به علماً . قرر الكاتب أن هذا كله مناقض للعقل مبعد له . الخ ماسمعه من كلامه . ثم مثل ضعف عقولهم بقسوة قلوبهم معللا لذلك فقال ص ٣٢٥

« وهذا التعليل صحيح على وجه الاجمال كما يبدو لنا كما علل بعض علماء النفس والاجتماع القسوة التى يتصف بها المتدينون غالباً إذا قدروا وأخذهم خصومهم أخذاً خالياً من الشفقة الانسانية - بكثرة ممارستهم صناعة التخويف والتهويل للعصاة والكافرين وكثرة قراءتهم النصوص التى تصف الأهوال المعدة لأهل الآثام والشهوات فقد صاغوا طباعهم وأنفسهم بطابع الغضب والقسوة والعنف فارتاضوا على ذلك كثيراً حتى أصبحوا وحوشاً تنطق باسم الدين وتفترس على حسابه . ومن ثم فأننا نعتقد أن هذه الجماعات المنسوبة إلى الدين الناطقة باسمه لو انها استطاعت الوثوب على الحكم ووضعت السلاح فى يدها لحكم البشر

---

(١) كذا والعبارة مختلة ولعلها كانت هكذا « وكل شئ غير مستحيل »

ولكن غير الورعين الذين طبع كتابه عندهم حرفوها له كما أنه مرت تحريفات أخرى غيرها ص ٢٩٠ س ٧ وس ٩ فكيف لم يصححها ولا غير المتدينين



عهد من الارهاب يتضاءل ازاءه كل إرهاب يستنكره العالم اليوم <sup>١)</sup>. وهذا أمر يجب أن يعرفه أولو الرأي والمقدرة وأن يحسبوا له الحساب قبل فوات الأوان ولن تجد أقسى قلباً ولا أفتك يداً من إنسان يثب على عنقك ومالك ويقتلك ويسلبك معتقداً أنه يتقرب إلى الله بذلك ويجاهد في سبيله وينفذ أوامره وشرائعه . والسوء لمن ناموا على فوهة البركان قائلين لعله لا ينطلق <sup>٢)</sup>

ففي هذا الكلام استهزاء بالنصوص الدينية الأخروية في وعيد العصاة والفجرة والكفرة . فاذا ضم مع ماتقدم من التشكيك في الله تعالى

(١) هذا كلام ملقى إلقاء من غير تقدير ولا حساب وإلا فالتعصب ضد أهل الدين هو وحده الذي يزين لمثل هذا الرجل أن أهل الدين يكونون في الحكم أقسى على خصومهم من أهل الثورة الفرنسية مثلاً في الماضي وأهل الشيوعية في الحاضر (غ)

(٢) وفي حاشية ص ١٨٠ رعى المتدينين بالقسوة والخشونة في معاملة الناس ، وعلل ذلك باعتقادهم أن الاتصال بالله والايمان بعظمته وكامل قوته يستلزم إهانة خلقه الضعفاء فستهم وإهانتهم كالبرهان على الثقة بالله وعلى أن الضر والنفع منه وحده . اه فهل تعجب من هذا البهتان الذي يفضحه الواقع أو من الحقده على الدين وأهله أو من هذه القحة المفضوحة وإن أردت أن تعرف كيف نبت هذا الفرع الأغلالى من أصل غوستافى فافقرأ ما كتبه لوبون فى كتابه ( الآراء والمعتقدات ) ص ١٤٦ س ٧ « ويتضمن اليقين الدينى واليقين العاطفى فى الانسان احتياجا يدفعه إلى حمل الناس عليهما ، فالمرء عند مايؤانس من نفسه قوة لا يتحمل أن يرى يقينا غير يقينه عند الباقيين ولا يتأخر لحظة عن اقتراف أشد المظالم والاتيان بأنطلع المذابح فى هذا السبيل حتى لقد خرب أولو اليقين العالم فى كل زمان ومما

على الأمة أن يقودها هؤلاء . . . فليوقن رجل ذو قوة كأمبراطور المانيا يقتبس قوته من الله ثم ليتوهم أن الله أمره بشهر الحرب على الملاحدة لئى كيف يقلب أوربا كما قلبت فى الماضى بفعل مثل ذلك اليقين » اه

واحتقار المؤمنين بالآخرة ، وتعظيم الفجار والكفار والكفرة بهما، علمت ما ينطوى عليه جناح الكاتب وأهدافه في أغلاله . ثم التشهير بالدين وأهله ورميهم بالقسوة والغلظة التي لا نظير لها في تاريخ العالم ؛ ثم تحريض أهل القوة والرأى والسياسة على خنق الدين وأهله وكنم أنفاسهم ومحققهم قبل أن يثوروا كالبركان، ثم الهزء بالجهاد في سبيل الله ورمى أهله بالقسوة والوحشية كنت أعجب كيف جاءت هذه الأفكار الهدامة الفجة الدهرية لمثل هذا المطوع (١) العامى الذى لم يؤت من العلم ما يوازى الشهادة الابتدائية فضلا عما فوقها من فنون العلم والعرفان ، وبدايته ونهايته العامية معروفة لدى عارفه فقط ثم خطر ببالي انه طالع كتب غوستاف لوبون مثل كتابه « الآراء والاعتقادات » « وروح الاجتماع » « وسر تطور الأمم » الخ وأمثاله من الهدامين لجود النصرانية فى العصور المتأخرة ومحاربة سيطرة الكنيسة على أهلها بالعدوان والظلم والجهل

فتغذى هذا الكاتب بهذا القبيح والصديد ونفثه سموماً على دين الاسلام وأهله ولم يعلم - وهو يدعى العلم والفهم - ان الاسلام وأهله وتاريخه غير النصرانية وأهلها وتاريخها ولكن (من لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (ومن يضل الله فلن تجد له وليا مرشدا) (أرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره عشاوة فمن يهديه من بعد الله؟ أفلا تذكرون)

(١) المطوع بلغة نجد هو المتشبه بالمتعلمين وليس بهم وهم كصنف الفقهاء بمصر الذين يظهرون بمظهر العلماء وملابسهم وليسوا بهم .

أراد الكاتب أول ص ٣٢٦ ان يعتذر عما بصق من فيح وسموم وأقذار في وجه طهارة الدين ونقاؤه فاعتذر بعذرين (احدهما) ان الدين «إذا أخذ على غير وجهه وقصد به ضاراً ومفسداً لأخلاق الانسان وكل معانيه الطيبة .. (وثانيهما) أن البشر عاجزون - فيما يبدو لنا حتى اليوم - عن أخذه وفهمه وتصوره على وجه النافع المفيد بل هم إما أن يبقوا غير متدينين أو متدينين تدنياً باطلاً - كما أثبت هذا جملة تاريخ الانسان ولا بد من استثناء فترات أو ومضات قليلة خافتة » ويظهر أن المبادئ الانسانية العظيمة تأتي دائماً سابقة لاستعداد الجماهير من البشر فإذا دعوا إليها أو فرضت عليهم - قبل تمام هذا الاستعداد - أخذوها أخذاً سيئاً ضاراً بهم وباللبادى نفسها وذهبوا يعملون بها على غير وجهها وصوابها ومن هنا تأتي النكبة . . والدين هو أحد هذه الامور الجميلة التي عجز الناس عن تصورها تصوراً صحيحاً لأنها جاءت قبل استيفاء استعدادهم الموقوت، فراحوا ضحايا هذا التصور الباطل »

فالدين في نظر الكاتب لم يفهمه الناس إلى اليوم، والرسول تبعث عبثاً وأتباعهم لا يعرفون الدين حتى يحىء هذا الكاتب ومن تغذى بأفكارهم يفهمون الدين فهماً دهرياً، من أسباب لا تتخلف، ولا يمكن لله أن يبطلها، ولا أن يحول بينها وبين مسبباتها . وكذلك من فهم الله فاعلا مختاراً يؤيد رسله بالآيات ويحرق لهم النواميس التي لا تحرق عنده هذا الكاتب وأمثاله فقد فهم الله قوة مجنونة أو كالمجنونة فلم يفهم الدين فهماً صحيحاً، ومن كان سببياً ناجحاً فلا بد له من الشك في الله وقدرته، ومن آمن بالله فلن يكون سببياً ناجحاً له عمل في الحياة متألقاً فيها . أما أنبياء بنى إسرائيل وأنبياء المتدينين عموماً فكانوا كالآيمان بالله واليوم الآخر نكبة على البشر تأخيراً للحياة وأهلها . الخ

### ويتنبأ الكاتب ص ٣٢٦

بمجيء اليوم الذى يقدر البشر فيه أن يدركوا من حقائق الاديان ما لم يدركوا وأن يفهموها ويفهموا مراميها السامية كما أريد منها وبها وحينئذ — حينئذ فقط ستبلغ بهم السمو المقدر لهم ولها »

ذلك اليوم الذى يترقبه الكاتب فيما نراه نحن هو يوم انتشار الفوضى الاخلاقية والدينية ، يوم يمشى الناس عراة كالبهائم ، ويتسافدون فى الطرقات كالجر ، كما أشار اليه الحديث الصحيح « إن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس وعلى لكع بن لكع » ويوم تطلع الشمس من مغربها وحينئذ (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً) ( وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون ) وينطمس معالم الدين حتى لا يقال فى الأرض الله الله . يوم تهب ريح طيبة فتقبض كل نفس مؤمنة ، وتكون حينئذ الدهرية مستحكمة ، والايمان بالطبيعة وجمالها — على حد تعبير الكاتب — قائماً ، آخذاً بزمام الناس ، وحينئذ تكون الساعة كالحامل التم لا يدري أهلها متى يفجأهم وضئها ...

﴿ فصل أماننا لا وراءنا ﴾ ص ٢٨٧

يريدنا الكاتب فيه أن نكفر بالقرون الفاضلة من الصحابة والتابعين  
ونرفض القدوة بهم وتعظيمهم ، وأن نكفر بهؤلاء الأئمة ومعارفهم  
وفضائلهم ، وما قالوه وعملوه أو تركوه لنا ، وتهكم بمن يدعو إلى الأخذ  
بما أخذ به الأولون ، فقرر نظرية النشوء والارتقاء في المادة والجماد والنبات  
والحيوان ؛ وحكى ما تخيلوه في كيفية نشوء هذا العالم من مادة سديمية  
وكيف تجمعت وتكتلت شمساً وسيارات وأقماراً بكلام غير مفهوم  
بلسان العلم اليوم ولا بلسان الدين أمس ، فقال (ص ٢٨٨)

« ثم أخذت هذه النجوم والشموس بالتفاعل نفسه وبلاستعداد والخبوء  
فيها للتطور تنقسم على نفسها وتنفصل عنها النجوم والسيارات والتوابع ليكون  
لكل شمس من هذه الشموس مجموعة متماسكة من هذه المجموعات التي يدعونها  
اليوم المجموعات الشمسية أو المجموعات النجمية التي إحداها مجموعتنا الشمسية  
التي نحن إحدى رعاياها .

فأنت ترى في تعبيره هذا أنه لم يقل أو لم يعرف ما قاله العلم اليوم في  
تولد الشموس والسيارات وتوابعها ، ولو قرأ كتاب (النجوم في مسالكها)  
وكتاب (الكون الغامض) كلاهما للسير جنز الفلكي الانكليزي ، لكان له  
تعبير آخر أقرب إلى كلام أهل هذا الفن . ولسنا في صدد حكاية كلامهم ،  
فهو مبسوط في محله ، والغرض التنبيه على أن الكاتب وقف على نظرية  
لا يـ  
رس في تولد السيارات من الشموس ، وهي اليوم أضعف نظرية في ذلك  
وأوهاها ، وقد جدت بعدها نظريات وستجد غيرها . والعلم الحق عند

خالق الكون وواهب العلم

ثم تدرج الكاتب من ذلك بعد كلام طويل ممل إلى نشوء الانسان في  
ثلثمائة الف سنة . وعبر بثلاثمائة سنة غلطا في موضعين (ص ٢٩٠ س ٧ و ٩)  
وقد نقلنا كلامه بنصه فيما مضى (ص ١٤) ثم تدرج من ذلك بسفاهة ووقاحة  
وبذاءة على زعماء الدين فقال (ص ٢٩٣)

« أما هؤلاء الذين قلدوا الزعامة الدينية واختيروا لقيادة الفكر الاسلامي  
في أحوال سيئة قاسية ولأسباب ينكرها الدين والعلم قد عصفت بهم نوبة من  
نوبات الفساد الذهني وموجة من موجات العماية الأصلية واجتاحهم إعصار من  
أعاصير الجهل التليد البليد فقاموا وهم يترنحون من الغباوة ويتمايولون على أنغام  
الشیطان ليقعوا على أ كذوبة علمية من أعظم وأشهر الأكاذيب العلمية في  
التاريخ فقد زعم هؤلاء - بين هتاف الغباء المتواصل - في كل كتاب كتبوه  
وقول قالوه أن سعادة الانسان وطريق تقدمه وراءه لا أمامه ، وأن عليه أن  
تلتفت خلفه أبداً وألا يمد بصره بين يديه أبداً وأن يرجع القهقري وينكص  
راء ما استطاع إلى ذلك سبيلا ليظفر بالسعادة والعلم والعقل وبالأخلاق  
و- بعدالة والنظام الاجتماعي المبرأ من العيوب والنقائص وزعموا أن كل خير  
هو في أعمال الماضين وكل شر هو في أعمال المتأخرين وأن كل خير في اتباع من  
سلف وكل شر في اتباع من خلف وأن كل ما يمكن تصوره من الخير فقد مضى ،  
وكل ما يمكن تصوره من الشر فقد بقي . . .

إذ قد ادعوا أن الانسان في كل نواحيه العقلية والعلمية والاخلاقية والخلقية  
والجسمية قد أخذ حظه من الكمال في الزمان الأول ثم عاد يتناقص وراح  
ينحدر مسرعاً في سلم الرذيلة والجهل والانحطاط والضعف في كل شيء وأنه  
لا يمكن أن يتوقف عن انحداره حتى يقضى عليه القضاء الأبدى الأخير الخ .  
وحسبك من شتم هذا الوقح لمن احترم السلف وعظمهم ، واعتقد

فيهم الخير والفضيلة بذاءه وما هذى به من تحقير خير القرون وأزهر عصور الاسلام وحقده الذي لم يقدر على إخفائه على الاسلام وأهله وعلمائه ومُحماته . أما مسألة تقدم الإنسانية أو تأخرها ، وهل هي في ارتقاء أو انحدار ، فستأخذه عن أحدث آراء العلم عن لسان استاذ في جامعة من جامعات العلم بأوروبا التي يعبدها الكاتب ويؤمن أنهم هم الناس فضلا عن نصوص الدين كما ترى ، فماذا نشترى : ألد أم البعر ؟

جاء في مجلة الاثنين عدد ٦٧٦ ( ٢٦ مايو سنة ١٩٤٧ ) تحت عنوان ( يوم القيامة قريب ) « يقطع العالم الألماني شيلر الأستاذ بجامعة « بون » أن الانسان سيختفي قريباً عن ظهر الكون ، وأن يوم القيامة أقرب مما يظن الكثيرون ، وهو يضع لحكمه هذا « حيثيات » نردها فيما يلي :

١ - لم يطرأ أى تحسين على النوع البشرى منذ مدة طويلة من السنين ، وهذا ثابت بالتأرجح التشريحية للجسم والمخ

٢ - فان عقل الانسان في القرن العشرين لا يختلف وعقل الانسان منذ فجر التاريخ . وليس أدل على ذلك من أن قدماء المصريين كانوا عباقرة في شئون الهندسة والمعمار والكيمياء وفنون الحرب ، والفينيقيين كانوا نوابغ الجغرافيا والملاحة والتجارة . وقداماء الاغريق كانوا أرباب الأدب والشعر والنحت والموسيقى

٣ - وإذا كان الانسان قد توصل إلى عدد من الاكتشافات والاختراعات العظيمة خلال القرنين الأخيرين ، فليس يعنى ذلك أن عقله قد ارتقى أو تطور ، بل مرجع ذلك إلى المصادفة في غالب الأحيان ، وإلى

تراكم المعلومات التي توارثها الإنسان في العصر الحديث عن آباءه وأجداده خلال مئات السنين الماضية

٤- بدأت الجماعات تهوى وتنحلّ خلقياً ، والخلق هو رباط المجتمع السليم ، وليس أدل على ذلك من انتشار دور الرقص والملاهي المبتذلة ، وتفشى الآراء المتطرفة المادية . وفي هذا دليل على ثورة الجنس البشرى على الأوضاع التي فرضتها الأديان ( تأمل )

٥- ويقرر شيلر أن حدوث حريين عالميتين في مدى عشرين عاماً دليل على عدم رضا الجنس البشرى عن النواميس الخلقية التي تقيد بها في عصر نهضة الضمير الانسانى ، ودليل على انطلاق غرائزه الحيوانية التي كانت على أشدها منذ آلاف السنين . ومعنى ذلك أن البشر قد وصلوا إلى مرحلة الشيخوخة التي تشابه مرحلة طفولتهم الأولى مع فارق واحد أن الطفل مرّجوّ التقدم ، والشيخ ينحل ويفنى . ويقول « شيلر » إن في ذلك كله علامات الساعة ، وأن المتدينين قد يكونون أسعد الناس بهذه النهاية العاجلة »

فليتدبر كاتب الأغلال كلام العالم الألماني لعله ينظف جروحه الصديدية من جرائم الأفكار الغوستافية وميكروبات الدهرية البائدة . وليفهم كلام هذا الأستاذ الجامعى الأوربى حتى يناقش حيثيات حكمه بالحكمة والعقل والأدب لا بالسفاهة والسباب التي كالمها لسلفنا والمؤمنين بفضائلهم وبما جاء في ديننا وبما يشهد له الواقع من انحطاط الناس خلقياً وأديباً بل وجسمياً وتدهورهم في ذلك كله عن سلفهم كما يشهد بذلك الواقع



المشاهد في المراسح والمواخير وشواطئ البحار (١) وستشير إلى شيء مما جاء في القرآن وصحيح الأحاديث بعد ما نفرغ من نقاش بعض آراء الكاتب في هذا الباب

قال الكاتب أول ص ٢٩٤

« وقد حاولوا - والبلاهة تحذو لهم - أن يعزروا هذه الدعاوى بروايات وأخبار نسبوها إلى الرسول عليه السلام وإلى أصحابه وإلى الأئمة المقلدين وجدّوا في نشر هذه الأخبار والروايات والآراء وفي ترويجها حتى أمكن لهم أن يصيروا من هذه الخرافات ثقافة عامة يلتقى عليها وينضوى إليها أربعمائة مليون من الأجناس المختلفة . . وقد استسلم لهذه الثقافة أو لهذه الخرافة كل الطوائف وحتى أصبح اعتقادها والتصديق بصديقها مما يتسامى على الخلاف والجدل وحتى قام عليها من الإجماع بين الخواص والعوام ما لم يقم على قضية أخرى .  
ولو أن قائلًا قال انه لم يدر على خاطر انسان الشك فيها وفي صحتها كل هذه القرون لما كان قائلًا باطلا ولو سئلنا عن أكبر غلطة نهض عليها الاجماع الحقيقي أكبر مدة من الزمن لذكرنا هذه القضية في أول ما نذكر

(١) وإن ارتقت صناعاتهم المادية فلهدم مجتمعهم الخلقى والأدبى والدينى ولا سعادة لامة إلا بقيام دينهم وما ينشأ عنه من خلق وأدب . وقال نقولا حداد فى آخر مقال ميلاد عصر الذرة ص ٢٥٦ مقتطف ابريل سنة ١٩٤٦

الأرجح أن هذا الانسان لن يتوب الى الله وأن مدينتنا الحالية شاخت وهرمت وهى تحمل ما بين جوانحها عوامل فناءها هى ابتدعت القنبلة الذرية والقنبلة الذرية ستفنيها وهكذا سينقرض الانسان عن وجه الأرض كما انقرض قبله الدينوسور وأصناف الانسان السبعة التى تقدمت - إلى أن قال : هل يمكن أن ينقرض الانسان عن وجه الأرض كما انقرضت أحياء قبله ولكن أين العقل ! العقل بلا أخلاق لا يقى الانسان من الفناء . اهـ

فانظر إلى تكذيب خيار الأمة وخير قرونها ، وجلة أئمتها وعلمائها ،  
ورميهم بالبهتان . ثم رمى إجماع الأمة الحقيقي بالخرافة والبطلان ؛ ثم رمى  
الأمة التي شهد الله لها بأنها خير أمة أخرجت للناس - خواصها وعوامها -  
بالجهل والكذب والزور والبهتان . ونترك إليك أيها المؤمن الحكم والتعليق

قال الكاتب ص ٢٩٥

« كان أقوى ما عززوا به هذه الأغلوطة أنهم قلدوها مصلح البشرية عليه  
السلام وصحابته وانهم ذهبوا يجمعون الروايات من هنا وهناك ويزعمونها من  
كلامه إلى أن استقرت في الأذهان هذا الاستقرار الذي صار من العسير التشكيك  
فيه وزحزحة .

من هذه الروايات الرواية التي أوردناها في مطلع البحث وهي ( لا يأتي  
زمان الا والذي بعده شر منه )

وقد ردّها الكاتب بأمور مضحكة ستسمعها لتضحك معي من فهم  
الكاتب وعجمة قلبه وعقله . وهذه الرواية في صحيح البخاري من رواية  
سفيان الثوري عن الزبير بن عدي قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه  
مانلقى من الحجاج فقال اصبروا .. فمن ذا الذي يريد الكاتب أن يكذبه من  
هؤلاء الرواة : أهو سفيان الثوري أو شيخه أو أنس بن مالك ؟

والكاتب يردّها كما في ص ٢٩٥ بأمور قال :

( ١ ) انها سب للدهر فتكون مخالفة للرواية الأخرى الصحيحة ولا تسبوا

الدهر فان الله هو الدهر (

فأقول له : من عجمة عقلك وهواك أتيت ، فيبان الحقيقة ليس بسب ،

فمن قال عنك إنك صعيدي كان أبوك أو جدك ممن نكبت بهم نجد فليس

سأباً ، ومن قال لعنة الله على الصعيدي الملتصق بالقصيم ، لعنة الله على من يلتصق بقوم وهم ينكرونه ولا يعترفون به ، فهذا هو السب ، فالسب المنهى عنه للدهر هو كقولهم يا خيبة الدهر ويأنحس هذه الأيام ، ويا شؤم تلك الليالي . الخ .

وأما قولك : هذه السنة جذب ، وهذه السنون شداد قحط ، وغير ذلك فليس من السب في شيء كما يعرفه كل عربي مستقيم السليقة والفطرة والعقل والفهم . وشتان بين هذا وذاك

ثم من أين لك صحة الحديث الآخر « لا تسبوا الدهر » والذين رووه هم مثل من روى حديث « لا يأتي زمان » الخ . الكل من مشكاة واحدة ، وعن رواية متشابهين وأئمة عدول . فلماذا رددت هذا وقبلت ذاك : أهوى أم العمى ؟ أم نظرية النشوء والارتقاء ؟ أم تسفيه إجماع الأمة المعصومة ؟ أم اتباع غير سبيل المؤمنين ؟

وبيان حقيقة الزمان ليس سباً له كما قدمنا ، وهي بيان لأهله بأسلوب عربي معروف جاء مثله في أبلغ الكلام وأفصحه ( واسأل القرية ) ( وم أهلكنا من قرية يطرت معيشتها ) ( ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ) فقصد الحديث أنه لا يأتي أهل زمان إلا والذين بعدهم شر منهم في الخلق والدين والحشمة والآداب . وهذا هو الواقع حذوك النعل بالنعل (٢) رد الحديث لكونه يدل على أن كل أهل زمان يكونون شراً من الذين قبلهم . ثم قال :

« إن هذه دعوى يكذبها الحس والعقل والتاريخ ، والاديان كلها لا تخرج عن

أن تكون بجملة تكذيباً لهذه الدعوى، لأنها جاءت لنقل الناس من حالة عامة إلى أخرى مغايرة - وقد نقلتهم - وكان الناس الذين قبلوا الدين هم بلاريب خيراً من الذين قبلهم ممن كانوا على خلاف الدين فكان الأنبياء والمؤمنون بهم خيراً جداً من الذين قبلهم « الخ . ما قرر . . . »

وأقول له : من عجمة العقل أو من الهوى أتيت . فالحديث يقول « لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه » فيحكم على الزمن المستقبل بعد التكلم به أى بعد زمانه ﷺ ، كما يدل على ذلك الفعل المضارع المنفى بلا ، كما يعرف ذلك من عرف العربية ذوقاً أو قواعد أو جمع بينهما ، ولم يقل الحديث « كل زمان » حتى يرد به هذه اللوازم التي لا ترد على لفظ الحديث ، والعامى الذى لم تفسد فطرته يذوق الفرق ويميزه بين « لا يأتي زمان » انه للحكم على الزمن المستقبل ، وبين « كل زمان » انه تعميم للحكم على كل زمن مضى ويأتي ، وشتان بين الحكمين عند من عقل وأنصف ؛ ولم ينظر إلى ارتقاء الصنائع والمخترعات ، ويعمى عن تأخر الخلق والدين

(٣) رده الكاتب بسفاهة تدل على قلة الفهم والانصاف ، وعلى عدم

معرفة التاريخ فقال ص ٢٩٦

« وفي الرواية قصة هي كوثيقة الجريمة التي تعلق في عنق المتهم قالوا آتى الناس انس بن مالك وشكوا اليه ما يلحقون من الحجاج بن يوسف فقال انس اصبروا فانه ( لا يأتي عليكم زمان الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ) سمعته من نبيكم . . . وإذن فالرواية سيقى في مقام الامر بالصبر على مظالم الحجاج بحجة أنه لا أمل فيما يطلبون من العدل ومن الحكم الصالح ولا أمل في أن يوجد أحسن من الحجاج ومن خليفته المرخى له في عنانه ليخوض في عدوانه الخ . . . »

إلى آخر ما أطل الكاتب في ترديده لرد الرواية والتهم بها وبرواتها،  
ومن آمنوا بها

وأقول : إن ما جعله من القصه كوثيقة الاجرام في عنق التهم هي  
أول دليل على صدق الحديث وصحة القصة التي روى لأجلها

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرراً به العذب الفراتا  
ذلك أن أنس بن مالك رحمه الله وقد استفاد من صحبة النبي وخدمته ،  
وما سمع من أحاديث الحضر على الجماعة والنهي عن الفرقة ، والخروج على أئمة  
الجماعة ولو جاروا ، وما استفاد من عبر التاريخ ، والواقع من النتائج السيئة  
التي حصلت للخارجين على الجماعة ، وما وقع بهم مما يبكي له التاريخ ، ومن  
قصة خروج الحسين بن علي سبط النبي وابن الزهراء وسيد شباب أهل  
الجنة وابن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب : في خروجه على ابن زياد وما  
حصل للحسين مما نبكيه ونحزن له ، وتتمنى أن يكون الحسين قد سمع  
مشورة عقلاء آله وأحبابه عليه كابن عباس وغيره من عدم الخروج على  
يزيد وواليه ، وأن يأخذ بأقوال جده في عدم الخروج ، وبسنة أبيه في  
رضوخه لأحكام عثمان مع نقده لسياسته الأموية وعصبيتها ، وبسنة أخيه  
الحسن بن علي الذي تنازل عن بيعته في الخلافة وحقه في الولاية لخصمه  
وخصم أبيه معاوية حقناً للدماء حتى مدحه جده على ذلك مقدماً بقوله  
فيه مشيراً إليه « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين  
من المسلمين » فتحققت نبوة النبي ﷺ فيه في هذا التنازل الجامع لكلمة  
المسلمين . فلم يخف على أنس هذا كله ، ولا عواقب ما كان من خروج

عائشة وطلحة والزبير على على رضى الله عنهم أجمعين في وقعة الجمل ، ولا خروج الخوارج عليه في النهروان

فهل يريد الكاتب الجاهل بالدين والتاريخ وعبره أن يشير عليهم أنس بالخروج حتى يكون لهم في التاريخ ما كان لفتنة عبدالرحمن بن الأشعث ومن معه الذين بنى برءوسهم بناء ، وسميت الوقعة بوقعة الجماجم تخليداً لعبرتها التاريخية .

إن كاتبنا حينما شكنا من ظلم ملوك العصر بقوله ص ٢٩٧

« من مظاهر ذلك هذا الذى نشهده في كل الطوائف في البلدان الاسلامية أو الشرقية من الخنوع خلفاء أولئك الجلادين الذين يحاولون اليوم أن يقوموا بتمثيل أدوار أسلافهم من الطغاة وقد رأينا البائسين المحرومين يجدون لذة كبيرة وسعادة نفسية ووجدناهم تشرق من وجوههم السكالحة المغبرة إذا أبصروا هؤلاء الذين أخذوا منهم كل شيء ولم يعطوهم شيئاً يمرون بهم بل انهم يقفون صفوفاً صفوفاً ليتمتعوا برؤيتهم وليسعدوا بمشهدهم إذا ذهبوا أو جاؤوا بمواكبهم التي يجب أن تملأ النفوس حقداً وغضاضة من غير أن يتألموا من ذلك أو تطرف له أعينهم بل لعلهم يذهبون يدعون لهم من أعماق صدورهم يسألون الله أن يزيدهم مما أعطاهم وأن يرفع من مقامهم فوق رؤوسهم أكثر مما رفع ولا ريب أن هذه الروح التي برئت من الاحقاد النافعة ، ومن الغضب والغيظ لرؤية المظالم والظالمين أثر من آثار هذه الروايات الخ .

فأنت ترى الكاتب مع حقه لهذه المظاهر الملوكية والمواكب لهم لم يستطع أن يتكلم في أهلها إلا بحسرة عجائز الخوارج وتهديدات عذارى الفوضويين — هذا وهو في القرن العشرين الذى يعدده أرقى بمراحل كثيرة من قرن سائلى أنس ، القرن السابع الميلادى ، فاذا كان وهو بزعمه قد ارتقى

عنهم بتطور ثلاثة عشر قرناً علماً وشجاعة وزعامة وإصلاحاً وبدناً ، لم نسمع منه غير أنات المرضى وآهات المكظومين ، أفلا يعذر أنس فيما أشار عليهم من الحكمة ورعاية مصلحة الجماعة الإسلامية حينئذ ، وليس مراد أنس أن حكم الحجاج لا يأتي ما هو خير منه ، ولكن يريد أن الجماعة الإسلامية في زمنه خير من الجماعة التي تأتي بعده ، فالخروج عليها وتمزيق شملها سفه وطيش ، وعواقبه وخيمة كما سطره التاريخ في دفاتره ، ودلت عليه حكمة أحاديث الحث على الجماعة والتمسك بها ، والبعد عن الفرقة وشرورها .

سنعود فيما بعد - قبيل آخر الكتاب - إلى شيء من نفاق الكاتب وجبنه ومناقضاته ومدحه لأقوام يرجو منهم فتات خبره ، ثم ذمهم تحت ستار من النفاق حفظاً لعيش دنيء . (١)

أطال الكاتب الكلام وكرر في تعليل هذه الفكرة ، فكرة تعظيم الأوائل واحترام القدامى من ص ٢٩٨ - ٣١٨ وأخذ يعدد مالها من شرور في نظره ، وتحسر وبجع نفسه حزناً للألوف الكثيرة من مؤلفات أهل تلك القرون ، وإنها شيء ضار غير نافع ، إلى أن خرج بالنتيجة التي يريدونها ويتمناها « ص ٣٠٨ » فيقول

« يجد المصلحون اليوم - يعنى نفسه - غناء وإرهاقاً في محاولتهم هدم ما شاده الجهل الأول ويذهب كل ما يبذلونه أو أكثره في هذه المحاولة هباء . . . . والعائق الأكبر هو أن هؤلاء الذين يراد إصلاحهم يرون الكمال في أولئك (١) ومن ذلك طلبه ممن ذمهم بالظلم والعثم أن يشتروا له بيتاً بمصر ببضعة آلاف من الجنيهات حتى رمى بسبب ذلك منهم بالجنون والحمق . ومن مد رجله لا يمد يده

القدامى الذين يجدون هذه الأباطيل والخرافات في كتبهم فن المستحيل أن يجمعوا بين الكفر بأباطيلهم وبين اعتقاد الكمال المطلق فيهم - والسبيل التي لا سبيل سواها لإخراج هذه الجماعات المنكودة مما هي فيه أن تعلم الكفر بهؤلاء والشك فيهم وإساءة الظن بهم وبعلمهم وأن تعلم أنهم كانوا تحت ظنهم بهم جداً وأنهم أبعد عن الكمال من المعاصرين ومن المتأخرين وأن تعلم كيف تثق بنفسها وبعقلها وباستعدادها

إني لأنظر إلى هذا الميراث الثقيل الباهظ الملقى في طريق المسلمين، وإلى هذه الأسفار التي تروع أعدادها ويعجز تعدادها - وما فيها مما لا يستقيم لآمة أمرها ووجودها معه فأفزع وتذهب الأفكار في كل وجه ثم تؤوب مجتمعة بي مجمعة على أنه لا خلاص إلا إذا استطعنا أن نكفر بهذا الميراث وعلى أنه لا يمكن الكفر به إلا إذا عرفنا كيف نزل مورثينا إياه عن هذه العروش السماوية التي صنعناها لهم على حساب قوانا العقلية والدينية ثم أجلسناهم عليها ثم جثونا تحتهم نسبح بحمدهم ونقدسهم ونزهرهم عن كل ما يخطر بالبال من اثم أو نقص أو ضعف . فهل من سبيل إلى هذا على أنه لا سبيل سواه »

فاجمع بين هذا وبين رمى أنبياء بنى إسرائيل أنهم نكبة على البشر ؛ ورمى المتدينين وأنبياءهم بتأخير الحياة وإطفاء نألقها، وإن الإيمان بالله كان نكبة على البشر، وانظر ماذا بقي في جعبته من الخط على الدين وأهله وأنبيائه، والإيمان بالله واليوم الآخر

ونقول على سبيل التزل : لا سبيل إلى هذا الكفر والمروق، وهدم تاريخ الاسلام والكفر به وبرجاله وتراثه وتراثهم وبالدين كله بهذه السهولة التي يريدونها الكاتب ويريدنا عليها لأجل أن نستبدل بذلك كله حضارة مادية عارية من كل فضل، متهتكة، يشكو عقلاؤها من ضرورها،



ويعترفون أن السعادة لم تمر بباب من أبوابهم كما نقله الأستاذ الامام في آخر تفسير سورة «والعصر» عن ماكس نوردو في كتابه المسمى (الكاذب العرفية لتمدننا الحديث) قال الأستاذ الامام رحمه الله تعالى «إن ما يرى في بعض الأمم من ظاهر السعادة ليس إلا لمعان السراب حتى إذا جاءه وحقق أمره لم يجد شيئا»

وقال ماكس أيضا في كتابه المذكور مامعناه : إن الناس كانوا ولم يزالوا يطلبون الحق ، ولم يكونوا في زمن أبعد عنه منهم في هذا الزمان . ثم قال ما ترجمته «إنك لو طرقت أى باب تسأل : هل مرت السعادة بهذا البيت ؟ لأجابتك مجيب : إذا شئت فاطرق بابا آخر ، فإن السعادة لم تمر بيتنا»

وهو يقول ذلك بعد أن ذكر ما عليه حال الأمم الأوربية جميعها ، ونسبته من السعادة والشقاء ، وبعد أن أجمل من وصف أحوالهم والمصائب التي تتوقع لهم ، والآلام الشاغلة لقلوبهم أجمعين ، ما يرحمهم لأجله المقصرون عنهم ، ويزهد الراغبين في مثل حالهم ، ويصرفهم عن اقتفاء آثارهم ، ويبين سبب ذلك وأنه بُعِدَ عن الحق ؛ ونزوع أنفسهم إلى الباطل ، وفقد الصبر في طلب المال ، وهرولتهم خلف داعي الشهوة لا يعصون له أمرا ، ولا يخالفون له إشارة . ومنشأ ذلك خلو نفوسهم من الركون إلى الإله الواحد خالق الجميع ورازق الأحياء ، ومقدر الأسباب لمكاسبهم على حسب ما وهبهم من القوى والقدر . اهـ وكما سمعته من كلام أستاذ جامعة بون الألمانية وكما يشهد به الواقع المحسوس

وها هو ذا غوستاف لوبون إمام الكاتب ومقلده ينصح للشرق

ببقائه على دينه وخلقه وأدبه ، وينعى على الغرب ويتوقع له شرّاً عاجلاً

قال لوبون في كتابه (حضارة العرب) ص ٣٦

« إن ما بين الشرق والغرب من الاختلاف عظيم ، وهو يبلغ في

عظمته ما يتعذر معه اعتناق أحدهما لمبادئ الآخر وتفكيره

«وتعاني مجتمعاتنا تحولاً بعيد المدى في الوقت الحاضر ، وقد قلبت

مبتكرات العلوم والصناعة كياناتنا المادية والأدبية رأساً على عقب ؛ ويقاسى

الغرب خلافاً شديداً في مجتمعه ، ويكابد في سبيل معالجة الشرور التي نشأت

عن ذلك الخلاف أزمة عامة تسوقه بإطراد إلى تبديل نظمه ، ويئن من

عدم الانسجام بين المشاعر والمعتقدات الجديدة ، ويألم من تصدع مبادئ

الأجيال السابقة . وتنازل يد التغيير في الغرب الأسيرة وحقوق التملك والديانة

والأخلاق والمعتقدات ، وتصبح هذه الأمور موضوع جدل ، ولا يقدر

أن يتكهن بما يتمخض عنه العلم الحديث .

( قلت ) قد أغنى الواقع عن التكهن فلقد ولّد العلم الحديث بما

أعطى الناس من صنائع وغرور بها ، وبما أفقر النفوس من الخلق والدين —

شروراً طار لها في حرين عالميتين في أقل من ربع قرن ، حصداً من

النفوس والرجال والنساء والأطفال ما الله به عليم ، وخربت الديار وأعرت

الابدان ؛ وأجاعت البطون ما تقشعر له الابدان ؛ والحرب الثالثة على

الابواب ربما تأتي على البقية الباقية من الحضارة والعمران

قال لوبون : وقد كلفت الجماهير في الوقت الحاضر بمبادئ سلبية ،

وقد بلغ كلفها بها درجة الحماسة . قال : وحال الشرق غير ذلك ، فالشرق

فى طأئنة وسكون ، ولا عهد له بما عندنا من الانقسامات والحياة  
الصاخبة ، وقد بلغت شعوبه التى هى أكثرية البشر - درجة ظاهرة من  
التسليم الهادى الذى هو عنوان السعادة على الأقل ، وتمتع شعوب الشرق  
بما خسرناه من التماسك ، ومعتقدات الشعوب الشرقية قوينة ، وتحافظ  
أسرها على استقرارها القديم ، وبقيت مقومات المجتمعات القديمة كالديانة  
والاسرة والنظم والتقاليد والعادات - وهى التى أصابها فى الغرب من الهدم  
مأصباها - مؤثرة فى الشرق مسيطرة عليه ، وليس على الشرقيين أن  
يفكروا فى تبديلها ...

فهذا لوبون الذى يقلده كاتب الاغلال يفرق بين الشرق والغرب ؛  
وينعى الغرب ويندبه ويتوقع له ماحققته الايام من الخراب والدمار ، ويمدح  
الشرق وينصح له أن لا يغير أوضاعه وخلقه ودينه . فاذا يقول كاتب  
الاغلال فى كلام إمامه هذا ؟ هل يرميه بالجهل والغباوة أو بالنفاق وسوء  
النية ، أو يرجع عما آذى به العقلاء والخلق والدين والآداب ، فيكفر عن  
هذا التضليل بالرجوع عنه ونصح الناس بما نصحهم العقلاء قديماً وحديثاً  
أنه لا صلاح لهم إلا بدينهم وخلقهم وآدابهم . وإن كنت أستبعد أن  
يتركه شيطان الغرور والاعجاب بالنفس أن يراجع الحق ، فذلك ما لا يرجى  
منه ولكن القلوب بيد الله تعالى يقلبها كيف يشاء

ونقول للذين يريدون القوة ويتوهمونها من كتاب الاغلال : إن  
هذا الكتاب سموم وجراثيم للهلاك ؛ وليس من القوة فى شىء ، بل هو  
هدم لكل مابقى فينا من قوة ومن طريق إلى الفلاح والفوز ، وليس بعد

تقويض الدين وآدابه وعقائده ، والكفر باختيار الله والتوكل وإنكار قدره ومشيئته ، والكفر بالآخرة والعمل لها وتحميق أهلها والمؤمنين بها من غاية في الافساد والشر

وبالجملة فليس ثم إلا دين الله وأنبيائه ورسله والصالحين من خلقه ، ودهرية فرعونية لوبونية تكفر بالله رب العالمين وبملائكته ورسله وآياتهم ونصر الله إياهم وخذل أعدائهم . وأسباب متصلة الحلقات محكمة الارتباط ينفي بها غوستاف ومقلده وقبله «أوغست كنت» وقبلهم فرعون ينفون بها رب العالمين الفاعل المختار ، أو رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، خالق الأسباب والقادر على وقفها وإبطالها ، والفعل بدونها ، وتأيد رسله متى شاء بوقفها أو إبطالها . الخ ماتقوم الديانات ويؤمن الرسل والمؤمنون بهم .

وهالك كلمة هندية في قيمة الحضارة الأوربية مدعمة بشهادة أحد أبناء تلك الحضارة . قال السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى في كتابه « ماذا خسر العالم بالمحطاط المسامين » الذى شرح فيه فساد المجتمع العربى والفارسى والروم قبل البعثة المحمدية ، ثم شرح الاصلاح الاسلامى العام للانسانية أجمع ، ثم تكلم على أصل المدنية الاوربية الحالية وبذورها الاغريقية والرومانية وخلوها من الروح والمعنى والخلق ، معزراً أقواله بشهادات حكماء الغرب — إلى أن قال :

قال الاستاذ جود فى كتابه المرشد إلى الشر العصرى ص ٢٦١ :  
يقول دسرايلى : إن المجتمع فى عصره يعتقد أن الحضارة هى الراحة

أما نحن فنعتقد أن الحضارة عبارة عن السرعة ، فالسرعة هي إله الشباب العصري ، وأنه يضحى على نُصْبِهِ بالهدوء والراحة والسلام ، والعطف على الآخرين بالقسوة .

ثم قال جود : إن الأوربيين قد فقدوا تعادل القوى والأخلاق ؛ والتوازن بين العلم بظاهر من الحياة الدنيا وبين الدين منذ قرون ، فلم تزل القوة في أوربا بعد النهضة الجديدة ولم يزل العلم ينمو أن على حساب الدين والأخلاق ، ولم يزل ذانك في ارتفاع وارتقاء ، وهذان في انخفاض وانحطاط حتى بعدت النسبة بينهما ، ونشأ جيل كأنه ميزان لصقت إحدى كفتيه بالارض ثقلا « كفة القوة والعلم » وخفت الثانية « كفة الأخلاق والدين » حتى ارتفعت جدا ، فبينما يترأى هذا الجيل للناظر في خوارقه الصناعية ، وعجائبة الكونية وتسخير له لدة والقوى الطبيعية لمصالحه وأغراضه كأنه فوق البشر ، فإذا هو لا يتميز في أخلاقه وأعماله في شرهه وطمعه ، وفي طيشه ونزقه وفي فسوقه وظلمه ، عن البهائم والوحوش . وبينما هو قد ملك جميع وسائل الحياة إذا هو لا يدري كيف يعيش ؛ وبينما هو قد بلغ الغايات ووراء الغايات في كماليات وفضول الحياة ، إذا هو لم يعرف المبادئ الأولية والبدهييات للحياة الانسانية والمدنية والاخلاق ، فتراه يصعد إلى السماء ويريد أن يناطح الجوزاء ، وهو لم يتقن شؤون الارض ، ولم يصلح ماتحت قدميه . وقد خولته العلوم الطبيعية قوة قاهرة ولكن لا يحسن استعمالها كطفل صغير أو سفينة مجنون يملك أزمة الامور ، ويؤتي مفاتيح الخزان ، فهو لا يزيد على أن يعث بالجواهر الغالية والنفائس المخزونة ،

ويعيث في دماء الناس ونفوسهم

ثم قال جود الانكليزي : إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة  
الجديرة بالآلهة ولكننا نستعملها بعقل الاطفال والوحوش . ويقول في  
موضع آخر : إن هذا التفاوت بين فتوحاتنا الصناعية المدهشة ، وطفولتنا  
الخلقية المخجلة نواجهها على كل منعطف وتمرّج ، ونستطيع أن نتحدث  
من وراء البحار ، ونركب فوق الارض والبحر وتحتها ، وننصب آلات  
الاذاعة في منازلنا ، ونستمع في سيلان إلى دقائق ساعة لندن الكبيرة ،  
الاطفال يتحدثون على الاسلاك . البرقيات المصورة ، آلات الكتابة  
الصامتة . نملأ الاسنان من غير وجع . الثمار تنضج بالكهرباء ، الشوارع  
تفرش بالمطاط . أشعة رونتجن نوافذ نطل منها إلى داخل أبداننا . الصور  
المتحركة تتكلم وتغنى . نكشف عن المجرمين والمغتالين باللاسلكي .  
العواصم تذهب إلى القطب الشمالى والطائرات تطير إلى القطب الجنوبى  
ومع ذلك كله لا تقدر فى وسط مدننا الكبرى أن نخصص رحبة ليلعب  
فيها أطفال الفقراء فى راحة وسلام ، ونتيجة ذلك أن نقتل منهم ألفين ،  
ونجرح منهم تسعين ألفاً سنوياً . قال لى فيلسوف هندى فى انتقاده اللاذع  
لإطرائى بعجائب حضارتنا - وكان بعض سائقى السيارات قد نجح فى  
قطع ٣٠٠ أو ٤٠٠ ميل فى ساعة ، أو أن طائرة طارت من موسكو إلى  
نيويورك فى ٢٠ أو ٥٠ ساعة ( لا أحفظ )

قال الفيلسوف : نعم إنكم تقدرون أن تطيروا فى الهواء كالطيور ،  
وتسبحون فى الماء كالسمك ، ولكنكم إلى الآن لا تعرفون كيف تمشون

على الأرض !! ثم قال جود (ص ٢٤٧)

قد استطعنا أن نسافر بسرعة زائدة من مكان إلى مكان ، ولكن  
الأمكنة التي نسافر إليها قلما تصلح للسفر . وقد زويت الأرض للرحالين  
وتدانت الأمم ؛ ووطيء بعضها عتبة بعض ولكن كان من نتيجة ذلك أن  
توترت العلاقات بينهما وأصبحت أسوأ مما كانت ، أما المرافق التي استطعنا  
أن نتعارف بها إلى جيراننا عادت فحشرت العالم في حرب . اخترعنا آلة  
الإذاعة وتحدثنا بها إلى الشعوب والأمم الشقيقة ، فكان عاقبتها أن كل  
شعب استنفد موارد الهواء لا يذء الشعب المجاور ومعاكسته ، فيقنعه  
بفضل نظامه السياسي على نظامه

وقال : انظر إلى الطائرة تحلق في السماء فيخيل لك أن صانعيها لعلمهم  
ولباقتهم وصناعتهم هم فوق البشر ، وأن من طاروا عليها أولا كانوا في  
علوهمهم وجراتهم وعزمهم أبطالاً مغاوير ، ولكن انظر الآن إلى المقاصد  
التي استعملت فيها الطائرة وتستعمل في المستقبل ، أليس هي قذف  
القنابل وتمزيق جثث الإنسان وخنق الأحياء وإحراق الأجساد ، وإلقاء  
الغازات السامة ، وتمزيق أبدان الضعفاء من النساء والولدان إربا إربا .  
فهل هذه إلا مقاصد الحمقى أو الشياطين؟

وقال ص ٢٦٢ : ماذا عسى أن يقول المؤرخ كيف كنا نستعمل المعادن  
والذهب ؟ يذكر أننا توصلنا إلى معرفة الذهب وأما كنهه باللاسلكي ،  
ويعرض صوراً تمثل اللباقة والمهارة التي كان أصحاب المصارف يزنون بها  
الذهب أو يعدونه . سيدكر المعجزة البونية التي كنا ننقل بها الذهب من

عاصمة إلى عاصمة ، وتقاوم بذلك قانون الجاذبية والثقل . سيستحل أن يقول إن أشباه الوحوش الماهرين فى فتوحاتهم الصناعية كانوا عاجزين عن التعاون الدولى الذى كان يقتضيه ضبط الذهب وتقسيمه تقسيما صحيحا ، كانوا يُعنون بدفن المعادن بأقصى سرعة ممكنة ؛ كانوا يخرجون الذهب والماس والمعادن بكل مهارة من بطون أرض أفريقيا ، ليدفنوه فى ظلمات مصارف لندن وباريس ونيويورك . اهما أردت نقله مما نقله السيد النادوى من كلام الأستاذ جود الانكليزى . والأستاذ جود هو رئيس

قسم علوم النفس والفلسفة باحدى كليات جامعة لندن

وقال الأستاذ السيد أبو عبد الأعلى المودودى الهندى فى فصل من

فصول كتاب «تنقيحات» تحت عنوان «الأمم المريضة» :

ظهرت الحضارة الغربية فى أمة لم يكن عندها معين صاف ، ولا نبع عذب للحكمة الالهية . لقد كان فيها قادة الدين ولكن لم يكونوا أصحاب حكمة ولا علم ولا شريعة إلهية ، لم يكن عندهم إلا خيال دينى لو حاول أن يسير بالنوع الانسانى على صراط مستقيم فى طرق الفكر والعمل لما استطاع ، ولم يكن له إلا أن يكون حجر عثرة وسدأ فى سبيل ارتقاء العلم والحكمة ، وهكذا كان ، فكان عاقبة ذلك ان الذين كانوا يريدون الرقى نبذوا الدين بالعراء ، واختاروا طريقا لم يكن دليلهم فيها إلا المشاهدة والاختبار والقياس والاستقراء ، ووثقوا بهذه الدلائل التى هى نفسها فى حاجة إلى الهداية والنور ، وجاهدوا واجتهدوا بمساعدتها فى طرق الفكر والنظر والتحقيق والاكتشاف والبناء والتنظيم ، ولكن ضلت خطواتهم



الأولى فى كل مجال وكل جهة ، وانصرفت فتوحهم فى ميادين العلم والتحقيق ، ومحاولتهم فى سبيل الفكر والنظر إلى غاية لم تكن صحيحة ، إنهم فضلوا أن يسيروا من نقط الاتحاد والمادية ، ونظروا فى الكون على أنه ليس له إله . نظروا فى الآفاق والأنفس على أنه لا حقيقة فيها إلا المشاهد والمحسوس ، وليس وراء هذا الغلاف الظاهرى شيء ، إنهم أدركوا من نواميس الفطرة بالاختبار والقياس ، ولكنهم لم يتوصلوا إلى فاطرها ، وجدوا المخلوقات مسخرة فاستخدموها لأغراضهم وجعلوا أنهم ليسوا سادتها ومدبريها ، وإنما هم خلفاء سيدها الحق ؛ فلم يروا أنفسهم مسئولين عنها ولا عليهم تبعات وحساب ؛ فزاع أساس مدينتهم وتهذيبهم واتحرفوا عن عبادة الله إلى عبادة أنفسهم ، واتخذوا إلههم هوائهم ، وفتنتهم عبادة إله الهوى ؛ فساروا بهذه العبادة فى كل ميدان من ميادين الفكر والعمل على طرق شتى وسبيل متفرقة خلافة رائعة ، ولكن مصيرها إلى الهلاك . هذا هو الذى مسح العلوم الطبيعية فصارت آلة لهلاك الإنسان . ضاعت الاخلاق فى قالب الشهوات والرياء والخلاعة والاباحة ، وتسلط على العيش شيطان الاثرة والشح والفتك بينى الإنسان ، ودس فى عروق المجتمع وشرائينه سموم عبادة النفس والانانية ، والاخلاق إلى الرفاهية والتنعم ، ولطخ السياسة بنعرة الجنسية والوطنية ، وفروق الالوان والاجناس وعبادة القوة وتأليبها والتغنى بها ، وجعلها هدف الانسانية الاكبر . وبالجمله إن البذرة الخبيثة التى أُلقيت فى تربة أوربا ونهضتها الاخيرة نبتت منها دوحة خبيثة أثمرت ثمرات يانعة سامة ، وأزهرت

أزهاراً بهيجة شائكة فروع خضراء تنفث غازاً ساماً لا يرى لكنه يسمم دم النوع البشرى . وغارسو هذه الشجرة الخبيثة من الغرب قد مقتوها ، وأمسوا يتدمرون منها ، فقد خلفت في كل ناحية من النواحي مشاكل وعقداً عجزوا عن حلها ، وما حلوا عقدة إلا ظهر غيرها ، ولا قطعوا فرعاً إلا نبئت فروع شائكة أخبت منه ، فهم في معالجة أدوائهم وإصلاح شؤونهم كمعالج الحمار بالخر ، ومداوى الادمان بالمداومة عليه وكنافش الشوك بالشوك التي تنكسر مع أختها ، عالجوا الرأسمالية الظالمة بالاشتراكية المتطرفة ، حاولوا استئصال الديمقراطية الزائفة فنبتت الدكتاتورية المستبدة الخائفة . أرادوا أن يحلوا مشاكل الاجتاع فنبتت حركة تذكير النساء وحركة منع الولادة . أرادوا تشريع قوانين لاستئصال المفسد الخلقية فهاجت حركة العصيان والجنايات . فلا ينتهى شر إلا بولادة شر ، ولا فساد إلا إلى فساد أكبر منه . ولا تزال هذه الشجرة تثمر لهم شروراً ومصائب حتى صارت الحياة الاوربية جسداً مقروحاً متسماً يشكو كل عضو منه أوجاعاً وأوصاباً ، وأعياء الداء أطباءه ، واتسع الخرق على الراقع الامم الغريبة تتماثل الماء بقلوب مضطربة وأرواح متعطشة إلى ماء الحياة ، ولكنها لا تعلم أين معين الحياة ، وأكثرهم لا يزال يتوهم أن مصدر مصائبهم من فروع هذه الشجرة فتراهم ساعين في قطع الفروع ، ونزع الأغصان ، مضيعين إوقاتهم في ذلك ، ولم يعلموا أن أصل هذا الشر كله من أصل تلك الشجرة ، فن الحماقة أن يترقب الانسان فرعاً صالحاً من شجرة خبيثة . وقليل من عقلاهم من أدركوا أن أصل حضارتهم فاسد

وشجرتها خيشة يجب أن تجتث من فوق الارض ؛ ولكنهم لطول عهدهم  
قرونا عديدة في ظل هذه الشجرة حتى نبت لحمهم ونشز عظمهم من ثمارها  
لم يعرفوا أصلا آخر غير هذا الأصل يستطيع أن يخرج فروعاً  
وأغصاناً وورقاً وثمرات طيبة صالحة سليمة نافعة ؛ فهم ومن قبلهم في النتيجة  
والعاقبة سواء ؛ فهم يتطلبون علاجاً يداوى سقمهم ؛ ويرفع عنهم كربهم ؛  
ولكنهم لا يعلمون ولا يعملون أين هو ؛ ومن علمه منهم - إن وُجد -  
لا يطلبه ولا يرغب فيه .

انتهى ما أردت نقله من كتاب ( ماذا خسر المسلمون ) للعلامة السيد  
على أبو الحسن الندوى أستاذ التفسير بندوق العلماء بلكنهؤ بالهند مما خصه  
من كتاب المستر جود الانكليزي رئيس قسم علم النفس والفلسفة بأحدى  
كليات جامعة لندن من كتابه ( المرشد إلى الشر العصري ) وما خصه من  
مقالة « الأم المريضة » من كتاب « تنقيحات » الذي كتبه على شكل  
مقالات الأستاذ أبو عبد الأعلى المودودي الدهلوى منشئ مجلة « ترجمان  
القرآن » الأردنية بـلاهور أوسع المجلات الهندية وأكثرها رواجاً وحظوة  
عند الطبقة المثقفة وهو من كبار علماء السياسة والاقتصاد والفلسفة  
العصرية مع التضلع من الدين وعلومه ، وهو مؤسس ( الجماعة الإسلامية )  
الواسعة الانتشار بالهند وأقوى جمعياتها الدينية . والاستاذ المذكور  
كتاب « الجهاد في الإسلام » وكتاب « الحجاب » و « تفهيمات » في مباحث  
دينية في الدفاع عن مسائل إسلامية . وكتاب « تنقيحات » في المسائل  
الناشئة عن اصطدام الحضارة الإسلامية بالحضارة الغربية الأوروبية ،

واضطراع الفكر الاسلامي والغربي . ورسالة ( دينيات ) في التوحيد والعقائد لطلبة الكليات ؛ نقلت إلى الانكليزية . وكتاب ( نظام الاسلام السياسي ) نقل إلى الانكليزية أيضا ، إلى غير ذلك

وقصدنا من هذه الكلمة أن يعرف كاتب الأغلال نفسه ، ومقدار ثقافته العصرية كما وكيفاً ، فلا يعجب بنفسه بما قرأ من أفكار دهرية مهلهلة ممزقة ، فيذهب بسفاهة وقلة حياء ليدعو إلى آراء بالية ، وجسد مسم لا روح فيه ولا معنى . فهؤلاء حكماء الغرب والشرق ومنهم هؤلاء الأقطاب الثلاثة : جود الانكليزي والسيد عبد الأعلى المودودي والسيد أبو الحسن الندوي ، وغيرهم كثير قد عرفوا شرور المدنية الدهرية الغربية وحذروا منها ، وأشاروا بالتمسك بقديمنا الذي يعده كاتب الأغلال أغلالاً غلت يداه إلى عنقه وملأ الله فمه تراباً ، وأطفأ شعلته التي يريد بها حرق ما بقى لنا من تراث فاضل وتجفيف ما بقى في الكوب من علالة أخلاقية ، ومن ثمالة دينية .

وإن أنس فلن أنسى ما حدثني السيد أبو الحسن الندوي عن أخيه السيد عبد العلي الندوي رئيس ندوة العلماء في معرفته بثقافة العصر وتخرجه في جامعة لكهنؤ من كلية الطب الحديث بها ، ثم جمعه بينه وبين الطب القديم الذي استفاده من حكيم الهندوزعيمها الكبير ( أجمل خان ) ثم تضرعه من علوم العصر بلغة أهله ( الانكليزية ) ثم قيامه بإدارة ندوة العلماء وإمامة مسجد الحى وعلاجه لمرضاه جسدياً وروحياً مع الزهد والورع ، والسير على طريقة الصالحين الأولين ، فلم يطش طيش كاتب الأغلال لنبيذ كل

فضيلة بدعوى أنها غل . والكفر بالاسلام وعقائده وآدابه وروحانيته  
وعباداته وملائكته وقدره وثمره الايمان بالله واليوم الآخر والتوكل عليه  
والثقة به الخ ما هذى به وما نفثه من سمومه وجراثيمه القاتلة السامة ( فإننا  
لله وإنا اليه راجعون ) ( ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من  
لدنك رحمة إنك أنت الوهاب )

\*\*\*

نقلت مجلة مسامرات الجيب عدد ٩٤ ( ٢٧ ابريل سنة ١٩٤٧ ) تحت  
عنوان « هل للطبيب أن يقتل المريض ؟ » قالت :  
« وفي مدينة بنسلفانيا ( أمريكا ) عثر على جثث خمسة أطفال ووالدهم  
وأبيهم ، وُجد الأطفال في الغابة مغطين بملاءات وعلى مقربة منهم الاب  
والام ، وتبين بالبحث أن حالة الاسرة المالية قد ساءت الى حد أصبحت  
معه لا تجد قوت يومها ، فلما اشتد اليأس بالأب ، وتقطع قلبه لمشاهدة  
زوجته وأطفاله يتضورون جوعا ، ويتلوون بالألم وهم يعتصرون بطونهم ،  
باع بعض ملابسه واشترى بثمنها مسدساً وبعض رصاصات ، وبعد أن  
أنام أطفاله في الغابة وغطاهم بالملاءات ، أطلق عليهم الرصاص وأرداهم قتلى  
في الحال ثم قتل زوجته ثم قتل نفسه »

يريد منا الكاتب أن نكفر بديننا وتاريخنا لهذه المدينة الوحشية  
البيغضة الخليعة الرقيعة فنصبح بهائم ووحوشا كاسرة ، ولا أريد أن  
أكثر من الشواهد والامثلة من الواقع وكلام العقلاء على فساد هذه  
المدينة وضررها بالناس وإن ترخفت وبرقت لهم بظواهرها الخداع

كسر اب الصحارى ، فذلك يطول فيه الوصف  
نعم اننا نؤمن أن الدنيا تترقى ، و رقيها محسوس ملموس كهذا الذى  
أعاد وأبدى فيه الكاتب لأنه لا يؤمن بغيره ؛ وهذا هو مبلغه من العلم  
وأمله من الحياة ؛ وغرضه من الوجود . اما الفضائل المعنوية والأخلاق  
وروح الدين فقد تأخر إلى الوراء مراحل ، والتاريخ والواقع والآيات  
والأحاديث وأقوال العقلاء كلها شاهدة بذلك

وقد قدمنا كلام الاستاذ الجامعى شيلر فى ذلك ونذكر الآن طرفاً  
قليلاً من اشارات القرآن وتصريحات الأحاديث وإن كان لا يؤمن بها  
الكاتب لكننا ذكرها للمؤمنين بها لاله . فمن ذلك قوله ( ١ ) ( أولئك  
الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية  
ابراهيم واسرائيل ومن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا  
سجداً وبكياً . نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ،  
فسوف يلقون غيا ) وقوله ( نخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب  
ياخذون عرض هذا الأذى ويقولون سيعفر لنا وإن يأتهم عرض مثله  
ياخذوه ) وقوله ( وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض  
تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ) وقوله ( حتى إذا فتحت يأجوج  
ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ) ويأجوج ومأجوج هما اللذان قال  
الله فيهم ( إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض ) وقال تعالى  
( والسابقون الأولون أولئك المقربون فى جنات النعيم ، ثلثة من الأولين

( ١ ) سورة مريم والشاهد فيها قوله ( نخلف من بعدهم خلف ) الخ

وقليل من الآخرين)

والأحاديث كثيرة شهيرة في دواوين السنن التي يؤمن بها المسلمون ،  
فمن ذلك حديث « لتتبعن سنن من قبلكم ذراعا بذراع حتى لو دخلوا  
جحر ضب لدخلتموه وراءهم » وحديث حذيفة الذي رواه البخارى ومسلم  
وأبوداود - واللفظ للبخارى - قال حذيفة « كان الناس يسألون عن  
الخير وكنت أسأل عن الشر مخافة أن يدركنى . . فقلت يا رسول الله إنا  
كنا فى جاهلية وشر حتى أتانا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟  
قال نعم . قلت فهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال نعم وفيه دخن . قلت : وما  
دخنه ؟ قال قوم يهدون بغير هدى ، تعرف منهم وتنكر . قلت فهل بعد  
ذلك الخير من شر ؟ قال نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه  
فيها . قلت يا رسول الله صفهم لنا . قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا .  
قلت : فما تأمرنى إن أدركنى ذلك الزمن ؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم  
قلت فان لم يكن لهم إمام ولا جماعة ؟ قال فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو  
أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك »

وحديث « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على  
قصعتها . فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ،  
ولكنكم غشاء كغشاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ،  
وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قال قائل يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب  
الدنيا وكرهية الموت » رواه أبوداود من حديث ثوبان

وأحاديث فتنه الدجال الكثيرة التى تبلغ - سد التواتر المعنوى ،

وأحاديث الدابة وطلوع الشمس من مغربها ، وحديث « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » وحديث « لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق وعلى كعب بن كعب » وحديث « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وليس المراد ذكرها بألفاظها وأسانيدها فلها محل مبسط موفى من دواوين السنه بعنوان « الفتن والملاحم وتغير الزمان » آمن بها المسلمون وإن جردها الجاحدون ، وحكمة قيلها لبيان الواقع من جهة ، وللاحتياط لتأويلها والعمل على التفادي منه بقدر ما يمكن للاحتجاج بها واليأس من رحمة الله بسببها . كلا ثم كلا

إن الكاتب لا يؤمن بها وبما هو أظهر منها من أصول الايمان والاسلام كالايمن بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشره على الوجه الذي آمن به المسلمون وصدقه المؤمنون ؛ ولكن على وجه دهرى إلحادى تلقفه من نفثات سموم غوستاف لوبون وأمثاله

ولكن هل لنا أن نسأله : هل بغايا عصره وراقصات وخليعاته خير من أمهاته وعماته وخالاته في القرون الماضية في العفة والحشمة حسبما تقرره نظريته الارتقائية خلقا ودينا ؟



﴿ الأسباب — أوهام الناس فيها ﴾ ص ٢٧٢ — ٢٨٦

بدأ الكلام بالتمثيل بالتربة الغنية بالعناصر اللازمة للانبات ، ويبذر البذر فيها ووقته المناسب وسقيه وفاق أصول الرى الصحيحة ، فإذا هو قد نبت حتما ، ومثّل بالتربة الخبيثة وعدم إمكان الانبات فيها وبالحنى إذا قطع عنه الهواء أو الطعام والشراب فانه يموت. كل ذلك دليل على لزوم المسبب لسببه وعدم انفكاكه عنه بحال ، وأنه لا يمكن أن تدخل بينهما قوة فتحل ما بينهما من ارتباط ولا أن يتدخل الله تعالى فيلغى السبب أو يوجد بغير سبب وإلا كان قوة مجنونة أو كالمجنونة الحقاء السفية . وسيأتى له فى باب مشكلة لم تحل إن من يؤمن بالله الفاعل المختار لا يمكن أن يكون سببياً فلا يكون ناجحاً فى الحياة وأن من يؤمن بقدرته الله تعالى على كل شىء فقد آمن أن الكون محكوم بقوة مجنونة أو كالمجنونة ، ونقلت نص كلامه فى ص ١٧ والرد عليها من كلام علماء القرن العشرين مشرفه باشا والسير جيمس جينز فى ص ٢٠ فارجع إليه وكن على ذكر منه . وتهكم بالخوارق والمعجزات واستهزأ بالقائلين بها . ثم قال هنا أول ص ٢٧٣

« أساء المسامون الظن بالاسباب<sup>١)</sup> وأكثروا من القول فى تقليل قيمتها

(١) أى مسلمين ؟ ان المسلمين الاولين أخذوا بالاسباب كل مأخذ ، والاسلام أمر بالأخذ بالاسباب أمراً ، فإذا كان المسامون الآن لا يحسنون الاخذ بالاسباب على وجهها لضعف فى التربية بنواحيها فهل معنى ذلك أنهم لا يقولون بالاسباب ؟ وليس السبيل الى تنبيههم هذا الذى كتبه صاحب الاغلال ، فانه إنما يضللهم السبيل بمحاولة إيهامهم أن التقدم رهن بتركهم الدين ، واتباع سبيل غير المؤمنين ( غ )

وأثرها - بل فى تجريدتها من كل قيمة وأثر ، وملاؤا المنابر والكتب والنوادر والمجالس كتابية وخطابة بأن تحصيل السبب وافيا ليس معناه تحصيل المطلوب ، وأن فقدته ليس معناه فقد المطلوب ، فقد تأخذ بأسباب شئ أحسن أخذ ثم لا تنال غرضك وقد تنال كل ما ترجو بدون أن تأخذ بسبب واحد من أسباب ذلك . وقد زعموا أن القول بذلك قول بعظمة الله وبقدرته الشاملة وتصرفه المطلق

وقال ص ٢٧٨ « ومن أعظم ما جعلهم يسيئون الظن بالأسباب شيئان أحدهما - أنهم حسبوا الايمان بقدره الله المطلقة فى تصرفها وعملها ينافى الايمان بالأسباب وحسبوا أنهم إذا آمنوا بالسبب فقد قيدوا الله به وألزموه بالأخراج عنه وأن لا يعمل بدونه والله عندهم غير مقيد فى فعل من أفعاله بل هو يفعل ما يشاء بلا قيد ولا سبب ولا إزام<sup>١)</sup>

وثانيهما - إهم وجدوا المسببات كثيراً ما تتخلف عن أسبابها ووجدوا أن الانسان قد يؤدى السبب على الوجه الاوفى الا كهل فيما يبدو ثم لا يصل به ذلك إلى غرض منشود كما وجدوا أن المرء قد ينال حاجته وغرضه بدون سبب »

هذا الذى يحكيه عنهم عايياً عليهم زارياً مخطئاً لهم هو الصحيح يشهد به الواقع ويؤيده الاستقراء ، ونزيده على ذلك انه ربما يعتقد فى الشئ زمناً طويلاً أنه سبب لكذا أو مسبب عن كذا ثم يظهر بعد ذلك خطأ هذا الاعتقاد والأمثلة فى ذلك كثيرة فى الطب والكيمياء والطبيعة ، فكم من الأمراض الجرثومية كان يظن الناس أنها من فساد الهواء أو الغذاء

(١) أما عند الكاتب ومن قلده فالله مقيد بسنن صارمة ونواميس طبيعية لا تنفصم أو قل عنه هو هذه السنن وأما الآيات والخوارق والمعجزات والديانات التى أتت بها فإرم بها من وراء ظهرك وبهتت نقلتها ولو تواتروا حتى تكون سبباً ناجحاً متألقاً فى الحياة .

كالكوليرا والملا里亚 ثم عرفت بعد ذلك جرائمها، وكم أدوية اعتقد فيها  
ثم ظهر بعد ذلك خطأ الاعتقاد وكم من الآيات والحوارق خرقها الله لعباده  
كما شحنت بذلك كتب الديانات التي لا يؤمن بها الكاتب وإن آمن بهامن  
ثم خير منه ديناً وعقلاً - والآيات والحوارق لا يعرف الناس لها سبباً  
والا لما كانت خوارق، فهذه عصا موسى التي تتحول حية تسعى ماسببها  
وكذلك يده البيضاء في جسده الآدم وانفلاق البحر له الخ وهذه نار ابراهيم  
التي صارت برداً وسلاماً وإخصابه بالنسل والذرية بعد العقم والشيخوخة  
منه ومن زوجه وهذه آيات عيسى بن مريم وهو أول الآيات ولادته من  
أنثى بلا ذكر وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص على يديه، وآيات نبينا  
محمد ﷺ من تكثير الطعام القليل صاع من شعير يطعم منه مئات الناس  
نحو الألف وكف من ماء يتوضأ منه المئات، وقربتان من ماء تفتحان  
فيستقي منهما الجيش الكثير - أناسيه وإبله - والقربتان لم تنقصا شيئاً. ودعاء  
مستجاب لشفاء مريض ونزول مطر وكثرة تمر يسد دينا لجابر، ويبقى بعد  
ذلك طعام الأسرة سنتهم وكان الدائن لا يقبل ذلك التمر في سداد بعض  
دينه، وانشقاق القمر والأسراء إلى بيت المقدس، والعروج إلى السماء  
والإخبار بالنبوءات المستقبلية الكثيرة، ووقوع كثير منها كما أخبر وسيقع  
الباقى حتماً وكرامات الصحابة والتابعين - ومن بعدهم من صالحى هذه الأمة  
المدونة في كتب الثقات الأئمة وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله  
تعالى طرفاً صالحاً منها في كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)  
وتكلم عليها علمياً، وردّ على منكرها في رسالته « المعجزات » وكلاهما

مطبوع منتشر بين الناس ،سائر فيهم مسير الشمس .

\*\*\*

يريد منا الكاتب أن نكفر بذلك كله وأن نكفر بقدرة الله تعالى على اخلاف الأسباب وسلبها سببيتها متى شاء وعلى عدم قدرته أن يوجد بلا سبب أو أن يخرق نظام الأسباب والمسببات ،بل نواميس صارمة لم تتخلف ولن تنخرم . ومن اعتقد الله قادراً عليها إيجادا وسلبا وتعطيلا فقد اعتقده قوة مجنونة أو كالمجنونة ،وأن الايمان بحتمية الأسباب وتسلسلها لا يمكن معه الايمان بخالق فاعل مختار ،فلا بد أن نكفر به سبحانه وتعالى حتى نكون سببيين ناجحين عنده ،والا فلا نجاح لنا ولا تألق في الحياة

\*\*\*

ثم يريدنا أن نؤمن بقدرة الانسان التي لاتحد ص ٣٧ وأنه « ترك غير محدود القوى الذهنية وان له أن يشارك الله في عمله وأن يخرج من نطاق الانسانية الضعيفة الواهنة إلى رحاب الألوهية التي تتصرف كيف تشاء وتعلم ما تريد<sup>(١)</sup> »

وانه أى الانسان أول ص ٦٩ « ما خلق إلا ليغالب الطبيعة والحياة ولينازع الله<sup>(١)</sup> في علمه وقوته وقدرته

ورجاؤه أو خشيته ص ٦٧ . وقد تحقق الأيام أى الأمرين . الرجاء أو الخشية . أحسن . أن يأتي الزمن الذى يقال فيه : الانسان الصناعى والحيوان الصناعى . وهذا ما لا يزال العلم أمامه حيران عاجزاً ولكنه لم يعترف بالعجز ولم يفكر فى (١) هذا كلام مجنون لا يفقه مايقول ولولا رجاء أخى المؤلف فى ماضيت

فى قراءة هذا السخف المروى عن صاحب الأغلال ( غ )

الاستسلام للاخفاق ، ومحاولة صنع المادة الحية وإيجاد الحياة <sup>(١)</sup> في المادة لا يزال من المعارك الملتحمة التي لم يكتب للعلم حتى اليوم الظفر بها إذ يكاد يكون سر الحياة من أسرار الطبيعة التي لم يرفع عنها العلم الستار ولا كمن الانسان يقول انه انتصر في نضال هو أشد <sup>(٢)</sup> من هذا النضال الدائر الحامي من أجل الانتصار على سر الحياة ولغزها . وعلينا نحن أن نلزم الحياء حتى نرى لمن يكتب النصر . وقال في ص ٢٧٩ « أما تخلف المسببات عن الأسباب فهذا ما لا يكون أبداً وإذا تم السبب وجد المسبب لا محالة ولا يقع شيء في هذه الدنيا إلا إذا اجتمعت أسبابه وإذا اجتمعت أسبابه فلا بد من وقوعه على كل حال »

(١) الانسان لا يستطيع أن يوجد شيئاً مطلقاً مهما تقدم به العلم وكل ما يستطيعه هو استخدام ما أودعه الله في المادة والطاقة من خواص ، حية كانت المادة أو ميتة ، وقد عبر العلم في الماضي عن يأسه من إيجاد المادة أو إعدامها بقانون محفوظية المادة أو بقاء المادة كما كانوا يسمونه . ثم ظهر أن المادة لا تبقى وانها تنعدم كمادة بتحويلها إلى طاقة ، وحتى هذا الانعدام قد كشفه العلم من غير أن يكون له فيه يد أو يكون له عليه أدنى سلطان فالعناصر الشعاعية كالراديوم واليورانيوم تتحلل إلى أشعة طبق سنن لا يستطيع العلم لها تغييراً ولا تحويلاً ، فلا هو يستطيع أن يزيد في سرعة التحلل ولا أن ينقص منه بأدنى مقدار مهما اجتهد فإذا كان العلم عاجزاً حتى عن تعويق الانعدام أو تعجيله فهو عن إيجاد المادة فضلاً عن إيجاد الحياة اعجز

فالعلم إنما يكشف عن الموجود كما أوجده الله ، واختراعاته إنما هي تطبيقات للسنن التي فطر الله عليها الأشياء فهو حين يكشف عن قانون لم يوجد هذا القانون وكل ما هنالك أنه بعد أن كان يجهل الموجود صار يعرف بعضه فيخيل إلى الجاهلين أن العلم يخلق ويوجد ، والعلماء أعرف الناس بعجزهم عن الخلق والإيجاد (غ)  
(٢) هذا كلام جاهل بالعلم وتاريخه فليس في أهل العلم من يقول ان الانسان حل لغز أصعب من لغز الحياة ليوم نفسه أو غيره أن حل لغز الحياة ميسور (غ)

ثم استطرده لذكر آجال الأمم والأفراد وخطأ الذين يقولون ان  
للأمم شيخوخة وضعفاً وهرماً . ونقول له ما بال النار التي أوقدها أعداء  
إبراهيم لم تحرقه حينما ألقى فيها ، بل صارت برداً وسلاماً عليه وما سبب تحول  
عصا موسى حية تسعى وكيف ولد عيسى بغير أب ولا تلقيح . وكم أعد من  
أسباب تخلفت مسبباتها عنها ومسببات بلا أسباب . ألا فليكشف  
القناع كما كشفه إمامه غستاف إذ صرح أن الخوارق والمعجزات أوهام  
انخدع بها رآؤها ورواها . ولا نجادله بالتواتر الذي لا ينكره إلا مباغت  
ولكن بالقرآن ، فإما إيمان به وكفر بالمادية الدهرية وإما إيمان بها وكفر  
بالقرآن المملوء بالآيات . ثم قال ص ٢٨١ :

وهذه الآراء مصدرها كلها هذه الفكرة الباطلة - وهي فكرة إنكار  
الأسباب أو التهوين من شأنها أو الاعتقاد بأن الله يفعل بدونها أو يدخل بينها  
وبين مسبباتها ويحول بينها وبين نهاياتها .

نعم نؤمن بأن الله يفعل بها وبدونها وله أن يبطلها متى شاء ، ولتهن  
الأسباب وليسقط عبادها وليسقط النجاح الدنيوى معها وليسلم لنا ديننا  
وإيماننا . وأغرب ما ترى من تحريف الكلم عن مواضعه قوله ص ٢٨٢  
وأما قوله ( قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى  
مضاجعهم ) فالمعنى فيه أن هنالك أقواماً من أشرف العرب يوجب عليهم شرفهم  
ومكانهم من قومهم وفى قومهم وتوجب عليهم سيادتهم ذات الحقوق المعروفة  
المرعية وظروفهم القاهرة الحاكمة أن يخرجوا للقتال على أى حال حتى ولو كان  
فى هذا الخروج الهلاك المحقق إذا ما أهاب بهم داعى المجد وإن لم يدعهم الرسول  
وأصحابه إلى ذلك . . . حكم هذى الظروف عليهم المحفوفة بالآخطار وأسباب

الهلاك هو معنى كتب القتال عليهم ومعنى بروزهم إلى مضاجعهم ، وليس معنى هذا أن هناك قوة خفية تلزم قوماً معينين بالخروج لأنهم مرادون للقتل لأغراض لا تعقل ، ولنعدّ فهمنا للأشياء كلها من جديد

يعنى على ظلمات المادية والذهرية فيماذا أتعجب ! من تحريف الآية وتحميل ( كتب عليهم القتال ) ما لا يحتمله حتى عند برابرة الأعاجم فضلاً عن العرب أم من إنكار القدر والقوة الخفية التي ساقطت من كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم . ولما شعر بسخف ما أتى به في ذلك أشار إلى أنه تجديد في الفهم وأنه يطرد هذا السخف في التجديد (١)

وأسأله عن قوله تعالى ( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها )

ثم سار في تقديس مادية الأسباب والاستدلال على ذلك من طبيعة العرب وبلادهم حتى قال آخر ص ٢٨٣

إن العربى هناك ليرى الريح الملقحة بالبخار تهب على سماء الصافية فتنعقد السحابة الثقيلة المتراكمة فلا تلبث أن تهاوى وابلاً مدراراً على أرضه الجدبة اليابسة العابسة فتوجد الحياة ويوجد الأحياء ثم يكرر الجذب والشمس المحرقة على تلك الأرض الخضراء المعشوشبة فاذا كل شيء عابس هامد وهكذا تتكرر العمليات

(١) وأسأله عن قوله تعالى في أول السياق ( ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ) وقوله ( وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله ) ( إذ يوحى ربك إلى الملائكة إني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى في قلوب الذين كفروا الرعب ) وما يزيد منه تحريفاً مضحكاً مبكياً كالذى سمعناه في تحريف ( لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ) ويظهر أن الكاتب أراد من شرائع السماء مسخاً ذهرياً مشوهاً قدراً أو أن يندس سموه المادية الدهرية في غسل الشرائع الإلهية .

أمام بصره وبصيرته- ما بقى -بلا اختلال ولا اختلاف وبلا تدخل قوة من القوى في هذا فأين ما لاسبب له وأين السبب بدون مسببه ؟

فهل فطنت إلى قوله (بلا تدخل قوة من القوى) في هذا أى فى نشأة السحاب ونشأة الحياة ؟ أليست هذه هى الدهرية ؟ وقوله ( فأين ما لاسبب له وأين السبب بدون مسبب ) أليس ذلك هو الكفر بالله وبآياته ومشيئته وقدرته . ونقول ان سنى الجذب والقحط وجدت أسباب الامطار فيها ولم توجد الامطار . والشمس وحرارتها والهواء موجودة كلها ولم توجد أمطار . ويستسقى النبي ﷺ لأمته فلا ينزل عن المنبر إلا وتهطل الامطار كأفواه القرب ؛ ويمطرون سبتنا كاملا ( أسبوعا من سبت إلى سبت ) حتى يضحوا إليه ليدعو برفعها فيدعو قائلا اللهم حوالينا ولا علينا ويشير بيده إلى السحاب فيتمزق تمزق الثوب وينجاب عن المدينة . فأين الأسباب التى عبدها الكاتب ويريدنا على عبادتها من دون الله تعالى ؟

واسمع لونا آخر من ألوان الهزء بالله وقدرته وشرعه والأعمال الصالحة

قوله ص ١٩٧ س ١٠

« ومن الأمثلة السيئة للجهل بسنة الحياة أو بسنة الله <sup>(١)</sup> فى الحياة أن الناس يريدون أن يبلغوا جميع أغراضهم المادية والمعنوية بغير وسائلها الطبيعية فهم يريدون أن ينالوا الثراء الوفير والأولاد والصحة والقوة وأن . . . وأن . . . بماذا ؟ إنهم يريدون أن يدركوا ذلك كله بالدعاء المجرد تارة وبالبكاء والضراعة

(١) وتقفن إلى هذا العطف التنويعى بأو التفسيرية تعرف أن الله فى إيمانه وفلسفته هو سنة الحياة ليس هو رب العالمين خالق الأسباب ومسبباتها القادر على انفاذها وإبطالها وإخلاق بدونها متى شاء وكيف أراد



نارة وبالصلاة تارات وبالصيام أخريات وبالايمان حيناً بلا عمل وبالتقوى أحياناً،  
وبقراءة القرآن أو بترتيب الأذكار والاوراد والاحزاب ، ثم يزعمون أن القرآن  
والدين قد دلاهم على هذه الحقيقة . والدين والقرآن بريئان مما يزعمون

وذكر ص ٢١٤ الاعلان عن خطبة خطيب في محاضرة عنوانها (الثقة بالله)  
فذكر خلاصه الخطبة واستحسن الناس لها وعلق عليها هازئاً ساخرأ بقوله  
« انه حينئذ سيهبهم كل شئ وسيهلك لهم أعداءهم وسيقدم لهم صك  
الاستقلال التام ملفوفاً بحريز مصنوع في السماء تحت إشراف الملائكة »  
يا الهزء بالله وملائكته . ثم ذكر نجوم السماء المتلألئة التي تملأ الفضاء  
والتي تواجهك أينما توجهت والتي تزخرف بساطاً من حبات اللؤلؤ ذات  
الاشعاع المتوهج المتوقد الدائم الضوئية ومرور الأحقاب وهي محافظة على  
نظامها وسيرها ومداراتها بلا اضطراب ولا اختلال ولا فوضى ولا تصادم،  
وأن الذي يمسكها هو النظام الالهى ثم قال ص ٢٢٦ س ٤

« ثم سل قائلاً : أرايت لو أن الجن والانس والملائكة وكل الخلائق - أولين  
وآخرين - وقفوا في صعيد واحد ثم سألوا الله جاهدين أن يفسد هذا النظام أو  
أن يغيره أو أن يتخلى عنه - أكان من الممكن أن يجيب الله هؤلاء الداعين أو  
يقبل هذا الدعاء »

والجواب أن هؤلاء المخلوقات من جن وإنس وفيهم الرسل والأنبياء  
ثم الملائكة ليسوا من البلاهة والجهل بالله وسننه أن يدعوا دعاءاً أحق  
لا فائدة منه وانهم ان أجمعوا على دعاء كان مستجاباً، ولكن الغرض هو  
تعجيز الله بما يسميه نواميس ونظاماً، والهزء بالجن والرسل والملائكة أنهم  
لم يعرفوا ما عرفه الكاتب من مادية الكون وطبيعة نواميسه وقوانينه

وأحيلك على مآقره علماء الطبيعة في القرن العشرين من انتقاض قانون السببية، وأنه تحول إلى قانون احتمال شبهه مشرفه باشا بحمار جحا المنسى. وقرر جيمس جينز فيما مضى ص ٣٢ بطلان غرور مادي القرن التاسع عشر في تلازم الأسباب والمسببات وبطلان آلية الكون وصرامة توأميسه الطبيعية فارجع إليه إن شئت

ولا نحتاج أن نذكر للكاتب الوقائع التي لا تحصى ولا تعد دعا فيها الداعون ربهم فاستجاب لهم وخرق السنن وهدم الطبيعة فدعاء زكريا الشيخ الهرم وامرأته العاقر وابراهيم وزوجه العقيم العجوز ونار ابراهيم وإحياء موتى عيسى وولادته بغير لقاح ذكرى ودعاء موسى على فرعون بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم الخ

لا نحتاج إلى شيء من هذا فالكاتب لا يؤمن به ، وإنما نذكر على سبيل الفكاهة وترويح النفس ما ذكرته مجلة الدنيا المصوره عدد ٦ سنة ثالثة ابريل سنة ١٩٤٧ من مذكرات متهم بالقتل نجا من الاعدام بمعجزة هو جون فوجن قضت عليه محكمة تكساس بالولايات المتحدة بالاعدام لاثهامه بقتل أحد رجال البوليس وكان القاتل غيره ولما سأله قسيسه حلف له أنه لم يقتله وإنما ارتكب ما ارتكب من النهب والسلب لإطعام امرأته وأطفاله الجائعين وكان صادقا فيما قال وقد عرفه قسيسه الايمان بالله العظيم الذى هو أعظم من رئيس الجمهورية الذى كان المتهم لا يعرف أعظم منه فتعرف إليه بعد الكفر به ولجأ إليه ودعاه ولما أخذ إلى الغرفة الخضراء حيث كرسى الاعدام الكهربائى وأخذ الجلاد بيد المجرم ليجلسه على الكرسي

ونجاة خيم السكون على الغرفة الخضراء، ووقف المحرك الكهربائي وحدثت المعجزة للمرة الثالثة إذ كان قد وقف قبل ذلك مرتين - وأعيد الجرم إلى غرفته، وقال قبل إعادته لحاضري التنفيذ: أيها السادة هل جئتم ههنا لتشهدوا جريمة . جريمة قتل برىء منهم بالقتل تهمة غير صحيحة ، هل تأكدتم الآن براءتي . وقال في مذكراته : كنت أول من دخل حجرة الكرسي الكهربائي في ولاية تكساس وخرج منها حيًا . ولقد أيقنت حقًا ان هناك إلهًا يأخذ بيد المظلوم فجئت على ركبتى وصليت بجملة

تأجل التنفيذ أسبوعًا ليرسلوا المحرك لاصلاحه ، قال المتهم ليصالحوه وليفعلوا به ما شاؤوا ، إنه لن يصعقني ( قال ذلك لحارس الليل ) فسمعتة يقول لحارس النهار : لقد جن جنونه فراقبه قال المتهم مضت ثلاثة أيام وأنا مطمئن النفس وفي اليوم الرابع فتح باب غرفتي ونادى البشير : لقد صدر أمر العفو عنك يا جون فاذهب فأنت حر لوجه الله . اهـ

لعل الكاتب يؤمن بمثل هذه القصة أكثر مما يؤمن بما جاء في الآيات والأحاديث في إجابة دعاء الداعين وإكرام الله تعالى لرسله وأنبيائه وعباده الصالحين . وما ذكره الهيباوى الذي تم باغتيال السلطان حسين كامل رحمه الله تعالى تحت عنوان « خمس ليال في غرفة الاعدام » في أحد أعداد مجلة الاثنين من أنه ليلة صبيحة التنفيذ بات يدعو الله تعالى ويقرأ عدية ياسين حتى أخذه النوم العميق ثم أوقف فاذا بحكمदार القاهرة « رسل أو هارفي باشا » ومعاونيه فما شك أنهم آخذوه لحبل المشنقة ؛ فقال الحكمदार جئت بنفسى لأبشرك ببشرى إلغاء الحكم الاعدامى واستبدال الأشغال

الشاقة به قال فطار فرحا حتى صار يرقص أمامهم ويستعيدهم البشارة وما ذكر في أحد أعداد المختار من نحو سنتين من انقطاع جبل المشنقة بأحد من أرادوا اعدامه مع أنه جرب في حمل كيس من الرمل ضعف وزن المجرم قبل ذلك . وكان ذلك مما أبطل التنفيذ الخ

\*\*\*

يقول في مسألة رفع الانسان إلى مقام الربوبية وعدم الفرق بين الخالق والمخلوق والايان بارتقاء الانسان إلى مراتب الالهية ص ٣٦ « من الواجب المفيد أن تعرف من أين جاء الانسان هذا الكفر بذاته وانسانيته . . يلوح أنه كفر هذا الكفر لأنه أراد أن يؤمن بالله الايمان الذي تصوره فقد تصور أن أساس الايمان بالله قائم على التفريق بين الخالق والمخلوق أو بين الله وعباده فانه يجب أن يعتقد بأنه كامل في كل شيء قوى في كل شيء والعبد يجب أن يعتقد بأنه ناقص في كل شيء ضعيف في كل شيء »

فهذا الفرق بين الخالق والمخلوق وبين الله وعباده في الكمال والقوة والعلم هو أساس الديانات كلها أوجبها العقل والفطرة والتجربة وإن أنكره هذا الكاتب وسماه ص ٣٧ س ١٣ « فلسفة مجنونه مخذولة وتديننا مدخولا »

وهذا بالدليل العقلي الذي يفرق بين الخالق والمخلوق وهما بالديانات التي تقرر ذلك ، فحكي ذلك حكاية المنكر الهازيء بقوله آخر ص ٣٦ « ثم البرهان العقلي يقضى بالألا يكون المخلوق الحادث مثل القديم الأزلي وإلا فلا فرق بين القدم والحادث ولكن المسألة كلها قائمة على التفريق بين الحادث والقدم أو بين القديم والحادث ولولا هذا لما كان هناك عابد ومعبود ، ولكن الديانات كلها مبنية على العبودية »

يعترف بأن هذا هو بناء الديانات كلها وأنه حكم البرهان العقلي ثم يحكم عليه بعد عدة أسطر من هذه الصفحة بأنها فلسفة مجنونة مخذولة ودين مدخول ويقرر مع الهزؤ بمن يخالف ذلك بعد أسطر :

إن الانسان ترك - ولا يقول خلق - غير محدود القوى الذهنية وأن له أن يشارك الله في عمله وأن يخرج من نطاق الانسانية الضعيفة الواهنة إلى رحاب الألوهية التي تتصرف كيف تشاء وتعلم ما تريد »

وسخّف الخطباء والعلماء والوعاظ وجميع رجال الدين وغير رجال الدين الذين يقولون مؤكدين لنا

« بأن الانسان ما خلق ليكون عالماً ولا ليكون شيئاً كبيراً ولا ليغالب الطبيعة والحياة ولا لينازع الله في علمه وقوته وقدرته آخر ص ٦٨ وأول ص ٦٩ وقال ص ٦٧ « وقد طفق من أجل ذلك يبسارى الطبيعة ويساميهما في كل أفعالها وعجائبها » ومثل بالبترول والمطاط واللؤلؤ الطبيعي والصناعي ثم قال « واننا لنخشى أو نرجوا وقد تحقق الأيام أى الأمرين أحسن - أن يأتى اليوم الذى يقال فيه الانسان الصناعى والحيوان الصناعى »

أى أنه يصنع الانسان انساناً وحيواناً لا يفترق عن الانسان الحقيقى والحيوان الحقيقى الذى سماه الطبيعى الذى هو صنع الله تعالى ثم ذكر محاولتهم الوصول إلى سر الحياة ومحاولة صنع المادة الحية ورجائهم الوصول إلى ذلك ثم قال فى معرفة الانسان ما كان وما سيكون ص ٥٨ س ١٥

« انه - أى الانسان - راح يُولد هذا الوجود ويشهد تولده وتكونه وتوالده وذهب يحدث حديث الحاضر الشاهد : كيف ولدت مادة الكون (كذا) ومبتى ولدت وكيف ظلت تتفاعل وتتطور ثم كيف أخذت تتوالد ثم كيف ولدت هذه الشمس وغيرها من الشموس (يا لها من دهريّة مغرورة) وقال ص ٥٩ « ثم لم يقف

بعمله عند هذا الحد بل ذهب مسرعاً يسابق الوجود فيسبقه وذهب يخبرنا عما  
بقي من عمر هذا الانسان وغيره من الاحياء ويخبر عن الاحداث والحوادث التي  
لا تزال في طريق الوجود والتي لا تزال تترقب »

(يااللهم السخيف) ثم حرف قوله تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات  
والارض ولا خلق أنفسهم) وإنه نفى عنهم المشاهدة لا العلم ص ٦٠ وطبق  
على الناس وقت نزول القرآن قوله في المشركين (يعلمون ظاهراً من الحياة  
الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) آخر ص ٦١ وعمهما في الجميع ولم يستثن مع  
أنهما في الكفار الذين لا يعرفون غير الدنيا وهم عن الآخرة غافلون أمثال  
من قلدهم الكاتب وارتضى فلسفتهم الدهرية. ثم قال ص ٤٨

« ماذا ترى الآن في هذه الحياة التي تموج بأعمال الانسان والقوى المادية  
والفكرية التي أوجدها <sup>(١)</sup> هذا المخلوق. كيف استطاع الخروج من تلك الظلمات  
الازلية حتى وصل إلى هذا العصر وكيف استطاع الوصول في سيره المتعثر واستطاع  
أن يسدد وقع أقدامه المتحركة في الظلام بدون أن يكون له هاد إلا طبيعته  
ومرشد الحاجته ونور يبصر به السبيل إلا أمله وبدون أن يكون له قوة دافعة  
إلا استعداد المولد للطاقة بعد الطاقة بدون عطل أو توقف »

لاحول ولا قوة إلا بالله (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون  
شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) (وما بكم

(١) لقد قلنا من قبل إن الانسان عاجز كل العجز عن الإعدام فضلاً عن  
الايجاد بل هو في آلاته عاجز كل العجز عن أن يسترد من محصولها ما يكافئ كل  
أو جل ما وضع فيها من وقود. إن أهل العلم وحدهم هم الذين يعلمون مبلغ  
قصورهم عما ينبغي لأنهم أعلم بما يبذلونه وما يحصلون عليه. أما من عداهم فيظن  
فيهم ظن الطفل في أبيه من القدرة على كل شيء (غ)

من نعمة فمن الله) (ولو شاء الله ما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء) (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة) (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) (وخلق الانسان ضعيفاً)

\*\*\*

علق على قول المسيح الذى جعل فى تأليه المسيح فائدة للنصارى وتقديماً لهم على المسلمين أول ص ٣٩

« ليس بخاف ما فى هذا القول من محاولة للتسامى بالمواهب الانسانية والحقيقة الانسانية وكم الفرق بين هذه الروح التى أملت هذا الكلام وبين تلك الروح التى أملت قولهم ( ما للتراب وللعلوم الخ ) لقد عظم الفرق فى التوجيه والاتجاه فعظم الفرق فى النتيجة والغاية » ثم انظر إلى قوله ص ٩٧ فى الممتازين من الناس الذين يهبون الشعوب ماهى فيه من اديان ومعارف وصناعات ومخترعات ومكتشفات ولولا هؤلاء لما استطاعت الانسانية أن تنعم بشيء مما تنعم به اليوم من وجوه هذه الحياة المشرقة الواضحة فلكل هؤلاء الذين أعطونا هذه الحياة وعودونا على التحرر والخطو إلى الامام شكر الانسانية أجمع »

فجعل الأديان كالمعارف والصناعات والمخترعات من هبات الاقوام الممتازين الذين أعطونا هذه الحياة الخ

ثم انظر قبل ذلك بعدة أسطر تحقير الدين وأهله والمتمسكين به بقوله ص ٩٧

« وقد جهلت وهانت تلك الأمة التى تحتاج إزاء الحقائق السافرة الملهوسة إلى براهين دينية تقنعها بفائدتها وجواز الأخذ بها وإذا ما رأيت أمة تثير غيار الجدل الدينى أمام ما يمجّد من مبتكرات العقل الانسانى .. مجوزة أو مانعة محملة

أو محرمة .. فاعلم أنها أمة فاشلة مريضة بعقلها وتفكيرها ودينها »  
هكذا يكون تقليد الملاحدة كلوبون فالرسل والأنبياء والمؤمنون  
بهم الذين يقفون عندما شرع الله تعالى حلاً وحرمة حظراً وإباحة فاشلون  
مريضون بعقولهم وتفكيرهم ودينهم أيضاً في نظر الكاتب ومن قلده.  
فبشرى للاباحية العصرية من رقص وفسق وفجور وعري وتهتك وخلاعة  
وذم آخر ص ٩٧

« هذه المخلوقات البشرية التي تأبى مفارقة إلهاها واعتيادها لأنها إنما تعيش  
بحواسها المجردة فما رأت وأحست واعتادت فهو الحق - ومالم تحس وتألف فهو  
الباطل وشبههم بالعجاووات ثم تناقض ومدحهم في آخر ص ٣٢١ وأول ص ٣٢٢  
إذ يقول (وقد أبدع الأغريق والرومان والمصريون القدماء وغيرهم من الشعوب  
القديمة لأنهم كانوا يبالغون جداً في حب مظاهر هذه الطبيعة حتى عبدوها  
وصيروها كل أملهم ورجائهم المنشود وهوت جميع الأمم التي انصرفت بآمالها  
عما ترى وتحس وتجد إلى ما لا تجد ولا تحس ولا ترى - واستشهد بكلام غوستاف  
لوبون » إن الإيمان بالله وحده كان نكبة على البشر ولم تستطع الحضارة البشرية  
أن تخطو خطواتها الصحيحة القوية إلا في عهود الوثنية وعبادة الأصنام»<sup>(١)</sup>

فماذا نصدق وماذا نكذب المدح أو الذم وبأيها يؤمن الكاتب أم هو  
التقليد يجمع كل صاحبه (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له  
أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى) لقد فتن  
هذا الكاتب بما قرأ من معربات كتب غوستاف لوبون فنقلها نقل تقليد

(١) إن الذي يقرن بين وثنية الاغريق والرومان والمصريين القدماء وبين  
تقدمهم ويقرون بين الاسلام وبين تأخر المسلمين الآن إنما هو كذلك الطفل الذي  
رأى بقرة بيضاء تحلب فظن أن بياض لبنها من بياض جلدها ! (غ)



بدون فهم لما فيها من تناقض أو بفهم منكوس وصار صدى يرددها بلا عقل حتى أن غوستاف لما استشهد بكلام فيلسوف إنكليزي معاصر له ذكره الكاتب قولاً لنفسه حتى كأنه هو الذي اطلع على كلام هذا الفيلسوف بنفسه، فرحى للتقليد والسرقة والتعلي بتياب الزور. ألا فليذكر لنا الكاتب اسم ذلك الفيلسوف الإنكليزي المعاصر الذي ذكر كلامه آخر ص ٣١٩ إن كان قد وقف بنفسه على كلامه من كتاب له أو محاضرة أو من مجلة أو جريدة، وإلا فهو لص غير شريف، ومصور لأفكار غيره تصويراً مشوهاً مختلاً، ومستق بغير أدب من حياض غوستاف الحمجة الوخيمة بدون اعتراف بمصدر تفكيره، ولا سند أقواله، بل يخرج أقوال غيره مخرج المبتكر المخترع المخلق المخرق لها، بلا حياء ولا حشمة ممن يطالب على ذلك منه

وقال في شرحه لكلام غوستاف : إن الإيمان بالله وحده كان نكبة على البشر. الخ ص ٣٢٢

( يريد بعهود الوثنية تلك العهود التي سادت عبادة الطبيعة ومجاليها الجميلة ويعني بعهود التوحيد تلك العهود التي أعلن فيها الدعوة إلى عبادة الله وحده وإلى العمل للأخرة وحدها والتأميل فيها دون الدنيا كعهود أنبياء بني إسرائيل وأسباطهم )

فهل عقل الكاتب قوله « عهود أنبياء بني إسرائيل » وإن منهم موسى وهارون وداود وسليمان ويوسف الذين أسس الله على أيديهم عز هذه الأمة الإسرائيلية وسيادتها وملكها، وما كتب لهم التاريخ من أثر ومن عمل ؟ أم هو التقليد الأعمى لما كتب غوستاف

بدون عقل وفهم؟ وهل نسى الكاتب ما كتبه سابقا عن علوم اليهود وفنونهم، وعن حكم سليمان في طاب الغنى، وهم أمة أولئك الأنبياء، أو نسى عز بنى إسرائيل أيام داود وسليمان ومن قبلهما إلى موسى وهارون، وما ناله المصريون من حكمة يوسف وتديره في وزارته أيام خصب بلادهم وجديها وهو من انبياء بنى إسرائيل الذين ذم الكاتب عهودهم الدينية تقليداً لصنمه غوستاف بلا عقل. أو هو الهوس في ذم الدين ورجاله وقادته من الأنبياء والحكماء والعلماء؟

وقال ص ٢٣١

( وقد ثبت في تاريخ كل الأمم التي أوجدت <sup>(١)</sup> التاريخ أنها كانت تذهب هذا المذهب في حب الجمال وتصوره - على درجات متفاوتة - . كما ثبت من جهة أخرى أن الأمم التي لا تكون كذلك تعجز عن أن تبدع في الحياة وعن أن توجد لها بين سطور التاريخ حديثاً يقرأ فيشوق . ومن الواجب أن نعتقد أن الأمم أجمع إنما هي صنع خيالها وأن خيالها إنما هو هبة رجالها الذين استطاعوا أن يسبقوها في التصور والتصور وأن يحدوا لها على أنغام المثل العليا . . .  
يقال له : هل قرأت تاريخ هذه الأمم وتخصصت في كليات هذا التاريخ ؟ أم هل النقل الحرفي أم هو مدح الطبيعة والجمال وإبداع الحياة وهبة رجال الأمم لها ؟

(١) لقد أوجدت الأمة العربية في عصر الخلفاء الراشدين التاريخ من غير شك فهل كانت تذهب المذهب الذي يزعم صاحب الأغلال ؟ إنه يدعى الدعاوى جزافاً بغير حساب ليثبت مذهبه عن طريقها . وليس من يفعل هذا ممن يقام له وزن ولا حساب (غ)

وقال في مدح الاباحية والانطلاق من حدود الادب والحشمة ص ١٥٩  
( وقد لوحظ ولا يزال يلاحظ وعلم النفس يقرر بمباحثه صدق هذه الملاحظة  
— أن الجماعات التي تضيق عليها رغباتها وتحرم من ميولها الطبيعية حرماناً هو  
العنت والإرهاق تجيء أبداً عاجزة في عقلها وقلوبها وعواطفها ومشاعرها عن  
الالحاق بالجماعات الأخرى التي أطلقت ميولها من الأغلال والحرمان. هذه حقيقة  
يقررها علم النفس والاستقراء والتاريخ )

بشرى لكم أيها الفجار والفساق رجالاً ونساءً أفقد أباح لكم الكاتب  
حل العقال لتكونوا أقوياء في العقول والقلوب والعواطف والمشاعر  
وتلحقوا بالجماعات الأخرى التي انطلقت ميولها من أغلال الأدب والعفة  
والحشمة والدين؛ فتلحقوا بالفسق والفجور ركب الحياة وموكب الانسانية.  
وليس العجب من جرأته على علم النفس الذي يحمله تقرير ذلك ولكن  
العجب افتراؤه على الاستقراء والتاريخ، لا أقول لهذا المباحثه اقراً تاريخ  
الامبراطورية الرومانية للمؤرخ الانكليزي « جيون » وأسباب انحلالها  
وما كتبه العلماء وسطره التاريخ عن زوال الدول بسبب الرفاهية والفسوق  
والترف. وما أخبار ترف الأمويين والعباسيين والعثمانيين وغيرهم بخافية  
على من أرادها. وما أصاب الأمم المنقرضة بسبب الفسق والفجور وما  
حروب أوروبا المدمرة بسبب التنافس على الترف والرفاهية من  
العقلاء ببعيد

وقوانين انكثرت الصارمة بعد الحرب في منع الترف أو تقليله إلى  
حد العدم حتى مانعه ضرورياً في حياتنا اليومية كالدهن والسمن والبيض  
واللحم. واقراً مقال « أتستطيع بريطانيا أن تنجح » للكاتب الأمريكي

(فرنسيس وكاترين دريك) في مختار يونيه ٩٤٧ نقلا من مجلة اتلانتيك الشهرية تغني عن نقل الشواهد على ذلك مبدوءاً بقوله : هل تستطيع بريطانيا أن تنجو من الافلاس وهي تعاني نقصاً في الأيدي العاملة وقلة الطعام وتلفاً في الآلات » واجمع بين قول الكاتب هنا وما نقلناه عنه في ص ٦٠ تعرف الهاوية التي يريد الكاتب أن نتردى فيها ، ويكفي عقلك وقلبك ودينك في وزن ذلك ونتأججه. ثم اجمع بين مقاله الكاتب الأمريكي في ديون انكلترا الباهظة الفادحة التي تعد بعشرات ألوف الملايين ومئات ألوف الملايين وبين قول الكاتب في الأغلال ص ٢٢٢ س ٢١ في وصف بريطانيا « إنها ذات الثراء الخيف » فمن نصدق ؟ هذا التطفل على مالا يعرف أم كاتباً المجلة الأمريكية الشهرية اللذان يكتبان ما يعرفان من حقائق واقعية لمساها بأيديهما .

ومثل ذلك مدحه للانجليز في إسقاطهم تشرشل ص ٣١٣ بقوله : « إذ لا شك في أن الانكليز إنما أسقطوا تشرشل لإيمانهم بأن من الممكن أو من المحقق أن من سيخلفه سيحييهم بأفضل وأعظم مما يحييهم به واهب النصر لو أبقوه مكانه . . ولا ريب أن شعباً يعتقد هذه العقيدة في تشرشل وفي خلفه شعب يؤمن أشد الايمان بالمستقبل وبالتطور وبأن المستقبل وأهله دائماً أفضل وأكمل من الماضي وأهله ، تقوده هذه الأفكار الجميلة . . لعسير جداً مباراته وإنزاله عن سلطانه الضخم الواسع »

الخ ما استطرد ورمى به المسلمين أنه لو كان فيهم تشرشل لعبدوه وعدوا إسقاطه جنوناً وخيانة وكفراً بالله وتجهيل المسلمين الذين يذكرون سلفهم وأسماءهم الذين هم عند الكاتب لم يفعلوا شيئاً « بل صنعوا ما يستحقون

عليه الرجم والتدمير والكفران الأبدى » لأنهم حفظوا الدين وحافظوا عليه وجاهدوا فيه وله، وهذا مما يستحقون عليه الرجم والتدمير والكفران الأبدى عند الكاتب الذى يفضل الانكليز واستعمارهم على المسلمين حتى على صحابة محمد ﷺ، كما صرح بذلك عندما خانه حزمه ونفاقه أمام الكاتب الشهير سيد افندى قناب رئيس لجنة التأليف بوزارة المعارف المصرية

فهل يعجب الانسان من جهل هذا الكاتب بسياسة الانكليز وطرق قيام الحكومات فيهم تبعاً للحزب الفائر فى الانتخاب وسقوط حكومة الحزب الفاشل وأن فوز إيتلى وسقوط تشرشل كان بسبب فوز حزب العمال وفشل حزب المحافظين ولهذا أسباب معروفة ذكرها الكتاب السياسيون فى الصحف السائرة فى حينه خلافاً لما علل به الكاتب واستطرد فى مدح الانجليز . أو يعجب لمدح الكاتب للانجليز فى ثرائهم الخفيف وسياستهم وسلطانهم الضخم الذى يعسر عند الكاتب انزالهم عنه واستعمارهم الذى يفضله الكاتب على عهد الاسلام الزاهر فى عصر رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين رضى الله عنهم ومن بعدهم وفتوحاتهم الوضاعة فى غرة جبين الدهر . ثم يشيع اليأس فى نفوسنا ويرهبنا بطش اليهود وقوتهم ويحسن لنا البقاء فى احضان الحماية الانكليزية أو الأمريكية ولو قرأ الكاتب ما كتبه السياسيون فى اخطاء تشرشل الشيعة أيام وزارته لكف عن كيل المدح له جزافاً . واقرأ فى مختار يوليو مقال « فصل خفى من التاريخ » وفى عدد ١٣٧ ( ٢ شعبان سنة ١٣٦٦ ) من جريدة أخبار اليوم مقال الأستاذ عباس العقاد ومحمد التابعى تغنيتى عن نقل

الشواهد - بقوله ص ٢٢١ س ١٧

« نؤمل اليوم أن تحميننا بريطانيا وأمريكا من هذا الغزو المحيط الماحق - مع أنهما هما الخصمان - إننا نخدع أنفسنا كثيراً ونضلها حينما نظن أن في حولنا - لو تخلت هاتان الدولتان - أن نحمل أنفسنا بقوانا الخاصة من غزو الصهيونية وأخطارها .

فالصهيونيون مسلحون اليوم بأعظم وأحدث القوى العالمية والصناعية والمالية والفكرية والدولية . أما نحن فنكاد نكون محرومين من كل ذلك »  
وإذن فالخرج هل هو أن نبقى تحت حماية بريطانيا ذات الثراء المخيف والسلطان الضخم الذي لا يقهر أو تحت حماية أمريكا الفتية الناشئة التي فارت قوتها اليوم ؟ أو نعمل على الاتصاف بالمناعة الذاتية الداخلية التي تخيلها الكاتب ذراً للرماد في عيون من لا يقرءون ما بين السطور ؛ ولا ينظرون ما وراء الستائر ويفضون الغلف لينفذوا إلى مابداخلها . إن كان الكاتب يريد بالمناعة الذاتية الداخلية التي يشير بها علينا : المادية الحسية مع ترك الخلق والدين فبئس ما أشار به وأخدع به من غش ، وأكرم بما بقي فينا من بقية دينية خلقه ، ولعل الله ونرجوا رحمته أن يمن علينا بالرجوع إلى الدين الحق من كتابه وسنة رسوله ﷺ وسيرة الصحابة وخيار التابعين ، فنصبح خير أمة أخرجت للناس ، ونطفيء شرر هذه المادية الدهرية التي قدمها لنا كاتب الأغلال بروح الله وشرعه وقدره وفضله ومعاونته .

\*\*\*

فسر القدر تفسيراً مادياً على خلاف ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة وكلام سلف الأمة وأئمتها في ذلك ، مخطئاً فيهما قالوه وذهبوا إليه ، ثم

ابتكر له هذا المعنى فقال أول ص ٢٤٩

« فالتقدير بجملمته وجملة استعماله يراد به التقدير أى جعل الشيء ذامقادر معلومة أى يراد به جعل الشيء منظماً فى كنهه وكيفه »

ثم شرح هذا التقدير الكمى والكيفى بكلام طويل ممل ، واستدل بالآية ( قل أنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . . ذلك تقدير العزيز العليم ) إلى أن قال ص ٢٥١ « قوله ( ذلك تقدير العزيز العليم ) يراد به القدر الذى ضل فيه الناس وصيروه عامل ركود وانحطاط مع أنه هو القوة والثوب والنشاط . وختام الآية بقوله « العزيز العليم » هو كالتدليل على أن المقصود بالتقدير وضع الأشياء فى مواضعها وخلقها متناسبة متكافئة والعليم هو الذى يفعل ذلك ويقدر عليه ) فهل سمعت فى العجم أو البربر من فسر العليم بالذى يفعل ويقدر ؟ ثم قال فى آخر الصفحة

« وقوله اثنتا طوعاً أو كرها إشارة إلى قأدته وإلى أنه سنة محتومة لا تغير ولا تبدل » إلى أن قال ص ٢٥٣ س ١٧ « إن العالم يشبه إلى حد بعيد صناعة كبيرة فيها ملايين الآلات والعدد الدقيقة وكل هذه العدد والآلات تسير وتدور وتحرك بدعوى لا ينقضى لغاية مقصودة ولا يجادى شيء متقن عظيم بدون أن تقف هذه العدد وبدون أن تتصادم أو تتعارض أو يصيبها ما يحدث الخلل إن هذه الصناعة لابد أن يكون كل جزء فيها وكل آلة وكل عدة مقدرة بتقدير حكيم دقيق من ناحية حجمها وناحية موضعها وناحية كيفها ؛ ومن كفر بهذا التقدير فى هذه الصناعة الفخمة فقد كفر بعقله ، والايان بهذا التقدير هو الايمان بالصناعة المذكورة والايان بها هو الايمان بصانعيها وكذلك هذا العالم إنما نظمه ونظم وجوده وبقاؤه وبقاء كل ما فيه بالاقدار المودعة فى أجزائه الصغيرة والكبيرة ولا يمكن للايمان بالله مع الكفر بهذا كما لا يمكن الكفر بالله مع الايمان

بهذه الأقدار إلا أن ينأى المرء عن عقله بعيداً ولكن الكفر بهذه الأقدار هو كفر بالإنسانية العاقلة المفكرة فلا يكفر اذن بالله إلا من كفر بالإنسانية وبمزايها العقلية والمنطقية »

فبشرى للطبائعين والدهريين الذين يقولون بآلية الكون وحكمه بنواميس طبيعية قائمة بالمادة ، إذ شهد لهم الكاتب انهم بايمانهم بهذه النواميس التي سماها أقداراً يؤمنون بالله ولا يمكن أن يكونوا كفاراً بالله مع ايمانهم بهذه الآلة العظيمة الدقيقة. ثم ويل للمؤمنين بالله الذين يؤمنون أنه قادر على خرق هذا النظام والتصرف فيه، وكم خرق من عاداته وسننه على أيدي رسله والمصطفين من خلقه — ثم الهبل والشكل لعقلاء القرن العشرين إذ يعترفون بتدخل القدر في إبطال قانون السببية وعدم القطع به بل آل إلى قانون احتمالي جحوى (١) وارجع إلى ما نقلت لك من كلام عميد كلية العلوم وصاحب كتاب « الكون الغامض » وصاحب كتاب « مصير الانسان » أنفاً تستغنى عن تكرار الاعدادة

أما معنى القدر فقد شرحه الأئمة والمحدثون والمفسرون بما يملأ قلب الكاتب غيظاً وحقداً وبغضاً لهم بما هو مبسوط في كتبهم . وأخضر كلمة نقولها هنا حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام وأنه خلق

(١) نسبة إلى حكاية ججا إذ كان يعد حميره فيفقد منها ما هو را كبه فترك ب حتى لا يفقد منها شيئاً والمثل ضربه عميد كلية العلوم على مصطفى مشرفه باشا في محاضرة التي خلصت منها ما يرد على كاتبنا ومن قلد هم من دهرية القرن التاسع عشر وما قبله



القلم فقال له اكتب فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة » والحديث الآخر « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » وفي القرآن الكريم « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير »

وجواب موسى لفرعون عند ما سأله عن القرون الأولى فقال موسى ( علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ) ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ) ( وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ) ( يضل من يشاء ويهدي من يشاء ) ( ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ) ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ) ( ولو شاء الله ما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء )

وحديث تهاج آدم وموسى وقول آدم فكيف وجدت أن الله كتب على ذلك قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، فحج آدم موسى فحج آدم موسى « وردّ الغالطين في الاحتجاج بالقدر ليس بانكاره ، ولكن بتعليمهم إياه على الوجه الصحيح الذي يرشدكم إلى التوكل على الله ، وعدم الحزن على ما فات ، مما لا يوافق أهواءكم كما جاء في الحديث « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن ، فان غلبك شيء فقل قدر الله وما شاء فعل » ولقد كتب في افتتاحية مجلة الرسالة أحد كتابها الأستاذ عباس العقاد

معترفاً بالقدر ، مؤمناً به على الوجه الذى يقرره الدين ويوجبه ، وذكر صاحب كتاب « أومن بالإنسان » ما معناه : إن علينا أن نسير فى أعمالنا قدماً فان نجحت وإلا علمنا أن العناية الإلهية أغراضاً غير ما نريد وما نحب

\*\*\*

قال فى ص ٢١٥

« قال أحد القواد العبقرين <sup>(١)</sup> الذين عركتهم الحروب وعركوها » إذا احترب فريقان كان الله مع أقواهما » ثم أخذ يوجه قول هذا القائد بقوله « وإذا استمعنا إلى قول الله فى كتابه » **إِنْ** تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » استطعنا أن ندرك ما فى قول هذا القائد من حق وصدق فان هذه الآية قد جعلت نصر الله لنا إنمّا يأتى بعد نصرنا له ونصرنا له تعالى هو نصرنا لأنفسنا <sup>(٢)</sup>

(١) لعله هتلر مؤسس النازية الألمانية ، والكاتب لم يصرح باسمه مدهانة للانكليز يسترضيهم وكلمة زعيم ألمانيا من الخطابات التى يراد بها شحذ الهمم ليست من القواعد العالية ، التى تحوج الكاتب الى تكلف توجيهها بهذه السفخافات المضحكة المبكية

وقرأت فى بعض الكتب أو الصحف أنه ويلهلم غليوم الثانى عاهل ألمانيا قبل الحرب الاولى وموقد تلك الحرب الماضية قبل هذه

(٢) ويكون حل الآية وتفسيرها على زعم الكاتب هو إن تنصروا أنفسكم تنصركم أنفسكم ، فيألها من عجمة مضحكة لقد ضحك الناس قديماً على الاعجمى الذى فسر قوله تعالى ( والسماء ذات الحبك ) اذ قال أما السماء فهى السماء وأما الحبك فلا نعرفه نحن ولا أنتم . وهنا يؤول معنى الآية على ما فسرها الكاتب ان تنصروا أنفسكم تنصركم أنفسكم ، والمغزى ليس فى الميدان الله ولا الايمان به ولا الثقة به والتوكل عليه ، فياقره عينك يالوبون بمطوع نجدى صعيدي يقرر دهريتك من كتاب الله تعالى .

وإذن فالله لا ينصرنا إلا إذا نصرنا أنفسنا ولا يمكن أن ننصر أنفسنا إلا إذا كنا أقوى وأذن فالله مع الناصر لنفسه والناصر لنفسه هو الأقوى وأذن فالله مع أقواهما وهذا هو القانون العادل الشامل فمن هلك به فقد هلك بالحق والعدل ومن هلك بهما فلا ناصر له »

ونسأل الكاتب الفيلسوف : أين كان الله ومع من في غزوة بدر ؟ ومن كان الأقوى منهما ؟ وما معنى ( ولقد نصركم الله يسدر وأنتم أذلة ) ؟ ومع من كان الله في جهاد موسى مع فرعون ؟ وقوله ( ذروني أقتل موسى وليدع ربه ) وما معنى قوله تعالى ( وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ) ( وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها )

وقال في ص ٢٢٧

« والقدر هو النظام كله . . . ويجب أن يعلم بأن الخلاف الذي قام بين الأنبياء والمصلحين وبين جميع أصناف المخالفين هو في أمر واحد تحته أمور كثيرة هذا الأمر هو أن الأنبياء والمصلحين كافة انما جاءوا بالنظام والدعوة الى النظام في كل شيء والى الايمان بهذا النظام . ثم شرح هذا النظام الى أن قال « ولا انتظار للخوارق والمعجزات التي تطلب من وراء الأسباب ومن وراء القوانين الطبيعية ثم استدلل بقوله تعالى ( وإن تجدد لسنة الله تبديلا ؛ ولن تجد لسنة الله تحويلا ) ثم قال :

« فهي لا تغير بل تجري على وتيرة واحدة أزلا وأبدآ ولا تصرف عن سبيلها بل تمضي فيه غير مبالية بمن هلك ولا بمن نجا »

وقد قطع بعض الآية عن بقيتها وعن سياقها ، ليتأتى له تحريفها ،

والاستدلال بها على ما ذهب إليه من الباطل . إن الله لا يخرق السنن الطبيعية ، والنواميس الآلية الميكانيكية جرياً وراء ما ذهب إليه طبعيو القرن التاسع عشر ، وقرره غوستاف في آرائه واعتقاده . ولو جاء بالآية تامة مع سياقها قبلها وأراد أن يفهم الحق الذي دلت عليه لما هوى في تلك الحفرة المادية الدهرية على وجهه

\*\*\*

سابق الآية ولاحقها وسياقها هو ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم ، فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً . استكباراً في الأرض ومكر السيئ ، ولا يحيق المسكر السيئ إلا بأهله ، فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً . أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة ، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض ، إنه كان عليماً قديراً . ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ، فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعبادهم بصيراً )

فأنت ترى أن الآية في سياق تهديد قریش لكفرهم ونفورهم من النذير ، واستكبارهم على دعوته ، وأنهم إذا أصرروا على كفرهم ومكرهم فلا بد أن يصيبهم ما أصاب أمثالهم من الأمم الماضية ، فإذا جاءهم ذلك فلن يردده عنهم راد ، ولن يحوله عنهم محول ، وهي كآية ( وما منع الناس أن يؤمنوا إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلاً ) وقوله في

ذكر ما أصاب المكذبين من الأمم الماضية (أكفاركم خير من أولئكم؟ أم لكم براءة في الزبر) وانظر إلى ختام السياق بقوله (وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض) بهذه التأكيدات المتكررة من نفى الشأن مع لام الجحود مع التأكيد بزيادة «من» وتنكير «شيء» في سياق النفي، وتكرير النفي في قوله (ولا في الأرض)

فهل يتصور العاقل أن ينقض آخر الكلام أوله، أو هو الفهم المقلوب؛ أو هو المادية الآلية وتقرير آلية الكون ونفي اختيار الله وخلقه وقدرته الشاملة؛ وتسمية ذلك قوة مجنونة أو كالمجنونة؛ والنعق بحماقات لوبون في آرائه واعتقاداته؛ إذ ادعى أن الخوارق أوهام، وإن نفى تسلسل الأسباب يرجع بنا إلى عصور الأساطير، وإن علم الحياة نقض القول بعلّة العلل — يعنى الله تعالى، وإن الأنبياء والمؤمنين بهم متهوسون، وإن الجنات أمل كاذب، والآخرة وهم باطل الخ يريد الكاتب أن يمزق الدين رقعاً فيخطط منها ثوباً مهلهلاً يلبسه تلك الفكرة الدهرية التي ضحك منها أهلها وسموها فلسفة أطفال وقوانين جحوية، ونواميس احتمالية.

لو كان لفظ السنة في الآية يفيد ما يريد الكاتب أن يحملها إياه من أن السنن أزلية أبدية لا تتخلف ولا تتبدل ولا تتغير، لتناقض ما دل عليه القرآن من آيات الله تعالى التي أيد بها أنبياءه كآيات موسى وعيسى وإبراهيم وصالح والنبي محمد ﷺ، فيكون القرآن على فهم هذا الكاتب ينقض بعضه بعضاً. وهو ما تولى الله سبحانه وتعالى نفيه عن كتابه بقوله (ولو كان

من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فكيف ساغ في عهـ  
الكتاب أن ينفي الله أن تبدل السنن والنواميس أزلا وأبداً في موضع  
من كتابه ثم يقول في موضع آخر (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم)  
ويقول (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) ويقول (ويكلم الناس في المهد)  
(ويبرئ الأكمه والأبرص باذني، وإذ تحي الموتى باذني، وإذ تخلق من  
الطين كهيئة الطير فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني) ويقول (إنما أمره إذا  
أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وكيف شق البحر لموسى؟ وكيف  
آتى صالحا الناقة مبصرة؟ وكيف وكيف وكيف؟ الخ ماذا كر الله عن  
أنبيائه ورسله وآياتهم وخوارقهم. ولكن الأمر كما قال الله (وماتننى الآيات  
والنذر عن قوم لا يؤمنون) (وكذبوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)  
فهل يثبت القرآن في موضع ما نفاه بتاتاً في موضع آخر؟ أو يهدم  
ما بناه أو يتعارض ويتضارب فيدل على أنه من عند غير الله؟ تعالى الله  
وتبارك كتابه وصدق رسوله وسائر رسله. وكذب الدهريون والماديون  
ومن جرى في ركاب بغالهم ليظهر بمظهرهم وإن ضحك منه العقلاء ومن  
تعلق بهم وهو فيهم ملصق ليس منهم

ثم فسر القضاء بمعنى الفراغ فقال أول ص ٢٥٨

« فالتضاء إذن المقرون بالقدر يراد به الفراغ والانتفاء فالواجب علينا أن  
نؤمن بأن الله قد خلق الخلق ووضع النواميس والسنن ثم فرغ منها بحيث لا يحتاج  
إلى تعديل ولا مراجعة ولا تكميل أو اصلاح أو تدارك... وقال في أول ص  
٢٥٩ « فالتضاء والقدر معناهما أن الله قد أوجد هذا العالم مقدرًا بمقادير  
مضبوطة محكوماً بسنن لا تقبل التغيير وأنه تعالى قد فرغ من ذلك فراغاً

لا يعقبه تبديل ولا تعديل ولا زيادة ولا نقصان لأن ذلك هو شأن الضعفاء أو الجاهلاء أو السفهاء — وتعالى الله عن ذلك .

واعجب من تفسير آية ( وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ) ص ٢٥٧ :  
( وفرغ من إنهاء ذلك الى بني اسرائيل )

فهل رأيت أعجيباً فسرّها هذا التفسير فضلاً عن عربي كاتب يزعم نفسه مجددًا مصلحًا . واجمع هذا التفسير مع تفسير آية ( لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ) ليكون عندك نموذجان من تحريفات الباطنية القرامطة لكتاب الله ليلبسوا منه رقاعاً مهلهلة تدل على مامنية به عقولهم وأفهامهم من سخف . وياليت القوم كانوا أصرح من ذلك وأعقل وعلموا أن دين الصابئة والمجوس ووثنية اليونان ودهرية القرن الثامن عشر والتاسع عشر وحماقات غوسناف لوبون في آرائه واعتقاداته مناقضة كل المناقضة للحنيفية ملة إبراهيم ومن بعده إلى خاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فلم يحاولوا الخلط بين ما لا يختلط ، ولا المزج بين ما لا يمتزج ، ولا الجمع بين النقيضين ؛ ولا القبض على المشرق والمغرب ، فأراحوا أنفسهم وأراحوا الناس معهم ، وكشفوا النقاب عن آرائهم ونحلهم ، فمن شاء وافقهم وشرب من وردهم بلا غش ولا تمويه ولا مكر ولا خداع ، ولكنهم رأوا أن الناس لا يستجيبون لهم بسهولة إذا كشفوا القناع وصرحوا بما يريدون ، فلجأوا إلى هذه المهازل وتلك المضحكات من التحريف والتسخيف .

وما تحريفات أبي زيد الدمهورى لكتاب الله تعالى من الناس ببعيد  
ولكن كاتب الأغلال طم الوادى وأتى إلى الدين من أصله يقلعه بمادية  
دهرية حتى يصبح الناس أحياء متألفة ، وكان الأجدر به أن يتمهل ويتأني  
حتى ينظر مآل الدهرية الأوربيه ومدنيتهم التى يحطم بعضها بعضا ،  
كالنار يأكل بعضها بعضا ، وقد أضمرت على نفسها حرين  
طاختين فى ربع قرن ، والشرر يتطاير لا إشعال حرب ثالثة ، لا يعلم مدى  
ضررها وخرابها إلا الله تعالى . كان عليه أن يتمهل حتى يرى عواقب هذه  
المدنية المادية وماذا يكتب لها من حياة أو فناء ؟ وهل تقوم من هذه  
النكبات التى انصبت عليها : نساء تعرض فروجها لتسد رمق حياتها ،  
فتيات يبعن عرضهن بقرص أو قرصين من الخبز الاسود لا يطرد الجوع .  
وعصابات مخربة ، ومذاهب هدامة

هذا هو ما يدعونا اليه كاتب الأغلال ليخرجنا من نور ديننا إلى  
ظلمات دهرية مادية سببية تنكر الرب واختياره وتكذب رساله وآياته



﴿ التوكل : أخطاء الناس فيه ﴾

نقل الكاتب بعض أخطاء فيه وسمى أشخاصاً ، ونقل كلاماً لهم تشهيراً وتمجينا ثم خلاص إلى النتيجة التي يريدونها من صرف الناس عن الله وعن الثقة به والتوكل عليه ، واحتقار من يؤمن به ويعتمد عليه إلى الإيمان بالانسانية التي هي كل شيء عنده فقال ص ٢٦٤

« إن الشعوب التي تلقن أنه لا يصح لها أن تعتمد فيما تحتاج إليه على قواها وسواعدها وتلقن أن هناك قوة عليا مستعدة أبداً للقيام بكل ما يراد منها استقلالا فما عليها إلا الضعف والاستسلام والانتظار . . .

إن الشعوب التي يقضى عليها بأن تلقن هذه الخرافات والمخالات لى شعوب غير جديرة بالحياة والاستقلال في جانب واحد من جوانبها . . . ولكن الأمم الجديرة بالكرامة وبالحياة هي الأمم التي تلقن منذ تستطيع الفهم أنها إنما وجدت في الأرض مجردة من كل ما يملك الناس مسلحة بكل أسلحة الجهاد والنضال لتوجد في حياتها بنفسها ولتعمل كل ما يلزم لبقائها وسلامتها وسعادتها وتلقن أن الانسانية بمجموعها هي التي أوجدت هذه الحياة وبنت هذا المجتمع وسخرت كل هذه الطبيعة بعقولها وأهلها دون أن يعينها معين <sup>(١)</sup> ويشاركها مشارك وأن هذه الانسانية لو أنها انتحت هذا المنحى في الاتكال وراحت تلتمس من تتكل عليه ومن تكل إلى قوته القيام بما تريد وبما لا تستغنى عنه لظلت حتى اليوم — أي من يوم وجودها — منتظرة مرتقبة ما لا سبيل إلى حصوله،

(١) فروع متدلية من قول غوستاف أن علم الحياة نقض مبدأ علة العلل وأن الآله للناس هو الأمل، وأن خيالهم وحرصهم هو الذي أوجد حضارتهم إلى ما تراه مبثوثا بصريح العبارة في كتابه الآراء والمعتقدات وكتاب حضارة العرب. واعفني من نقل نصوصه وهذياناته

ولبقيت كاحدى هذه الفصائل الحيوانية أو لا انقرضت كما انقرضت فى سالف الدهور الاحياء التى عجزت عن مغالبة الحياة ومجابهة الطبيعة العاتية .

ثم شبه (ص ٢٦٥) المتوكلين على الله بالطفل الذى يلقن أن حوله قوة غالبية عزيزة لا يمتنع عليها شيء ، وان هذه القوة على استعداد لأن تهب له كل مايشتهى فى كل وقت ، وفى كل مكان ، ثم خلى بهذا السؤال : هل من الجائز أن يصنع مثل هذا الطفل خيراً ، وأن يقوى على شيء ، ثم صرح أن الرجل المتوكل على الله شر من ذلك الطفل فقال ص ٢٤٥

ثم ليعلم أن شراً منه ذلك الطفل أو الرجل الذى يعلم هذه التعاليم الاتكالية ويلقن كل هذه الملقنات للاستسلام والانتظار

والجواب سهل جداً فان المسألة لا تخلو من أمرين : فاما أن تكون الدهرية الوجودية الطبيعية التى تنفى الخالق وتصرفه وربوبيته صحيحة ، فيصح تبعاً لها هذا التفريع الكلى الذى فرّعه الكتاب وشرحه ، وأعاد فيه وأبدى ، وإما أن يصح دين الرسل كلهم ودين رب العالمين خالق الناس ومربيهم ومرسل رسله إليهم ليعلموهم الايمان بالله والاعتماد عليه وانه لا حول لهم ولا قوة عندهم إلا منه سبحانه وتعالى وانه (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده) وانه (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) وأنه (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وأنه (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) إلى ما لا يحصى من الآيات (فابتغوا عند الله الرزق) (إن الله هو الرزاق

ذو القوة المتين) وهذا لا شك صحيح لا يصح إيمان المؤمن بدونه بل هو لب الايمان وثمره اليقين وملتقى إجماع الرسل والديانات، وحينئذ تبين أن الكاتب يدعو الى فلسفة دهرية وفكرة إلحادية وشريعة فرعونيه (ما علمت لكم من اله غيرى) (أنا ربكم الأعلى) (وما رب العالمين) (لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) وعند غرق هذا الرب الجاحد لرب العالمين ذهب غروره وكبره وججوده وطغيانه واعترف صاغراً (آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) ثم فسر الكاتب التوكل ذلك التفسير الذى هو روح كتابه ومحور دعوته، وشرحا مبسطا لحماقات غوستاف وهى الأسباب والأيمان بها مع الكفر بالله وتعجزه فقال بعد ما ضرب مثلاً بالوكيل الذى ترضاه وتعتقد بأن ما سيقوم به من أعمال وأسباب وما سيضع من وسائل أعمال مؤدية للغاية وأسباب موصلة إلى النتائج ثم خلص إلى ما يريد فقال ص ٢٦٧ س ٦

(وهكذا ننظر الى التوكل على الله فالتوكل الصحيح عليه هو أن تثق ثقة مطلقة فى أن ما وضعه لعباده من أسباب ووسائل لتبلغهم غاياتهم هى أسباب مؤدية الى مسباتها وتنتائجها بلا تخلف ..)

ومثل بالعلاج الصحيح فى أدائه بلا ريب إلى الشفاء والبذر الصحيح فى التربة السليمة مؤد ولا ريب إلى الانبات واختلاط الذكورة القادرة على الاخصاب بالانوثة القادرة كذلك مؤد إلى وجود الولد إلا أن يوجد مانع من الموانع الطبيعية ثم قال

« وهكذا القول فيما يدعى أسباباً ووسائل ، فكلما ازدادت ثقة بهذه الأسباب التي جعلها الله كذلك ازدادت توكلًا عليه وثقة به وبأعماله وتصديقاً بأخباره حينما أخبر بأن الأسباب موصلة إلى غاياتها ، وإذا شككت في الأسباب والطرق التي جعلها الله وجوزت ألا توصل إلى شيء فقد نقص توكلك على الله وإيمانك بنظامه وأصيب يقينك بأخباره وأصبحت من الشاكين غير المتوكلين . . . »

إلى أن قال ص ٢٦٨ س ٣

« أما غير المتوكلين حقاً فهم أولئك الذين لا يثقون بسنة من سنن الله ولا بناموس من نواميسه ويجوزون عليهما الاختلال والاختلاف »

فبشرى لفرعون إذ كان من المتوكلين حقاً حينما أخذ بالأسباب من جنود وجيش وملاً وركب وسار وراء بني إسرائيل ليردهم إلى حظيرة عبوديته . وأما موسى الأعزل الهارب من بني إسرائيل إلى شاطئ بحر عميق مغرق ، فضرب البحر بعصاه فانقلب ، وانخرقت له سنن السكون ونواميس الطبيعة ، فلم يعرف التوكل بالشح الذي شرحه كاتبنا ، وكذلك سائر الأنبياء إبراهيم وهود وصالح وشعيب ولوط ، فأعداء إبراهيم لما أوقدوا النار واثقين بها ليلقوا فيها إبراهيم كانوا عند الكاتب خير العارفين بالتوكل وكانوا سادة المتوكلين العارفين بالله

أما إبراهيم الذي قال حين أُلقي في النار ( حسبي الله ونعم الوكيل ) فكان مثلاً طيباً — عند الكاتب — للجهل بالله وبالتوكل عليه ، وكان الذي قال للنار ( كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ) عند الكاتب — قوة مجنونة أو كالمجنونة ؛ سفهية فوضوية ، تضع سنناً وتخرقها ؛ وتعارض النواميس الطبيعية التي لا تعارض ولا تختل أزلاً وأبداً

وكذلك موسى حينما دخل أعزل من كل سلاح مادي إلا إيمانه بالله  
وتوكله عليه - على فرعون جبار الدنيا في عصره بقوة المادية وملئه  
وجنوده . وكذلك سيد المتوكلين خاتم الرسل حينما خرج لقريش في قلة  
من صحابته نحو الثلاثمائة إلى نفيهم العام الذي خرجوا به ليحموا غيرهم حاملة  
أرزاقهم ومادة حياتهم بقضيتهم وقضيتهم وخيلهم ورجلهم . الخ  
(وبعد) فاما أسباب لا تتخلف أزلا وأبداً ، وما يخالف ذلك فكذب  
عند الكاتب . وإما رب يفعل ما يشاء بسبب وبغير سبب ، ويجرى السبب  
أو ينقضه أو يبطله كما أخبر بذلك واتفقت عليه رسله وعقلاء الناس  
وبالجملة فاما دهرية أو إيمان ، واختر لنفسك ما تظمن اليه وما ينشجع  
له صدرك . وكل ميسر لما خلق له .

قال الكاتب خلافا لاجماع المسلمين بل المتدينين بل العقلاء ص ٢٦٨  
« لأن التوكل كما ذكرنا هو الايمان بالأسباب ، لست أريد أن أقول هو  
الآخذ بالأسباب مع الاعتقاد بأن الله تعالى قد يفعل من غير الأسباب . فان هذا  
هو السفه والفوضى التي لا ضابط لها . . . ولا شك أن الاعتقاد بأن الله يدخل  
في الأسباب ويدخل بينها وبين الآخذين بها فيجعلها حيناً أسباباً ، لأنه راض عن  
الآخذين بها ويجعلها أحياناً أخرى غير أسباب لأنه غاضب على الآخذين بها  
ويجعلها . . . ويجعلها . . . و . . . و . . . وهكذا يتصرف نقضاً وبناءً في  
نواميسه وخلائقه - على حسب رضاه وسخطه وحبه وكرهه على حسب اختلاف  
الأديان والمذاهب وعلى حسب تغير مشيئته ، نعم إن الاعتقاد بأن الله هكذا  
يصنع يناقض التوكل على كل احتمال »

وهكذا يلون الكاتب عقيدته أو دهرية القرن التاسع عشر أو ما رضعه

من حماقات غوستاف لوبون : بالألوان المختلفة والحقيقة واحدة ، ومحور واحد تدور حوله الرحا دورات متعددة ، ولا تخرج عن هذا المحور مهما تعددت الدورات : دهرية مقنعة بخرق بالية

ثم نزع إلى حديث المقضى عليه حينما قال حسبي الله ونعم الوكيل ، وقول النبي ﷺ « إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس ، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل » والحديث الآخر « إن الله يلوم على العجز فابذل من نفسك الجهد فان غلبت فقل توكلت على الله » ثم قوله ﷺ « فان غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل » شارحا بقوله ص ٢٧٠

( معناه إذا أعطيت من نفسك المستطاع ثم غلبت وجب عليك أن تعلم أنك إنما غلبت بالحق وبالتقوانين التي لا تفرق بين من يقعون تحت طائلتها ويحتكمون إليها وإذا كان ذلك كذلك وجب عليك الرضا بالحكم وإن كان غلبا أو هزيمة لأنه عدل ووجب عليك الثناء على الحاكم القاضى وإن كان قضاؤه عليك لأنه عادل غير محاب ولا أنه عالم غير جاهل ووجب أن تقول حسبي الله ونعم الوكيل ) وعلى هذا التفسير فعلى كل مظلوم فى حكم أن يشئ على قاضيه ويرضى بالحكم مهما كان ، إذ أن الرسول ﷺ قد علم المغلوب على أمره أن يقول حسبي الله ونعم الوكيل التي هي بحسب تفسير الكاتب : الرضا بالحكم والثناء على الحاكم ، فياسفاهة الذين وضعوا محاكم الاستئناف والنقض والابرار ، وقضاة فوق قضاة لنظر شكاوى من لم يرضوا بالحكم الاول ويروا أنهم مظلومون ، فقد فسر لهم الكاتب ما أمرهم النبي ﷺ أن يقولوه عند الغلب « حسبي الله ونعم الوكيل » بالرضا بالحكم والثناء على

الحاكم، وإذا فلا قضاء ظلمة ولا محكوم عليهم بظلم، وما غلبوا إلا بالقوانين العادلة والقضاء العدل الذي يجب الثناء عليهم وتقبييل رؤوسهم وأيديهم وأرجلهم من مظلوميههم. وفي الحديث الصحيح «إنما أنا بشر أقضى بنحو مما أسمع، فمن قضيت له من أخيه بشيء فأنما هو قطعة من النار فليأخذ أو فليدع» وفي القرآن في قضاء داود في الغنم والحرب قوله تعالى (ففهمناها سليمان)

ولكن هذا التحريف المضحك المبكى سببه الانحراف عما يعرف الناس من أوضاع دينهم ومحاولة إطفاء الشمس واستبدال فتيلة بها، بل دعوة الناس إلى ترك شمس الدين وضيائه إلى ظلمات الدهرية المادية، والأسباب والمسببات الصارمة والنواميس الطبيعية المطردة أزلاً وأبداً، ووصف الله بقوة مجنونة أو كالمجنونة سفينة فوضوية إذا تحكم في الأسباب أو أبطلها - عند الكاتب

قال ص ٢٧٠:

(وأما قول صاحب الناقة أطلقها وتوكلت فإنه يذهب في هذا القول وهذا العمل إلى أن معنى التوكل هو الاستسلام وترك الحيلة والعقل مؤملاً أن يفعل الله ما يشاء وأن ينزل من أجل ناقته جبريل وميكائيل في يد أحدهما خطام وفي يد الآخر عقال ليحفظا له الناقة من الضياع والهرب<sup>١</sup> فرد عليه الرسول هذا قائلاً (أعقلها وتوكل) مبيناً له أن الاتكال معناه الأخذ بالوسائل مع الاعتماد عليها وعلى انجاحها ومبيناً له أن من سلك الطريق لزم أن يطمئن وألا يخشى من وراء

(١) وتأمل ما في الكلام ولا يؤذيك ما فيه من رائحة الهزء بملكين كريمين من خيار ملائكة الله جبريل وميكال وحط من قدرهما وعملهما في ملكوت الله

الاسباب جوراً ولا عدواناً كأن يهاجم ناقته المعقولة روح من الأرواح أو عفريت من العفاريت أو شيء آخر خفي من الأشياء الأخرى الخفية<sup>(١)</sup> . . . أو كان يصنع الله بناقته بعض الأشياء التي يزعمون أنه يصنعها خروجاً على السنن والاسباب والعادات بقصد الامتحان أو الابتلاء . . . وهذا ما يشير إليه قوله (وتوكل) أي اطمئن وثق بالنتيجة ما أخذت بالحيلة الكاملة)

وختم الباب بهذه النتيجة آخر ص ٢٧٠ وأول ص ٢٧١

(وإذا ما فهم التوكل كهذا الذي ذكرنا كان قوة من أعظم القوى وكان مهمازاً يسوق الانسانية أعنف سوق إلى العمل وإلى إفراغ الجهد كله، وكان قاطعاً لداير الكسل والركود والاتكال انتظاراً لما وراء الأسباب ولما في الغيب مما لن يجيء ومما ليس في الحسبان والتوكل بهذا المعنى هو روح الانسانية ومتى زايلها فقد حانت وفاتها وهو بهذا المعنى روح الأديان وروح الاسلام)

وقبل أن نتكلم على النتيجة الأخيرة نسألك : هل تنبه فكريك إلى ما اقتراه على صاحب الناقة مما لم يدر بخلده من أمله في نزول جبريل من السماء بزمام وميكائيل بعقال ليحفظا له ناقته، ولو حلفت بالله أن هذا الخاطر لم يخطر ببال هذا الاعرابي لرأيت أنني صادق، ولكن الهزء بعالم الغيب من الله وملائكته عند الكاتب لا حد له ينطلق اليه بمناسبة وبغير مناسبة كما حمله هنا لخاطر هذا الاعرابي صاحب الناقة الذي ظن أن التوكل يكفي بدون أسباب - وكثيراً ما كان يكفي عند ما يريد الله

(١) ولعل الكاتب لا يصدق ما حكى الله في قصة عرش بلقيس (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر) (الآية



خرق سننه لتأييد رسله وكرامة صالحيه

وأما أمل الأعرابي في أن الله يفعل ما يشاء في حفظ ناقته مما يعرف  
ومما لا يعرف ؛ فأمل صحيح ، فله أن يلقي السكينة على مشاعر الناقة فلا  
تقوم ولا تهرب ، والله أن ييسر من خلقه الانس أو الجن من يحفظها  
للأعرابي حتى يعود وإن تهكم الكاتب المادى الدهرى بذلك وبالأرواح  
الخفية ، وبالأسباب الغيبية ، وأفعال الله بأسباب ظاهرة وغير ظاهرة ؛  
وبغير أسباب بالكلية بل بقدرته ، فسزجىء البحث معه فيها إلى ما بعد  
وتفسير الكاتب لقول النبي ﷺ له « اعقلها وتوكل » بقوله  
« فاطمئن وثق بالنتيجة إذا ما أخذت بالحيلة » اقتراء على مراد سيد  
العقلاء وخاتم المرسلين ، فكم من صاحب ناقة عقلها ولم تحصل الطمانينة  
ولا الثقة بهذا السبب ، وكم من النوق تنفك عقلها بنوع من حركتها ،  
ومحاولات سهلة منها لذلك وتنطلق هاربة ، والواقع شاهد عدل ، ويتعالى  
مراد النبي ﷺ في قوله « وتوكل » عن هذا التهافت الذى يحمله إياه  
الكاتب . وإنما النور الظاهر من هذا التعليم النبوى في هذا أن يثق  
صاحب الناقة بعد عقلها بالله تعالى القادر أن يجعل هذا العقل مفيداً مؤدياً  
ما قصد منه فلا تحاول الناقة الانفلات منه ولا يتسلط عليها مخلوق من  
شياطين الانس أو الجن فيحل العقل ؛ وهكذا نشرب الدواء ونعتمد على  
الله أن يجعله نافعاً ونبذر البذر مراعين ما يلزم بحسب طاقتنا العامة والعملية  
معتمدين على الله أن يكمل نقصنا وأن يتم ما فاتنا بجهلنا ، وأن يدفع الغوائل  
والعوائق التى نعلمها والتى لانعلمها عنه حتى ينبت ويقوم على ساقه ويثمر ،

وهكذا في كل شيء له سبب أو لا سبب له نعرفه أو نعرفه معرفة ناقصة ونسأل الكاتب سؤالاً نرجو جوابه بلا بهت ولا مكابرة : هل عرف الناس جميع أسباب الأشياء وجميع عوائقها معرفة قطعية لا خلاف ولا نقص ولا شك فيها ولا انتظار لمزيد عليها ، أم هي اجتهادات وتخمينات تمسك الناس بها أمس وقد يرفضونها اليوم أو غدا ، والكاتب يعترف أنهم لا يزالون مجهولون سر الحياة ويحاولون فهمه . فهل على الناس عيب إذا توكلوا على الله واعتمدوا بقلوبهم عليه بعد أن يعملوا ما يعرفون من الأسباب على قدر طاقتهم ومبلغ علمهم

ثم نسأله سؤالاً آخر : هؤلاء الفاشلون في نضال الحياة سياسياً أو حربياً أو اقتصادياً ما سبب فشلهم ؟ والأمثلة كثيرة في الناس : نابليون وهتلر وموسليني حتى تشرشل الذي يتغنى الكاتب بعبقريته ، لا يزال يتكشف للناس الغلط تلو الغلط في سياسته ، وتشير إلى ذلك صحف أمريكا ويلخصها أعداد المختار من حين إلى حين كعدد يولية ١٩٤٧ في مقال ( فصل خفي من التاريخ ) وكقول محمد التابعي في أخبار اليوم ( أول يونية ) : « إن روسيا تسيطر الآن وهذا بفضل أخطاء سياسة تشرشل الشنيعة أثناء الحرب على معظم وسط أوروبا وجنوبها الشرقي ، وفي وسط هذا القسم الكبير المهم من أوروبا تقوم اليوم حكومات شيوعية تصدع بأوامر روسيا »

ما هو سبب فشل هؤلاء الفاشلين وهم لم يألوا جهداً في إنجاح أنفسهم ؟ إن قال : القدر وسلطته الغيبية فهذا هو المطلوب ، وإن قال :

جهلهم بأسباب النجاح وسلوكهم بغير قصد غير طريقة فهو المطلوب أيضا فلا عيب حينئذ على المؤمنين بالله في توكلهم على علام الغيوب بعد بذل الجهد فيما يعرفون ليكمل نقصهم في العلم بالأسباب ؛ ويقوى ضعفهم فيما ضعفوا فيه منها ؛ وبعدم بالعون والتوفيق والهداية والالهام ، ويقوى همهم في ذلك .

وسؤال ثالث : لماذا يفشل أفراد وأقوام في الحياة وينجح آخرون هم أقل من أولئك علما وعملا وقوة ومعرفة بأسباب النجاح ؟ فإن أراد أمثلة من الأمم فخذ مصر واليمن وبلاد العرب والشام والعراق وإيران ، ثم ضع القسطاس المستقيم لعلم كل واحدة منها وعملها ومعرفتها بأسباب الحياة وطرقها ، ثم علل استقلال المستقل منها وفشل الفاشل عن الاستقلال فيها ، كاليمن وبلاد العرب في جانب ، والأخرى في الجانب الآخر

ولا نريد تعليلا سخيلا كتعليل الكاتب فشل على بن أبي طالب وانهيار جيوشه بسبب دينهم ، ونجاح معاوية وجنود الشام بسبب قلة دينهم ، فهذا تعليل سخي لم يسبق الكاتب إليه عاقل فيما نعلم ممن كتبوا التاريخ بعلمه وأسراره ، اللهم إلا إذا كان أمثال غوستاف لوبون وأمثاله أصحاب الفلسفة المادية الآلية الطبيعية التي يضحك منها اليوم عقلاء القرن العشرين ؛ ويعلنون الاعتراف بالقدر وعالم الغيب ، والتصرف الإلهي الذي يسخر الكاتب منه ومن المؤمنين به . والواقع والتاريخ ووقائع قضاة عدل وشهود أثبات ونزاهة لما قلنا .

وسؤال رابع : لماذا فشل الكاتب في الحصول على ثمن يتبصر

بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه ممن طلبه منهم حتى رموه بالجنون والحمق : أهو القدر الذى قلوب الخلائق بين أصابع مقدره ؟ أم هو جهله بأساليب الحياة الذى كان يجبره ويكمله استخارة الله قبل الطلب ثم الاعتماد عليه والتوكل والدعاء فى إنجاز الطلب ؟

هذا أم الحرمان من القناعة والزهد وعدم الرضا بما قسم الله حتى هوى فى حفرة الذل والتسول فأذل نفسه بسؤال ما لم يجيبوه اليه وحقوه فيه واستذلوه ؟ ولقد سأل أقوام دون الكتاب مطالب أكثر مما طلب فنجحوا فيما فشل فيه ، أليس هو القدر الذى أفشله فيما أجيب أمثاله ممن هم دون الكتاب عند نفسه عالماً وأدباً وفضلاً ، فلماذا فشل ونجحوا ؟

سأرجىء البحث فيما ذكر من حب الدنيا وفى الزهد فيها وما موهه من آراء وما حرّفه من فهم الآيات ، وما شوه به الدين من آراء . إلى فرصة أخرى إذ يحتاج ذلك إلى بسط وتفصيل

وكذلك فى مسألة اختلاط الرجال بالنساء ومدح التبرج والعري ، والاعتذار عن الفسوق والفجور والآراء الهدامة الشاذة كقوله ص ٩٨ .

( ان النساء شقائق الرجال وأنهما سواء فى هذه الحياة وفى القدره عليها ، والحاجة اليها ، وفى أعمالها ومطالبها ، وأن مافيهما معاً من أعضاء وغرائز وميول متشابهة متساوية من عقل وفكر وروح وحياة وتكوين عام لينادى بسقوط هذه الفروق المدعاة بينهما ، فان ذلك تفريق بين متساويين متماثلين ، وهذا باطل فى قانون العقل وقانون العدالة العامة بل وفى كل القوانين حتى القوانين الطبيعية العمياء )

ولا أريد أن أردد عليه فيما ادعى من المساواة بين الجنسين وعام

الفرق بينهما عقلا وقانونا حتى لدى القوانين الطبيعية العمياء بقول الله ( الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ) ( وللرجال عليهن درجة ) ولا باستدلال الرسول على نقصان عقل المرأة بأن شهادة اثنتين منهن بشهادة رجل ، وبعودها عن الصلاة والصيام وقت حيضها ونفاسها — لا أستدل عليه بذلك إذ لا يؤمن به وإن آمن بلفظه حرفه بما رأيت من غرائب التحريف البربرى الأعجمى حتى يجره على وجهه إلى ما تردى فيه من تهتك وإباحية ؛ وإنما أترك الكلام للواقع والمشاهدة ؛ وعلمى ( النسيولوجيا ) منافع الأعضاء ( والبيولوجيا ) علم الحياة ، فهى أعقل من الكاتب وأعرف بخلق الرجل وبدنه وأعضائه وغرائزه ، وبالمراة ، وكلامهم فى هذا مبسط مبين ؛ وأنا مللت الكتابة والنقل ؛ وسأرجى ذلك إلى فرصة أخرى

( وبعد ) فهل يحيض الكاتب ويحبل ويُرضع ؛ وهل له مبيضان لتوليد البويضات الجنينية ورحم لنمو الجنين فيه وتديان لإرضاع المولود ؟ وهل يرقص ويتكسر ؟ ولا أسأله عن الطبخ والغسل والخبز ، وسكنى البيت وتديره وتربية الأطفال وغسل ثيابهم وأقذارهم ، وغسل الثياب وكيها . وبالجملة ما تقوم به زوجته فى داره ، وسائر النساء فى دورهن فضلا عما اختصاصن به من أعضاء الحمل والولادة ، فعمله يقوم بذلك بدل زوجته . وهل زوجته كتبت كتاب أغلاله واتصلت بدعاة التبرج وجالستهم ؟ لا أظن ذلك فيها ولا أظن قدرتها على ذلك . فضلا عن فقد أعضاء الذكورة وما إليها . فالرجال رجال والنساء نساء مهما تلونت الحياة

وللقارىء أن يحكم على قوله بما يستحقه من وصف التعقل والهدوء أو  
الهور وعدم الاتزان . ذلك قوله آخر ( ص ١١٠ )

( ولعل إلزام المرأة البيت للأسباب المذكورة ) أى صيانة لهن من الخلطة  
بالفجار ( لا يقل سخفا عن هذه العملية الوحشية الشنيعة ) عملية اخفاء الذكور  
الذين يخدمون النساء « للأسباب المذكورة أيضا »

ثم ضع هذه وما معها قبلا وبعداً بل الفصل كله — مع قول الله تعالى  
لا طهر نساء العالمين زواجه صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ( يا نساء النبي لستن  
كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه س  
مرض وقلن قولاً معروفاً . وقرن فى يوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية  
الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله . إنما يريد الله  
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ) واحكم أيهما أذكى  
وأهدى سبيلاً وأقوم قبلاً وأصدق حديثاً : آله أم أصحاب الأغلال

لقد كانت ابنة الشاطىء وهى امرأة مثقفة وسيدة مهذبة ، أعقل من  
صاحب الأغلال ، وأوسع علماً وحكمة حينما بينت فى هلال يونية ١٩٤٧  
سخف تسوية المرأة بالرجل وسفه ذلك فى مقال عنوانه « عدل لاخير فيه »  
فى مقال طويل ممتع مملوء بالبراهين الواضحة تقتطف منها ما يأتى . فانها  
بعد أن ذكرت حجج من يدعون نصرة المرأة ثم سألت وأجابت : ماهذه  
المساواة المرجوة بينهما : أمساواة فى الخلقة والتكوين ؟ محال . أمساواة  
فى الشخصية ؟ مسخ وانحراف . أمساواة فى العمل ؟ خلل واضطراب .  
أمساواة فى الأعباء والمسئوليات ؟ ذلك هو قرار قانون الحياة من أول

الزمان . أم مساواة في الحقوق المدنية فهو حاصل وأيده الاسلام حين قرر للمرأة حق التعامل ، واعترف بشخصيتها المدنية ، وجعل لها نصيبها العادل من الحقوق المالية والواجبات ( قلت ) والمواريث

ثم ذكرت أن المساواة بمعناها المطلق لا توجد حتى بين أفراد الرجال أنفسهم - وضربت أمثالا كقبول بعض الطلاب في بعض الكليات العلمية ورفض آخرين لتفاوت تأفه شكلي كمنورة في مجموع الدرجات أو قيراط في الطول والعرض ، أو سبق ولحق بيوم واحد في العمر والسن فيصبح هذا رئيساً وهذا مرءوساً . بل اختلاف في مواهبهم : هذا صانع وهذا مهندس وهذا قاض - محام - طبيب - تاجر . ولو طالبوا جميعاً بحق المساواة المطلق لاضطرب الأمر واختل النظام

ثم قالت : وهل الأمر بين الرجال والنساء إلا مثل هذا أو شبيه به أو قريب منه : لكل حرفته التي يصلح لها ، وعمله المناسب لشخصيته ومواهبه . ولو خلى لنا المرأة - باسم المساواة - تتخلى عن عملها في البيت وتدع حرفة الأمومة لتنطلق في ميادين الرجال صانعة أو مهندسة أو تاجرة أو موظفة بشركة لأنها إنسانة آدمية لكان مثلنا مثل من يوجه الرجال جميعاً نحو ميدان واحد دون نظر في مدى حاجته اليهم أو تقدير حاجة الميادين الأخرى اليهم .

اللهم انى لا أجد فرقاً بين اشتغال النساء بالأمومة واشتغال الرجال بالصناعة والتجارة والسياسة إلا كما بين توزيع الأعمال بين القضاة والعلماء والمهندسين والأطباء والموظفين والصناع . هي مسألة تنويع أعمال وتوزيع

كفايات ، واستثمار مواهب ، واستغلال قُوى ، وانتفاع بمقدرات . ولا ظلم ولا تعسف ولا أثره ولا بغية استعباد كما زعموا

قالت : فان أبوا إلا أن يسموه ظلماً فالمسئول الأول عن هذا الظلم هي الطبيعة الأولى (١) التي فرقت في الخلقة بين الرجل والمرأة بل بين الرجل والرجل ، والمرأة والمرأة . الطبيعة التي جعلت في كيان الأنثى مكان الولد ، وفي ثديها النبع الإلهي لغذائه ، وفي خُلقها الصبر على تكاليف تربيته وحضائته ، وجعلت في الرجل خشونة المقاتل وقوة المكافح وجلد الصياد . الطبيعة التي لم تخلق قط المساواة المطلقة بين أى اثنين من الناس ولو كانا توأمين ، ولم تخرج قط من مصنعها مثلين متساويين وإنما وزعت المواهب وفرقت الكفايات ، لتضمن صانعاً لكل حرفة ، وعاملاً لكل عمل ، وبطلاً لكل ميدان . هي المسؤولة عن هذا الظلم وهي خصمنا الواحد ، فان شئنا أن نطالب بالعدل وتحقيق المساواة بين الجنسين فلن نجد حكماً نختصم إليه لينصفنا من الطبيعية الظالمة ويحكم لنا عليها وهيئات هيئات . فما كانت أحكام الطبيعة بالتي تستأنف أو تنقض أو تعقب . فليصيحوا أن المساواة بين الجنسين عدل وحق ، وليضجوا من ظلم الطبيعة وتفريقها ، فلن يجدى الصياح ولن تنفع الشكوى

(١) تريد الكاتبة بالطبيعة فطرة الله التي فطر عليها خلقه وقدره الساري فيهم النافذ عليهم وأما وصفها بالظلم ونحوه فتكلم بلسان الخصوم لتلزمهم الحجة من كلامهم على حد تعبير الخليل في محاجة عباد النجوم للكوكب والقمر والشمس ( هذا ربي ) من غير اعتقاد لذلك .



هبوا المستحيل قد كان واستطاعت المرأة أن تقوم بهذا العمل أو  
ذاك مما قام به الرجال فهل ترانا ندخل الرجل إلى البيت ليحترف الرضاعة  
والحضانة والتربية مما قامت به الأنثى من عهد حواء أم ترانا نترك البيوت  
معطلة خلاء؟ أسئلة لا تنتهى وما أحسبها تنتهى فنسأل : أى خير فى ذلك  
العدل؟ ولمصلحة من هذا الانقلاب؟ أمصلحة المرأة وقد كانت بأوثقها  
من القلب الحبيبة الشائقة، والملمهمة الفاتنة والسيدة الحاكمة، تغنو لها جباه  
الملوك وترنو إليها أبصار الفرسان، ويتخذها الرجل فى بيته حرماً مصوناً  
لا يمسسه الغبار ولا تجرحه الأعين، ولا تناله الأيدي ولا تتطاول إليه الأعناق.  
أم مصلحة الرجل وسيفقد فيها موضع حبه، ومثار فتنته، بل سيفقد  
سره الأكبر الذى يغريه بالكفاح، ويهون عليه ما يلقى فى موكب الحياة،  
ليرى إلى جانبه ذلك المسخ الجديد الذى يثير الرحمة ويبعث على الرثاء؟  
أم هى مصلحة الجماعة وسوف تحرم بهذا الانحراف - إن حصل - بيتها  
السعيد يتكامل فيه الجنسان ويتعاون الزوجان على حمل الأمانة العظمى،  
اترى مكان هذا البيت نزلاً كثيراً يأوى إليه رجل مجهد محروم وزميلة له  
شقية تعسة قد أنهكها جهاد لم تتعوده وأرهقها عمل لم تنهياً له

ألا إن فى المساواة معنى من العدل لا خير فيه أو هكذا تراها  
الانسانية. أما الطبيعة فتراها وهماً من الأوهام. وأما المرأة التى مزقوا  
حجابها وأخرجوها من بيتها فتراها لونا من الظلم لا مساواة فيه.  
( بنت الشاطئ : من الأماء )

انتهى مانقلته ملخصاً من هذا المقال القيم المدعم بالحجج العقلية

المنتزعة من طبيعة الوجود وحقيقة الواقع وعلم النسيولوجيا والبيولوجيا. ولا يسوأنك ماذكرت الكاتبة مكرراً من لفظ «الطبيعة» وظلمها ونحوها فهي ترد باطل المدافعين عن تبرج النساء بلسانهم وتعبيراتهم لا بلسان الدين وعباراته

ولها كلمة أخرى في آخر مقال «الاسبانيات في المدرسة والبيت»

في هلال ديسمبر سنة ١٩٤٧ قالت

«ألا ليت قومي يعلمون أن المرأة الغربية لم تترك بيتها راضية ، ولم تحترف عن رغبة وهوى ، وإنما أخرجت من البيت تحت ضغط عنيف من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية قاهرة ، واحترفت عن حاجة واضطرار ، وهي بعد لا تزال تحن إلى البيت الذي حُرمت منه ، وترى فيه نعيمها المفقود وحلمها الجميل

«ألا ليتهم يعلمون أن في الغرب مذاهب سياسية واجتماعية نات بالأنوثة عن صخب المعترك السياسى وغبار الطرقات وشذوذ المساواة ، وأبقتهما في دنياها موضع العزة وجمال البيت وصناعة الأبناء وأثنى الحياة» اه ولو كان هؤلاء الدعاة إلى الدعارة والفجور واختلاط الجنسين يكفهم قال الله تعالى . قال رسوله ﷺ . قال العلماء — لما احتجنا إلى كل هذه التطويلات من كلام أهل العقل والتجربة ومقررات علم منافع الأعضاء وفي قولها في وصف لبن الأم بأنه النبع الالهى لغذاء الطفل وكذلك استشهادها بما أقرته الشريعة الاسلامية من حقوق المرأة المدنية ، ودفاعها عما قرره الدين والفطرة والعقل من صيانة المرأة وحجابها — دليل إيمان

الكاتبة وعقلها ؛ وحبها للفضيلة والخلق الكريم ، على خلاف ما دعا اليه كاتب الأغلال من تبرج المرأة واختلاطها بالرجال وما يتبع ذلك من فسق وفجور وانحلال ، عُمياً عن آداب الديانات والشرائع وقوانين الفطرة والحياة والوجود ، ودعائم الأخلاق والحشمة والعفة ، وما جره التبرج والفجور والاختلاط مما يندى له جبين المروءة والحياء والخلق الكريم ولقد حدثني وجيه جدة وفاضلها الشيخ محمد نصيف عن سفير إيطاليا بها أنه قال له : أحب من دينكم أمرين :

(١) تحريم اختلاط الرجال بالنساء (٢) تحريم الربا

وقال السفير : كيف أثق بامرأتى تذهب مع شاب صديق أو خليل لها في رحلة إلى جبال الالب عدة أيام أو أسابيع : شاب مكتمل الرجولة والفتوة والحيوية ؟ ثم مدح تحريم الاسلام للربا وحثه على إقراض المحتاج وإمهاله بدون قصم ظهر معيشتة بالربا

قال الوجيه : زوج أحد اللوردات بنته فوُجدت بكراً فشكرها أبوها على محافظتها على بكارتها وقدم لها هدية لذلك . فضربت على عجزتها وقالت له : اشكر هذه فهي سبب حفظ هذا .

وذكر لى أحد المختلطين بالانكليز عنهم أنهم لا يعرفون بكاراة البنت ويقولون هل تعرف بكاراة للشبان فتعرف بكاراة للفتيات ؟

وذكر أن امرأة سفير فرنسا كانت تعشق سكرتير السفارة فكانت تخلو به في حجرته فاذا طرق السفير عليهم أجابت ارجع فسأتيك .  
تعنى بعد الفراغ من خلوتها بخدينها . فهل هذا ما يدعونا اليه كاتب الأغلال ؟

وتهمك الصاوى الكاتب فى أخبار الدنيا تحت عنوان هل صرنا أقل من الصين ؟ حينما منعت الرقص المزدوج ، فهمك بغيرة الأزواج الذين يرون زوجاتهم تنتقلن من ذراع خدين إلى ذراع آخر وهن نغمورات بخمرة الهوى وخمر المدامة . فأى إنسانية هذه ؟ أم هى حيوانية المدينة المادية الدهرية الفاسقة الفاجرة التى انطلقت من كل حياء وحشمة وخلق إنسانى .

إن تعليم المرأة الكتابة والقراءة والمطالعة فى كتب الدين والأخلاق وشيئا من قوانين الصحة وتدير المنزل ومبادئ العلوم مع الحشمة وعدم الاختلاط ، أمر لا يجادل فى حسنه وطلبه ووجوبه عاقل . أما فن الرقص والغناء والاستحمام المختلط على الشواطىء ، دع زيارة المسارح والسينمات والمواخير والخلاعة والمجون . فهذا فليتنصح به كاتب الأغلال لمن يحب ، وعليه أن يبدأ به فى بيته وذويه ليقندى به المعجبون به وبعبريته ونبوغه كمن ناصروه فى صحف مصر وأطروا كتابه

وقد أبان معالى عشاوى باشا فى حديثه مع مراسل الأمانة ( شعبان ١٣٦٦ ) حيرة العقلاء فيما وصلت اليه حالة المرأة المتعلمة إذ يقول « أم أتكلم فى مشكلة المرأة المثقفة وقد وقفت عند مفترق الطرق بعد أن تهيأ لها إعداد مضطرب ارتجلناه بغير غاية معروفة أو رسالة مرسومة »

\*\*\*

يريد كاتب الأغلال فى كتابه ( ص ١١٩ ) أن يصور الرسول الكامل فى جسده وروحه ، فى قواه البدنية والخلقية والروحية إنسانا فآثر الجسم

واهى القوى بليد المهمة صوفياً هندوسياً ، أو راهباً نصرانياً ، فيستبعد عليه تفوقه فى القوى الجنسية ويظنها منافية لما بعث له من جلائل الأعمال . ولعله تأثر فى ذلك بما كتبه المصللون المغرضون من دعاة النصرانية فى رميهم للنبي الكريم بأنه شهوانى ، ولكن الله الذى أكل خلق رسوله وخلق جسده وروحه أعلم منهم ومن كاتب الاغلال بما فطر عليه نبيه من التفوق فى كل كمال بدني وروحي إذ يقول (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) فهذه الاباحة للزواج التي لا حد لها من رب النبي وخالقه لا تكون عبثاً ولا لغواً إلا عند من لا يؤمن بالقرآن ولم يعرف الرسول ولا رب الرسول

وعهدنا بالكاتب فى كتابه ذم التجرد والزهد والمعنويات والمرض وتقديس القسوة والمادة والصحة والعافية وما إليها ، فما باله اختار هنا للرسول ما هجنه واستقبحه ، وباعده عما دعا اليه وألف كتابه له ؟ وعقلاء الناس على خلاف الكتاب يرون أن كمال القوة الجنسية والنزعات الجسدية والشهوات البدنية ، لا تتنافى مع سمو الأخلاق وعظمة العظماء ، وبطولة الأبطال . وها هو ذا (جون سيتوارت ميل) الانكليزى يقول فى كتابه « الحرية » تعريب طه السباعى باشا (ص ١٠٢)

« إن الشهوات والنزعات ليست إلا جزءاً متمماً وركناً جوهرياً من

صفات الانسان الكامل شأن الروادع والمعتقدات كحذوك النعل بالنعل .  
وليس يخشى من طغيان النزعات إلا عند اختلال توازنها ، أعنى عند  
ما تشد طائفة من الميول والأغراض مع بقاء غيرها مما كان يجب أن يجاريها  
في القوة ضعيفاً معطلاً . والسبب الحقيقي فيما يقترفه الناس من القبائح  
ليس قوة الشهوات ولكنه ضعف الضمائر . وليس هناك تلازم طبيعي بين  
قوة الشهوة وضعف الضمير ، بل الأمر على عكس ذلك ، فانك إذا وصفت  
امراً بالتفوق على غيره في قوة العواطف وتنوع الشهوات فكأنك تسلم  
بأن نصيبه من مواد الفطرة البشرية أوفر وأجزل ، فهو لذلك أقدر ولا  
شك على عمل الخير وإن يكن أقدر على ارتكاب الشر ، وما قوة النزعات  
إلا اسم آخر للنشاط والهمة وقد تصرف الهمة إلى فاسد الأغراض ؛  
ولكن لا مشاحة في أن الطبيعة الموصوفة بالهمة والنشاط هي أبداً أقدر  
على جلائل الأمور ومحاسن الأفعال من الطبيعة الموصوفة بالبلادة والجمود  
وإن توقد الاحساس الذي هو مصدر قوة العواطف وحدة النزعات لهو  
أيضاً مصدر أشد ما يعرف من حب الفضيلة وأبلغ ما يوصف من ضبط  
النفس . ولن يستطيع المجتمع أن يؤدي فروضه ويصون مصالحه إلا  
بتربية قوة الاحساس هذه وإذكاء جهرتها .  
ولا عجب فما هي إلا المادة الخام التي منها تصور طبائع الأبطال  
وتصاغ نفوس النواجع فكيف يوفق المجتمع إلى غرضه إذا نبذ هذه المادة  
جهلاً منه بطريقة الاتفاف بها وتصوير الأبطال منها . إن الشخص الذي  
تكون شهواته ونزعاته خاصة بنفسه معبرة عن طبيعته جدير أن يكون من

ذوى الاخلاق . أما الذى لا تكون شهواته ونزعاته على هذه الصفة من الاستقلال فليس له من الخلق إلا مقدار ما يكون للألة البخارية . فاذا كانت عواطف المرء قوية فضلا عن كونها مستقلة ثم كانت له إرادة حازمة تتسلط على شهواته وبصيرة ثابتة تتصرف بعواطفه فهو من ذوى الأخلاق والعزيمة ؛ وكل من يزعم أن استقلال الشهوات والنزعات غير جدير بالتنشيط فأنما يقول بأن المجتمع ليس بحاجة إلى قوة الشكيمة ، وشدة المراس ، وأنه لا يستفيد خيرا من ذوى الأخلاق الكبيرة ؛ وأن علو الهمة ليس من الحسنات المنشودة »

انتهى كلام هذا العالم الاجتماعى الأخلاقى الانكليزى ، وهو جدير بالاعتبار وهو شهادة عدل على صحة ما جاء فى الأحاديث الصحيحة مما اختص الله سبحانه رسوله ﷺ وهو المثل الكامل من كمال خلقه وخلقه وقوة عواطفه وسجاياه البدنية والروحية إذ يقول « حُبب إلىَّ من دنياكم الطيب والنساء ، وجُعِلت قرعة عيني فى الصلاة » فجمع له بين كمال البدن والروح . ويقول « لكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وآكل اللحم وأنزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » وقيامه بحقوق أزواجه وإعفافه لهن وهن يزدن على تسع أمر لا يشك فيه مسلم . وإباحة الله له ما شاء من النساء وما دلت عليه الأحاديث من قوة بدنه وروحه ، وما اختص به من تفوق القوة الجنسية : تكسح ظلمات الكاتب وما استند إليه من شعر الأخطل وخطله وتجنیه على علم النفس والأخلاق ، وخوضه فيما لا يحسن سباحته لينتقص ما حبا الله به نبيه ﷺ من كمالات جسدية

وروحية ليتم له ما رمى اليه في كتابه من إنكار فضل الله على خلقه واختصاصه من شاء منهم بما يبدد أوهام المادية الدهرية العابدة لخمسة الأسباب ، الجاحدة لآيات الله الخارقة لنظام الطبيعة المرغمة لأنوف عبادها وإن أعجب لهوس الكاتب لتلك الخيالات التي رد بها ما اختص الله به نبيه من قوة البدن والعواطف والتفوق الجنسي ، فعجبي أشد من استدلاله على ذلك بحديث « كان إذا دخل العشر شد المنزر » فهذا هو الغباء أو الهوى : سحب حكم عشر من الدهر على أيام الدهر أو الحكم بثلاث شهر على ١٢ شهراً ، أو رد عدة أحاديث مشتهرة صحيحة عند أهلها بمفهوم خاطيء مخطيء لحديث شد المنزر . ثم الوقاحة والسفاهة برمي حفاظ الأمة وأمناء الشريعة بالهوس الجنسي . الى آخر ما سمح به أدبه معهم وهذا الكاتب الاجتماعي الانكليزي - وكاتب الاغلال يطرى الانكليزي في كتابه ويتغنى بفضائلهم - قد قرر ما نقلناه عنه فهل يلحقه في رميه بالهوس الجنسي بمن رماهم به من حفاظ الاسلام ورواة الاحاديث أو يجبن ويتخاذل عن ذلك ؟

أحب أن أسمع ما يقول فيه إن كان عنده شجاعة علمية أدبية حتى نعرف أن الكاتب ثائر ناقد على كل حق حيثما كان وأينما وجد . والذي يظهر لنا أنه جن في رد كل ما هو إسلامي ديني ليخيط بدله مزقا دهرية لوبونية طبيعية .

وقد سمعت قرار الفكر الانكليزي في المسألة فاسمع خلاصة أمريكية في ذلك حتى تسمع تأييد الاسلام من شرق الارض وغربها كما قال الله



تعالى (سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المجرمون)

أما الأمريكى فهو مؤلف كتاب (الانسان ، ذلك العالم المجهول) وهو حائز جائزة نوبل في العلوم الطبية ، وقد لخص المختار مقالته ، وهو أعرف وأوثق معرفة بقوى الانسان ومنافع أعضائه اذ قرر ان إفراز الخصيتين الداخلى في الدم مما يقوى العقل ، وأن العظام من القواد والساسة والحكام كانوا أقوى في العاطفة الجنسية من غيرهم ، وأن اثر ضعف الخصيان في القوى العقلية أمر مشاهد: بخلاف كاتب الاغلال إذ كذب بما لم يحط به علمه ولم يتصوره فهمه ، وكذب الرواة والمحدثين فيما نقلوا من قوة النبي ﷺ (١) وكذب أنساً خادم النبي ﷺ في روايته طواف النبي ﷺ على نسائه في ليلة واحدة بغسل واحد (ص ١٢٠) ورمى الحافظ ابن حجر خاتمة الحفاظ بالهوس الجنسي وتلفيق الروايات في قوة جماعه ﷺ الخ البذاءات التي تليق بأدب هذا الكاتب وتربيته ومنبته وتمرده على المجتمع الاسلامى وليس الحافظ ابن حجر بأعظم من البخارى امام الدنيا في حفظ حديث رسول الله ومعرفة صحيحه ، فقد رماه الكاتب بالجهل بالحديث ، وأنه يروى

(١) كقوته ﷺ في سائر المواهب الجسدية والروحية والخلقية فهو الانسان الكامل في كل المواهب الانسانية حسية ومعنوية ولو عقل الكاتب حكمة إباحة الله له الزوج بعدد لا يحد من النساء لما استبعد وكذب ما جاء من الروايات فيما خصه الله به من القدرة الجنسية التي فاق بها الناس حتى أبيح له من النساء ما لم يبيح لغيره . حكمة تتعالى عن العبث والسفه .

الحديث الموضوع - المكذوب - وهو لا يعرف وضعه وكذبه . صرح بهذا شفاها في دار وجيه جدة الافندى محمد نصيف بحضور صاحب الدار وولده الأديب حسين افندى نصيف وغيرهم من حاضرى المجلس حينما انجر بحثى معه فى مسألة سأذكرها بعد إلى الاستدلال بحديث رواه البخارى، فما تلكأ ولا تلثم عن وصف البخارى بما نقلته عنه حرفياً - بلى ليس البخارى بأعظم من صحابة النبى ﷺ الذى فضل عليهم الاستعمار الانكليزى بشهادة كاتب شهد عليه بذلك فى داره هو سيد افندى قطب رئيس قلم التأليف بوزارة المعارف المصرية، بل الصحابة ليسوا بأفضل من أنبياء بنى إسرائيل وأنبياء المتدينين عموماً على اختلاف أجناسهم إذ رماهم بتأخير الانسانية وعرقلة سير الحياة الخ. بله أن الايمان بالله الذى جعله نكبة على البشر والايمان بالآخرة الذى جعله مؤخراً للمؤمنين بهاعن اللحاق بركب الحياة وهذا كله كان غريباً قبل أن نعرف اهدافه ومراميه التى كشف عنها كتابه (الأغلال) من مادية لا روح فيها ودهرية لا خالق لها، ونواميس صارمة لا آيات ولا خوارق ولا معجزات ولا قدرة خالق ولا اختيار له فيها. والديانات التى تقول بغير هذا أغلال تؤخر سير الحياة وتعرقل ركب الأحياء عند الكاتب .

وبالجملة تلخيص مشوه أو مبسط لا لحاد لوبون وأضرابه من مادية القرن التاسع عشر وما قبله ثم تمزيق دين الاسلام خرقاً ورقاعاً لتلبسه تلك الفلسفة العفنة التى عافها الناس واستهجنوها وعدوها آراء صبيانىة أطفالية. وسأحاول اختصار تلك الكلمة العجلى التى شغلتنى عن أعمالى زهاء أسبوعين

فليس من غرضي استيعاب الكتاب الطويل الممل فقد كشفت عن أساسه ودعائمه ، وعمده وأركانه التي تتلخص في هاتين الحكايتين - ومن أعطاك مفاتيح دار فقد أمكنك من معرفة ما فيها :

(١) ذهب أديب لموادعة صديق أمريكي مسافر بطائرة فكان في الوداع أن قال له : تصحبك السلامة باذن الله ومعونته ، فقال الأمريكي : الله ماله شغل في هذا !! قال الموادع : يحفظ الطائرة من السقوط ومن العواصف مثلاً . قال الأمريكي إن سقطت فن هذا المغفل - وأشار إلى سائقها - الله ماله شغل في هذا . فكتاب الأغلال تبسيط وشرح لهذه الحكاية الأمريكية .

(٢) ذهب جحا (١) لشراء حمار من السوق فسئل أين تذهب ؟ قال أشتري حماراً من السوق قيل له قل إن شاء الله قال له ولماذا أقول ذلك ؟ الحمار في السوق والثمن في جيبي . ولما دخل السوق رزى بلبص سرق نقوده فلما رجع قيل له أين الحمار ؟ قال إن شاء الله ضاعت النقود ، فقيل له كان ذلك من أول . وضحك الناس عليه .

وفلسفة كتاب الأغلال هي فكرة جحا وهو ذاهب لشراء الحمار ولكن جحا انتبه إلى الحق بعد ضياع دراهمه فهل يرجع صاحب الأغلال ولو بعد خراب مالطة وبعد ما أفسد ما أفسد من أفكار قراء كتابه ؟

(١) جحا اسم لشخصية هزلية مجونية تنسب إليها حكايات مضحكة لها مغزى أدبي خلق واختلف الناس فيه هل شخصيته خرافية أو له وجود تاريخي وفي سوق الوراقين تباع كتب باسم نوادر جحا .

الله أعلم بشؤون خلقه والله في خلقه واضلالهم حكم كحكمه في خلق إبليس وإنظاره لاضلال خلقه .

فات أحد كبار الإنكاريين شيء عزم عليه فقبل له لو قلت إن شاء الله لحصل ، فكان يقول إن شاء الله حتى فيما مضى فيقول عملت كذا أمس إن شاء الله تعالى ، وأظنه المستر كوكس مهندس خزان أسوان الشهير بمصر أقول سأختصر الكلمة بذكر فرع من فروع مادية الكاتب وهو إنكار تمثل الجن وتصورهم بصور ، وقد جرى بيني وبينه بحث في ذلك لخصه في كتابه ص ٢٠١ س ٢٩

« ومنذ شهور قليلة قام بيني وبين إنسان عالم نزاع في هذا وقد زعم هو بأن العفاريين يتصرفون في هذه الدنيا وأنه يعرف إنسانا كانوا يخدمونه ويحضرون نه الفاكهة من بلاد أخرى في أوقات تفقد فيها الفواكه وأنهم - أي العفاريين - نقلوا له البراميل من بلدة إلى أخرى »

أقول : أنا ذلك الإنسان العالم الذي عناه ، والذي قام بيني وبينه ذلك البحث الذي رواه مشوهاً ، ولم يذكر ما استدلت به من آيات وأحاديث منها حديث البخاري « إن شيطاناً تفلّت على النبي ﷺ ليفسد عليه صلاته فأمسكه الرسول وخنقه حتى أحس برد لسانه وهمّ ليربطه في سارية المسجد حتى يلعب به صبيان المدينة ، فذكر دعوة أخيه سليمان ( وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ) فأطلقه » فما كان من الكاتب إلا أن رمى البخاري بالجهل بالأحاديث ، وأنه يروى في صحيحه الحديث الموضوع وهو لا يعرف أنه موضوع . وانفصل الحديث عند هذا الحد إذ لم نكن

ندرى ما وراء الأكمة وما يخفيه الكتاب فى أغلاله من الكفر بالله واليوم الآخر والملائكة والجن والرسل والديانات كلها حتى أعلنه فى كتابه الأغلال . وسواء آمن بتمثل الجن وتصورهم أو لم يؤمن ، وصدق ما أخبر الله عنهم فى عصر سليمان وغيره ، وإن منهم البنائين والفواصين والمقرنين فى الأصفاد ؛ ومن عرض على سليمان نقل عرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين أو لم يصدق . وسواء صدق الأحاديث فى ذلك أو لم يصدق ، وما توارثه الناس قديماً وحديثاً مما بلغ مبلغ التواتر الذى لا ينكره إلا مكابر مباغت حتى فى عصر المادة هذا يوجد فى عقلائه من يروى ما وقع من غرائب الحوادث التى لا يعقلها من لم يؤمن بعالم الغيب ويصدقها المؤمنون به .

ولقد كان عقلاء الماديين أعقل من كاتب الأغلال وأبعد عن السخف فاذا رأوا شيئاً لا يفهمونه ، أو صحت عندهم رواية لا تنطبق على قواعدهم المادية ، قالوا : هذا شيء لم نعرف وجهه ، ولم يكذبوا به ولا بروايته ، واستحيوا من العناد والمكابرة والبهت وإغماض العين لأنكار ضوء النهار ولك أن تطلع على ما يختاره « المختار » من حين إلى آخر ، آخرها مقال « قصة شبح » فى عدد يوليو (سنة ١٩٤٧) وراويته عن نفسه رجل من عظماء الانكليز معتمد الحكومة الانكليزية فى فرنسا . فصدقه أو كذبه . وقبلها فى عدد مارس (سنة ١٩٤٧) من مجلة المختار بعنوان ( رأيت ملك الجحيم ) فيها تمثل الشياطين فى غابة من غابات التبت .

وكل ذلك فرع المسألة الأصلية : الايمان بالغيب ، بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ، جنته وناره وحشره ونشره ، وقضاء الله وقدره على

الوجه الذى آمن به المؤمنون الأولون : الصحابة والتابعون وتابعوهم باحسان إلى يوم القيامة . أم الكفر بذلك وتفسيره تفسيراً مادياً دهرانياً لوبونياً طبيعياً وجودياً على ظلمات فلسفة القرن التاسع عشر ، وإن ظن أنه يخدع الناس بذكر الأسماء الدينية وينزلها على مراده الذى اخترعه وحرفه من دين المادة والطبيعة والكون الآلى ( ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب )

قال آخر ( ص ٢٠٥ )

« وليعلم بعد هذا أننا ممن يؤمنون بالآرواح وبالجان ، وبكل ما جاء عن الله ورسوله ، ولا كمننا ننكر الفوضى وننكر أن يكون الله قد ترك خلقه بلا نظام وبلا قانون يلزمهم الحدود ويربهم السبيل ، أو أن يكون قد تخلى عنهم للفوضى والطغيان »

فمرحى لهذا الاعتراف ، إذاً فليؤمن أن الشياطين سخرت لسليمان ( كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد ) ( قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك .. قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ) ( وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءى الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ) تمثل الشيطان بسراقة بن مالك الجعشمى يوم بدر وقال لهم ما حكى الله عنه فلما رأى الملائكة مدداً يزعهم جبريل ولى هارباً فلما نادوا ياسراقة كيف تفر وتمهزم أجابهم الشيطان متمثلاً بسراقة إني أرى ما لا ترون .

وحديث تفلت الشيطان على النبي ﷺ ليفسد عليه صلاته وتمكنه منه وخنقه حتى أحس ﷺ برد لسانه وهم بربطه في سارية من سواري المسجد لولا تذكره دعوة أخيه سليمان ( وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ) وسارق تمر أبي هريرة مرارا وأعلمه النبي أنه شيطان . ولشيخ الاسلام ابن تيمية رسالة في أحوال الجن وعلاج من يصيبونه بمرض ونحوه ، وكيفية اتقاء شرهم مفعمة بالأحاديث في ذلك طبعها الشيخ منير الدمشقي بمطبعته المنيرية سماها ( إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ) وقد ساق البخاري في كتاب بدء الخلق من صحيحه أحاديث على شرطه فيما جاء في الجن وأحوالهم ، وفي القرآن سورة الجن وفيها وفي الإحقاف استماعهم لقراءة الرسول القرآن في صلاته الفجر حينما كان ذاهبا إلى عكاظ بنخلة اليمانية ( قرية بطريق الطائف ) وأحاديث إسلام طائفة منهم وسكنهم المدينة . ومثلهم في صورة حيات وقتلهم لمن قتل منهم حية . والحديث بذلك في صحيح مسلم وأبي داود وغيرهما

وفي ترمذ الجن وطيشهم وعيبهم من الفوائد ما لا يقل عن نظيره من ترمذ المتمردين من بني آدم من تعليمنا كيف نصارعهم ولا نخافهم ، وننازلهم ولا نهيبهم ، ونزداد إيماننا بقدرة الله على خلق مخلوقات لا تُرى ثم ترى ونوعا حيا عاقلا على أسلوب غير أسلوبنا في الحياة والمعيشة ، فإذا تمردوا على ما أئزموه من النظام قاومناهم بما فطرنا الله من قوة ، وما هداانا إليه من عقل وتدير مع الاستعانة به وازددنا علما بما وراء المحسوس فوق مانعاه من المخلوقات التي نحسها ، وأن هناك أحياء غير ما نعرف من

الحيوانات ؛ وأن وراء ما نبصر أمم تحيا وتميش بطراز غير ما نعرف من طرز الحياة التي ألفناها رغم أنف الدهريين والماديين ، وإن كان في الناس من يجبن عن مصاولة هذه المخلوقات الضعيفة من الجن وهو أرقى منهم عقلا وحولا وطولا ؛ فهناك من يخاف الفأر والهرة فضلا عن النمر والأسد مع أنه أقوى منها حيلة وفكراً ومعرفة بطرق اتقاءها بل صيدها وحبسها في أقفاصه . فليس في وجود هؤلاء الجبناء من الناس وعبت الجن بهم أحيانا قليلة للعبرة ما يخذش حكمة إقدار الجن على التمثل والتصور ، ولا فيه فوضى ولا خلل ، ولا ترك الله خلقه وتخليه عنهم كما تصوره الكاتب أنا أو من تتمثل الجن وتصورهم ، وأصدق الصادقين ممن يحكى شيئا من تلك الأحوال الغريبة التي تصدقها القرائن ولوائح الأحوال وشواهد الصدق ومع هذا لا أهاب الجن في خلاء وظلام ووحدانية ولا تشوشت على حالة من حالات معيشتي ولا جرى على فوضى ولا طغيان وأصدق من يحكى أنه رآهم أو قاومهم وانتصر عليهم وفروا منه هارين كسفهاء لصوص بني آدم .

ومن شاء باهلتته على ذلك أن ينزل الله لعنته على الكاذبين .  
وليس في تتمثل الجن وترائيهم للناس فوضى ولا طغيان مطلق ولا ترك الله خلقه وتخليه عنهم كما زعم الكاتب ، وفي تمرد المتمردين من الانس والجن وخروجهم على النظام والقانون حكم وفوائد كثيرة من التوجه لمقاومتهم والهداية إلى قمعهم وعقوبتهم والزامهم النظام والقانون ، وتعلم طرق اتقاء شرهم وفضح حيلهم وأطرهم على الحق والنظام والشرع .



وهل هناك من فائدة لنظام البوليس والادارة ولقانون الجنايات ومحاكمها وقضاتها لولا وجود الأشرار العاشون بالقانون والنظام من بنى آدم والعجب لكاتب الأغلال أن يظن فيما جاء فى النصوص الدينية من تمثل الجن وظهورهم بأعمال تهويلية أو عبث ومجون : فوضى أو تخلل لله عن خلقه أو نحو ذلك من التمويهات التى يرد بها ما جاء فى كتب أنبياء الله تعالى ، وما تواتر فى أخبار الناس عن ذلك . وهل فات الكاتب أن الحياة كلها كفاح وجلاد وصراع ؟ فهذه الوحوش تفترس ، وهذه تدافع أو تهرب أو تقع فريسة ، وهذه الجرائم المرضية تهاجم جسام الحيوان والإنسان وهذه تدافعها . والغلب لهذه تارة ولتلك أخرى . وفى هذا الكفاح من علوم الحياة ومن التجارب ، ورقى العلوم والصنائع ما يعرفه أهله . وقد ذكرنا ما فى عصابات اللصوص وقطاع الطريق ومقاومة القائمين على حفظ النظام والقانون لهم من حكم وفوائد . فهل يعد الكاتب ذلك كله فوضى وتشويش وتخليلاً لله عن خلقه ، وفساداً للنظام ؟ أو الجدا والاجتهاد فى رد نصوص الدين بأوهام وسفسطات وبهرج من القول ، وجرى وراء المادة المنكرة لما وراء المحسوس والطبيعة ؟

إذاً فليبك الكاتب على عقله ودينه

ونسأل الكاتب الفاضل إذا كان يؤمن بما أخبر به القرآن من إرسال الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً ومن نزغ الشيطان للإنسان ، ومن إنظار الشيطان إلى يوم الوقت المعلوم لا غواء بنى آدم : هل فى ذلك كله فوضى وأن فيه ترك الله لخلقه بلا نظام ولا قانون يلزمهم الحدود ؟

إن كان يؤمن بذلك وأنه لا فوضى فيه ولا تخلل لله عن خلقه ولا تشويش ولا طغيان فليضف إليه تمثلهم أحياناً وعبثهم ، مما فيه مصالح لبني آدم مما ذكرنا بعض فوائده ، وإلا فليعلم أن شياطين دين المادية والناعقين بإنكار ما لا يحسونه بحواسهم المقيدة المحدودة لما نقض مذهبهم بمشاهدات الناس لحوادث الجن ، ومشاهدة الأنبياء والرسل للملائكة وتمثل ما وراء المحسوس من عالم الغيب من الملائكة والجن بصور تُرى وتسمع وتحس ، باهتوا التاريخ والتواتر والوقائع ليقوم لهم مذهبهم الحيواني في إنكار ما وراء ما يعرفون — وما أقل ما يعرفون — من الوجود ظاهره فضلاً عن خفيه وغيبه . وجاء كاتب الأغلال يهرف بما لا يعرف جهلاً أو غباءً أو انحداً بهذه الدهرية المادية التي تكذب بما لم تحط به علماً ولما يأتها تأويله وإنا نلجئ اليوم الذي ترق فيه مشاعرنا وحواسنا وتتقدم الصناعة والاختراع حتى يرق ما بين المحسوس وغير المحسوس من حجاب ؛ فيرى هؤلاء العمى من الماديين ما لم يكونوا يرونه قبل ذلك . ولسنا نطمع حينئذ في إيمانهم لأنه بيد الله تعالى ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم آية ليؤمنن بها . قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون . ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون )

\*\*\*

ومن فروع الأصول المادية الدهرية التي اعتنقها الكاتب وفسر بها

ما جاء في الدين ، مسألة إنكار العين وتأثيرها فقد قال (ص ٢٠٦)  
« ومما يتصل بمسألة الأرواح المعتدية مسألة الاصابة بالعين أو النظرة أو  
ما يسمى عند العامة بالحسد فإن الحاسد عندهم إنما يصيب بروحه الخبيثة ومسألة  
الاصابة مسألة ذات ذبول طويلة وحواش ضافية ولاعتقادها أثر جسيم في حياة  
الكثيرين وفي عقولهم وأفكارهم وتصرفهم العام ولها فعل سحري في قوتهم  
العصبية والارادية والعقلية . . .

ثم سرد ماهو منتشر بين الناس في تأثير العين من حق وباطل وما هو  
مبالغ فيه أو أوهام ، وهزأ بكل ذلك وبالروايات فيه صحيحها وسقيمها ،  
ومن ذلك رواية الموطأ والطلب من العائن أن يغتسل للمعين فقال ص ٢٠٧  
وذكروا انه عليه السلام أمر أن تغسل عورة العائن والمواضع القذرة من  
بدنه ثم تجمع الغسالة ثم تصب على المعين ويسقاهها . . . . .

وقد كذب على الرواية بذكر عورة العائن تشنيعاً لها وتشويهاً وإنما  
الرواية في غسل أعضاء الوضوء من العائن : وجهه ويديه وداخله إزاره ،  
وفسروها بطرفه الملفوف على وسطه أو بحقوقه الذين يلف عليهما الأزار .  
فخرها الكاتب إلى عورة العائن إمعاناً في التشنيع على الحديث ، وخيانة في  
النقل ، لأنه يكتب لقوم فتنوا بالخوف مما يسمونه الجرائم والمكروبات  
حتى أورثهم هذا الهوس جبناً فاقوا فيه النساء والأطفال ؛ وهلعاً خلع  
قلوبهم فقدوا به شجاعة الرجال ؛ فضلاً عن الأبطال ، وجنسوا بمـ  
يسمونه النظافة والوقاية من الأمراض ، حتى أن الواحد منهم يتقذر من  
فم جليسه وصديقه الذي قد يكون أصح منه وأنظف فلا يشرب من كوبه  
فضلاً عن خلطته به في طعامه ، بل يتقذرون أصابعهم الطاهرة

فأراد الكاتب أن يظهر لهم الدين هذا المظهر القذر المحقر تنفيراً وتقييحاً، فزعم أن الرواية جاءت بغسل عورة العائن، والله حسبيبه فيما كذب وافترى على الرواية، ولو جاءت بهذا اللفظ لكان في حمله على أحسن محامله الأدب معها؛ فالعورة عند الفقهاء ماتحت السرة وفوق الركبة، وليست خاصة بالقبل والدبر، أو السواتين اعترف الكاتب بما جاء في بعض الروايات ثم أخذ يحرفها حتى تطابق أصوله المادية فقال ص ٢٠٨:

نعم جاء في الأحاديث التي رواها المحدثون الثقات « أن العين حق وأنه لو كان شيء سابقا القدر لسبقته العين » ولكن هل هذه الأحاديث في سبيل من جهل هؤلاء الجاهلين وفي صدد مما قالوا واعتقدوا كلاً فإن كلام النبوة أضخم وأسمى معنى وهدفا وغاية مما يتوهمون فالعين حق فإن الإنسان الشرير يرى بعينه فيحقد ويحسد بقلبه ثم يصيب بأعماله وكيدته، والعين حق أيضاً فإن في كثير من العيون قوة أمرة ناهية بل قاتلة أسرة وإن الرجل الموهوب هذه القوة لينظر أحياناً إلى من حوله فيخضعهم بمجرد النظر ويسلس لنظرته وعينه أشمس خلق وأعصى طبع ويبلغ من أنفسم أقصى ما يريد وأبعد ما يرجو، فيصبحون طوع مشيئة ورهن إشارة فيصبح بينهم الأمر الناهي المتصرف ويصير فيهم الزعيم المعبود أو الشيخ المعبود أو الأستاذ المعبود، القول قوله، والتفكير تفكيره والهوى هواه والدنيا دنياه . . .

ثم ذكر عجبه من استعباد شخص لأمة، وعبادة أمة لشخص وفسره بسرّ عينيه . وضرب مثل ذلك الشيخ الجاهل السفیه الوقح في كل جانب من جوانبه — كأنه يعنى محمود خطاب السبكي رئيس ومؤسس جماعة السبكية المتسمين بالسنية — ونجاحه في أتباعه، وتصرفه فيهم تصرف

الراعى فى قطعان غنمه ، أو كأنهم مخلوقات خلقهم هو وصاغهم فى القلب الذى يريده منهم ؛ أو كأنهم أموات بين يديه ، لا يتحرك منهم عضو حتى يحركه ، وفرض عليهم أن يخشعوا بين يديه خشوع العابدين فى صلاتهم ، أو ذلة المشركين أمام أصنامهم ؛ وألزمهم أن يدخلوه بينهم وبين الله فى أقرب موقف يقفونه منه تعالى ، وألزمهم أن يضعوا خياله وصورته بينهم وبين الله وبين القبلة حين الصلاة ، وفرض عليهم أكثر مما فرض الله على عبده ، وكتب لهم هذه الفروض فى كتاب من كتبه « يعنى العهد الوثيق » زورتها يداه ثم أمرهم أن يتعلموا هذه الفرائض وأن يستذكروها حفظاً ليعملوا بها أينما كانوا

وفسر الكاتب نجاح هذا الشيخ الجاهل السفیه الوقح بسر عينيه . ثم فسر حقية العين أيضاً بأنها مفتاح شخصية صاحبها ومجتمع قواه ومعانيه المختلفة ، ففيها يتجلى الحب والبغض والعداوة والصداقة ؛ والرحمة والقسوة ، والذكاء والغباء ، والقوة والضعف والحزن والسرور ، والصحة والمرض والهدوء والقلق . الخ

وأقول للكاتب الفاضل : ما ذكرت من الأمثلة والشواهد والاستنتاج صحيح ولكنه ليس مراد حديث « العين حق » بدليل بقية الحديث « ولو كان شيء سابقا القدر سبقته العين » وبدليل الأحاديث المتواترة المعنى ، المملوءة بها كتب الثقات من المحدثين الذين وثقت بروايتهم لحديث « العين حق » التى تدل على تأثير العين التأثير الذى تنكره أنت وتهزأ به ، كحديث « استرقوا لآل جعفر فأنهم تصيبهم السفعة » وحديث رقية

الحسن والحسين « أعيذكما بالله من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة »  
وكحديث الموطأ في المعين الذي لبط حينما قال له العائن « مارأيت ولا جلد  
مخبأة قبل اليوم » ولما اغتسل له العائن فكأنما نشط من عقال .

والأحاديث في هذا كثيرة يؤمن بها المؤمنون ويحدها الماديون .  
وآية ( وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ) فيها إشارة إلى تأثير  
العين ، ونصيحة يعقوب لبنيه أن يدخلوا مصر من أبواب متفرقة ، ولا  
يدخلوا من باب واحد كذلك

ونسأل الكاتب عن معنى ما اعترف به من بقية حديث « العين حق »  
وهو « ولو كان شيء سابقا القدر لسبقته العين » ما معناه ؟ وهل عنده  
تحريف له حتى يتفق والمادية التي اعتنقها الكاتب ؟

ولعله خاف حذر حذر حينما ساقه معترفا به ثم حصر عن تحريفه فسكت  
عنه فلم يضحكنا بما عودنا من تحريف وتسخير

وليس اعتقاد الناس في تأثير العين اتباعا للأحاديث الصحيحة المروية  
في ذلك بمخذل لهم ولا عائق عن سبل النجاح كما زعم الكاتب ( ص ٢٠٧ )

ولا مما يفسد الهيئة الاجتماعية ، ولا مما ينشر الفوضى والخيال المضطرب  
القاتل كما زعم ( ص ٢١٠ ) وإن وجد إنسان هستيري المزاج كالذي عرفه

الكاتب ( ص ٢٠٨ ) أكلته الأوهام والظنون من هذه الناحية ، بحسب  
عيون الناس سهاما مصوبة إليه ، فتخاذل وتمارض ليدفع عنه العيون

المصوبة إليه ، فليس هذا المهستر هو كل الناس ، ولا هو القياس الصحيح  
لجميعهم . فالناس سائرون على جواد أعمالهم ، جادون في مهماتهم ، بلا تلكؤ

ولا تخاذل ولا توقف ، فان ظنوا في أحد تأثيراً عينياً تعوذوا بالله منه ،  
وتحصنوا بالتحصينات الالهية والرقى النبوية التي لا يصدقها الكاتب ولا  
يؤمن بها . فاذا يضرهم إيمانهم هذا ؟ بل لقد أفادهم الايمان بالله واللجأ اليه  
والاحتماء بحماه مما يكفر به الكاتب ويسفهه ، ويريد بكتابه أن يقلعه من  
قلوب الناس ليستبدلوا به مادية قاحلة مجذبة مميتة قاتلة مبعدة عن الله كافرة  
به، منزلة في أحوال المادة

ماذا يبقى للناس إذا فقدوا في وسط محيط الحياة المضطرب وأواجه  
المصطفقة ثقتهم بالله وإيمانهم به وسفينته رحمته بهم ، وفلك حنانه وشفقته  
عليهم — إلا الحيرة القاتلة ونار اليأس المحرقة ، والقلق والاضطراب الذي  
أودى بذلك الحيران الذي أغرق نفسه في شاطئ بحر الاسكندرية ،  
ووجد في جيوبه اعترافه أنه ملحد زنديق لا يستحق أن يدفن في مدافن  
المسلمين ، وأظنه اسمه « على آدم »

في إحدى افتتاحيات مجلة الثقافة للكاتب الشهير الأستاذ أحمد أمين  
مقال قيم فيما فقدته الناس من الايمان ولم يعوضوا خلفاً عنه ، وما أصابهم  
من جراء ذلك من مصائب نفسية ومادية الخ

والعجب أن كاتب الأغلال ينكر تأثير العين بالمعنى الذي يعرفه سائر  
المسلمين ، ثم يخترع لها تأثيراً يضرب له الأمثال بتأثير بعض الزعماء على  
الدهماء بما أوتوا من نجاح في التأثير عليهم بسبب دعايات أو إقناع ديني أو  
سياسي أو مذهبي ونحو ذلك . وإذا كان للعين ما ادعاه الكاتب من هذا  
التأثير في الجماعات ؛ فما الذي يكفره من تأثيرها الآخر الذي جاءت به الشرائع

وما الفرق ؟ اللهم إلا الاغراق في المادية والكفر بما جاءت به الشرائع من أسرار وحقائق تجردها المادية .

\*\*\*

يتهم الكتاب بثقة المسلمين بدينهم مع أنهم لا يعملون به الآن  
فيقول آخر ( ص ٢١٠ )

وهناك مسألة كبرى نشأت أيضا من الجهل بسنة الله وسنة الحياة ومن  
الاعتقاد بأن العالم ليس محكوما بالنواميس

ذلك أن الناس ظالوا مئات السنين يعتقدون أن المسلمين لن يُغلبوا، لأن  
دينهم حق ، والحق يجب أن يكون أهله منتصرين أبدا وإن قصروا وأهملوا  
ونسوا أنفسهم وأن الاسلام لن يهزم أمام الأديان الأخرى لأنه الدين المرضي لله  
والله لن يترك ما يرضاه للخذلان والهزيمة ، وقد عملوا على أن يصححوا هذه  
الأغلوطة بالاستدلال بآيات قرآنية مطلقة مجملة نسوا قيودها وشرائطها ، فأمعنوا  
ضربا في متاهات الأوهام واستمتماعا بأضغاث الأحلام ، وظالوا سادرين حتى فجأهم  
العالم فانتهبوا مذعورين لا يدرون من أين ولا كيف . وقاموا يتلمسون الطريق  
وقننا معهم ولكننا وجدنا بعد هذه النومة الطويلة والأحلام الثقيلة أن أعلام  
الطريق قد غفت أو كادت ، وأن الرقاد الطويل الثقيل الذي هنئنا به قد باعد بيننا  
وبين الأمام اليقظي التي لم يغمض لها جفن فكيف ومتى اللحاق ؟ .

أقول : إن اعتقاد المسلمين أن دينهم حق ، وإن الله تعالى ارتضاه ،  
وأنه لن يُغلب ولن يهزم ، كل هذا حق أيده الآيات القرآنية ، والشواهد  
التاريخية ، والتجارب الواقعية الكثيرة . وإلا فماذا يقول الكتاب في  
فتوحات الاسلام شرقا إلى حدود الصين ، وغربا إلى المحيط الأطلسي في  
عهد خلفائه الراشدين وعهود بني أمية وبني العباس وبني ع — ثمان ، وفي



الانتصارات الصليبية في عهد محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي وفي فتوح أوروبا من غربها في الأندلس ، ومن شرقها في العهد العثماني إلى أواسطها حيث أسوار فينا؛ كل هذا ما كان إلا بدينهم والعلم به والعمل به ، فكانوا بذلك سادة الدنيا قوة وغلباً ونصراً وفتحاً

ثم لما صار الدين عندهم اسماً بلا مسمى ؛ وعصبية جنسية ، بلا علم ولا عمل ، وناموا كما قال الكاتب نومة ثقيلة أضاعوا فيها دينهم وديانهم ، واستيقظ الغرب بفضل ما استفاد منهم باحتكاكهم غرباً في الأندلس ومدارسه وعلومه وصناعاته ، وشرقاً في الحروب الصليبية ، استفاد من المسلمين حرية الرأي والبحث الحر ، وتقويم الحكام وإرشادهم ، وردّ أهوائهم وباطلهم ، والقيام عليهم للصلح العام ، إلى غير ذلك من أصول الإصلاح والخير ، ورجع إلى بلاده فبذر بذور الإصلاح فيها بالجمعيات العلنية والسرية ، وبالنشر والدعاية ، والصبر على الأذى والاضطهاد ، والقتل والصلب في سبيلها حتى أثمرت مدينة أوروبا الحالية التي خطف بريقها بصر الكاتب وأصمت رعودها آذانه ؛ فلم يعد يرى ولا يسمع غيرها

لقد أبدع الكاتب القدير سعادة عبدالرحمن عزام باشا في رسالته «الخللدة» في بيان محاسن الدين الاسلامي وعرضه على عقلاء الناس عرضاً فائقاً لانتشال المجتمع الانساني من شرور المدنية الاوربية وأوحالها وأوضارها ، والحفر العميقة التي تردت فيها وأردت الناس معهم ممن اقتفى أثرهم . ثم قال وأمل في رحمة الله :

وبعد فهل يكتب لسكان الشرق من المسلمين والمسيحيين الذين

تتعلق نفوسهم دائماً برحمة الله ، وتترقب هده إذا اشتدت الكروب والظلمات ، أن ينهضوا مرة أخرى بميراثهم السامى الذى يُقوم من عوج النزاع الفكرى والاقتصادى والعنصرى ، ويلطف من حدة المزاج الغربى حتى يؤمن بالأخوة الانسانية ، ويعمل لخدمة السلام العام باخلاص نية ؛ وحسن توجه بما مكن الله له فى الأرض . ذلك ما نسأل الله رب العالمين أن يعجل بتهيئة أسبابه ، إن الله بالناس لرءوف رحيم

وفد كتب المستشرق النمساوى «ليوبولد فايس» المسمى محمد أسد الله رسالة سماها ( الاسلام على مفترق الطرق ) وصف حال الاسلام ، ومهاجمة المدينة الغربية له من كل النواحي ، وماذا يجب على المسلمين للنجاة من شرور هذه المدينة المادية ، وماذا يلزمهم منها وماذا يضرهم ، بحجج واضحة ، وغيره صحيحة ونصائح نافعة ؛ فاقرأها فانها مفيدة قيمة تدل على تفكير عميق وتحقيق صاف رائق ونصح خالص عن تجربة وبصيرة.

وليس اعتقاد المسلمين فى دينهم الحق وأنه لا يُغلب ولا يهزم ، بوم قاتل ، ولا فضحه الواقع كما زعمه الكاتب ( ص ٢١١ ) ولكن الوهم القاتل هو الجهل بهذا الدين والإعراض عنه ؛ وابتغاء العزة فى غيره من مادية القرن التاسع عشر التى أفسدت على الناس أديانهم وإن كانت أفادتنا - على حد المثل «رُب ضارة نافعة» أن نراجع ديننا وأن نمحو منه ما لصق به من بدع وخرافات ، وأن نفهمه على وجهه الصحيح ؛ ونعمل على الوجه الذى يريده الله ويرضاه ، فنجنى منه ما جنى منه المسلمون الأولون من عز وقوة ، وغلب ونصر ؛ ونضرب للعالم المثل العالى فى أن الدين نور وقوة هداية

وعمل حياة روحية ومادية .

والزمن كفيل أن يظهر لنا إن كان تألم الكاتب من انتشار الجمعيات الدينية الكثيرة التي تنادى بعز الاسلام ومجده الذي سماه الكاتب أغلوطة تاريخية كبرى (ص ٢١١) هل سببه الغيرة على الاسلام أو ألمه من الاسلام وخادميه والساعين في إعزازه ونصره لا اعتقاده فيه تأخير له لأهله عن ركب الحياة وموكب الجماعة

أما تعليله لنجاح هذا الخبول الذي يهذى بالمستحيلات الناعب بالآمال الناعق للجماهير المضللة حتى أخذ برقاب آلاف أو مئات آلاف أو ملايين من هذه القطعان البشرية يقودها كما يشاء « يريد به فضيلة الأستاذ حسن البنا رئيس جماعة الاخوان المسلمين ، تلك الجماهير المضللة والقطعان البشرية عند الكاتب » بأنه قد هاجم أضعف جانب فيهم وهو جانب الرجاء والأمل ، فانتصر عليهم بدون عناء فلا يعد نجاحه دليلا على أن له قيمة كشأن أمثاله من المخادعين المستولين على الجماعات بالتلويح لهم بالآمال (ص ٢١٢) فترك الحكم على صحة هذا التعليل لتلك الجماعات من الاخوان المسلمين وفيهم الكتاب الأذكياء والمتعاملون النبهاء

وأما تهكمه بقول الحافظ ابن كثير « إن مدينة دمشق لا سبيل للأعداء من الكفرة عليها لأنها المحلة التي أخبر الرسول عنها أنها معقل الاسلام عند الملاحم وبها ينزل عيسى ابن مريم » تهكمه عليه بقوله (ص ٢١٥) ولا نعرف ماذا يقول لو عاش بعد أن كتب هذا فرأى الجيوش الفرنسية ثم الانجليزية تدخل هذه المدينة الاسلامية الجميلة غازية منتصرة أتراه يستطيع أن

يقول إن الاسلام أعطى هذا الضمان الجميل أم تراه يدعى ان ما أورده هنا في كتابيه يصلح أن يكون برهاناً على وجود هذا الصك الالهى المحمدى المزعوم. لا ريب في أن الذى جعل مثل هذا الشيخ الجليل الحافظ يهم هذا الوهم هو الغفلة عن سنن الله الصارمة التى لا محاباة فيها ولا فوضى ولا محسوبية.

أقول : لقد أخزى الله شماعة الكاتب بهذا الامام الحافظ الواثق بما روى عن النبي ﷺ وبعز الاسلام ، فهذه دمشق الآن تتمتع على مرأى الكاتب وسمعه بحكومة وطنية تنفيذية وتشريعية بوزراء وبرلمان ، وبجيش وطنى من أبناءها ، وطرده الله عنها ما كان أدمها به من جيوش أجنبية : فرنسية أو انجليزية تأديباً عارضاً مؤقتاً كسحابة صيف . فماذا يقول الكاتب الآن وقد رأى وسمع ، هل يعترف بفضل الاسلام ويعود إلى حظيرته ، ويؤمن بما جاء عن نبيه من أخبار الغيب ويحترم العلماء المحدثين الذين رووا ذلك وآمنوا به ؟ أو يبقى مصرّاً على النواميس الصارمة والمادية الدهرية التى عجز الله تعالى بسببها ، وكذب رسله وآياته لأجلها ، ومشى وراء صنمه غوستاف لوبون الذى يتبجح بانكار الله وآياته وخوارق العادات التى أيد بها رسله وأنبياء الداعين إلى طراطه المستقيم ، ودينه القويم ، إذ قال فى كتابه (الآراء والمعتقدات) ص ٢٩ « ومع أن علم الحياة الحديث أصاب فى نقصه مبدأ علة العلل (يعنى واجب الوجود : الله) فأننا نرى سلسلة الأشياء تبدو كأنها خاضعة لهذا المبدأ ؛ يؤيد ذلك كون الشروح العقلية التى أتى بها العلماء لم تقدر على حل كثير من الأمور الغامضة فى الكون - إلى أن قال : ولا نأسف على ذلك لأن كشف

المصير يجعل الحياة شقية، فالبقر لا يرعى الكلاً مطمئناً إذا علم أن مصيره إلى الذبح، وأكثر الموجودات تتفقر جزعاً لو اطلعت على نصيبها »  
وقال ص ١٤٨ « لعل أهم ثورة ظهرت في عالم الفكر هي الثورة التي أدى إليها العلم بأبوابه إن الحوادث تصدر عن نواميس مهيمنة لا عن أهواء الآلهة » إلى أن قال « فلو أن الحادثات التي يجبر بها أولو الكرامات في الوقت الحاضر ممكنة لتفقر العلم طائعاً إلى قرون الأساطير الخ - إلى أن قال : وإن كان البحث الدقيق في خوارق ما بعد الطبيعة يدلنا على أن هذه الخوارق عبارة عن أوهام تكونت في نفوسنا »

\*\*\*

اغتر الكاتب بما يذكّر في الأوراق والكتب من آراء تقال رهن التمهيص والبحث ، فظنها حقائق راهنة وقطعيات لا تتبدل ولا تتحور ، فقرأه يقول (ص ٢١٠)

وقد استطاع العلم الانساني أن يصعد إلى الشمس وإلى المجرات يعددها ويقدرها ويعلم ما هنالك ...

وأهل العلم بذلك لم يغتروا بهذا الغرور فهذا تقولا حداد وهو من المغرقيين في المادية يقول في كتابه «هندسة الكون بحسب ناموس النسبية»  
آخر ص ١٥٦

﴿ حاشية ﴾ نلفت نظر القارئ إلى أن هذا البحث وأمثاله من المباحث التي يطمح فيها العقل البشري إلى استكناه أسرار الوجود لا تعتبر في حكم المؤكد لأن المعلومات العامة والأرصاد والاكتشافات التي بنيت

عليها ليست حقائق راهنة بل هي تقريبية، أو ربما تيسر لأهل العلم أن يؤكدوها أو ينقضوها أو ينقضوها بنظريات أصح منها بما يستجد عندهم من معلومات أقرب إلى الحقيقة وفوق كل ذي علم عليم . ١٠ هـ

وذكر مشرفه باشا في رسالته النسبية الخاصة بعد ما ذكر قضاء

نظرية النسبية على المذهب المادى ص ٤٤ - ٥٠ قال : والذين يقولون بالنسبية لا يرتكبون الخطأ الذى ارتكبه علماء القرن الماضى وهو خطأ الجزم باستحالة الخلق والفناء بل بالعكس فهم أبعد ما يكون عن الجزم بشيء أو القول باستحالة شيء وإن كان هناك صفة يتصف بها فلاسفة النسبية فهي البعد عن إلقاء أى قول فصل فى أية مسألة من المسائل التى يتعرضون لبحثها ، وهناك صفة أخرى ظاهرة فى أبحاثهم وأقوالهم ، ألا وهى الاعتراف بمحدود المباحث التى يتعرضون لها . فالسير ارثر داجتون مثلاً وهو من زعماء فلاسفة النسبية يذكر فى كتابه عن « كنه العالم الطبيعى » إن العلوم الطبيعية محدودة فى دائرة من دوائر المعرفة البشرية لا تخرج عنها ويترك الباب مفتوحاً إلى المعرفة من غير طريق العلم . ١٠ هـ . ص ٥٠

يقول الكاتب ص ٥٨

انه راح يولد هذا الوجود ويشهد تكوينه وتولده، وذهب يحدث حديث الحاضر الشاهد كيف ولدت مادة الكون ومتى ولدت وكيف ظلت تتفاعل وتتطور ثم كيف أخذت تتوالد ثم كيف ولدت هذه الشمس وغيرها من الشمس ثم كيف راحت هذه الشمس نفسها تلد الأتباع والبنين ليحيطوا بها . .

أما كاتب مجلة المقتطف - وهو من نعرف اشتغالا بهذه المسائل -

فيقول في عدد أغسطس سنة ١٩٣٨ (ج ٣ مجلد ٩٣) في هذه المسألة :  
موضوع عمر الكون يختلف في أركانه عن موضوع حجمه وسعته . و ثم  
طرق لتقدير هذا العمر ليس بينها طريقة يصح الاعتماد عليها كل الاعتماد  
وهي تفضي إلى نتائج متضاربة ؛ والمسألة تدور على قدرتنا على النفوذ  
بأساليب علمية إلى ما كان عليه الكون في الماضي السحيق ، ولا عجب إن  
قلّت دقتنا كلما تغلغلنا في الماضي ا هـ

ثم ذكر الطرق التي بحثوا بها المسألة من قياس سرعة النور والمدة التي  
قضاها حتى وصل إلينا من أبعد المجرات والسدم . وتحليل الصخور المحتوية  
على مواد مشعة - كالراديوم ونحوه - ونظرية النسبية وتمدد العوالم الكونية  
وتباعدها ومبدأ توزيع الطاقة المتعادل بين الذرات في الغاز أو بين النجوم  
ثم ختم المقال بقوله : لم يكن تصور رحاب الكون بالأمر السهل  
وأشق من ذلك تصور سعة الزمن الفلكي .

بخلاف كاتب الأغلال الذي جعل المسألة موضع الجزم والمشاهدة بقوله  
«راح يولد هذا الوجود ويشهد تكونه وتوالده» وذهب يحدث حديث  
الحاضر المشاهد الخ

وأهل العلم بذلك يقولون عن طرقهم ليس بينها طريقة يصح الاعتماد  
عليها كل الاعتماد ، وهي تفضي إلى نتائج متضاربة ؛ ويعترفون بقلة دقتهم  
في هذه المسائل ، بخلاف صاحب الأغلال الذي يطالع هذه المسائل مطالعة  
سطحية ويجزم فيها بالآراء الظنية عند أهلها

« ثم لم يقف عند هذا الحد بل ذهب مسرعا يسابق الوجود فيسبقه، وذهب يخبرنا عما بقي من عمر هذا العالم وعمر هذه الحياة وهذا الوجود الذي سبق أن ولده وأن شهد نشوءه وتكوينه وعما بقي من عمر هذا الانسان وغيره من الاحياء ويخبر عن الاحداث والحوادث التي لا تزال في طريق الوجود والتي لا تزال تترقب لتنب وثبتها .

ويقول السير جيمس جنز في كتابه «النجوم في مسالكها ص ١٠٦»

( الترجمة العربية ) الطبعة الأولى :

فالذرات المدخرة في الشمس في الوقت الحاضر تكفيها ١٥ مليون مليون سنة على المعدل الذي تتناقص الآن لكنها قبل أن تأتي على آخر ذرة فيها بزمن طويل لا بد أن تكون قد وصلت إلى حالة النجوم الأضعف الأصغر حجما ..

« وإذا أدخلنا في حساباتنا اعتبارات من هذا النوع ترجح فيما يظهر

أن يكون لمعظم النجوم مئات من ملايين الملايين السنين ترجو أن

تعيشها قبل أن يحيم عليها الظلام آخر الأمر — وسواء استتبت هذه

التقديرات في النهاية أم لم تستتب فهناك شيء واحد يبدو لنا مؤكدا — هو

أن الأعمار البشرية تتلاشى تلاشيا تاما إذا قيست بالزمن الفلكي — لقد

رأينا أن الأرض ليست إلا هباءة في الفضاء والآن نرى أن أعمارنا بل

وتاريخ البشر كله ليس إلا هباءة في الزمن » اهـ

فترى جنز العالم الفلكي الطبيعي أحد أعضاء المجمع العلمي البريطاني

يقول ترجح فيما يظهر — سواء استتبت هذه التقديرات في النهاية أم لم



تستتب — شيء واحد يبدو لنا .

بخلاف كاتب الأغلال الذى جعل العالم : ماضيه وباقيه ، عند الانسان  
كميناء ساعة ، يخبر عما مضى خبر حاضر مشاهد ، وعما بقى من عمر هذا  
العالم وعمر هذه الحياة وهذا الوجود ، خبر خالقه وصانعه ، لان الانسان —  
عنده — تخلق لينازع الله فى علمه وقوته وقدرته

وقال السير جيمس جنز فى كتابه المذكور فى ختامه تحت عنوان  
( عمر العالم ) « لانستطيع أن نقول شيئاً موثقاً من صحته عن عمر العالم  
حتى نعلم الحق عن التباعدات الظاهرية للسدائم ، فاذا تبين أنها واقعية كان  
من الضرورى أن نجمع الحوادث الفلكية كلها بطريقة من الطرق فى  
ماض طوله بعض آلاف الملايين من السنين

أما الآن فالشواهد الفلكية العامة تبدو كلها كأنها تصيح احتجاجاً  
على أن يكون الماضى قصيراً إلى هذا الحد ، إنه لا يكاد يكون من الممكن  
تعليل الترتيب الحالى للنجوم إذا كانت أعمارها بهذا القصر . لهذا أرى  
من الراجح جداً أن التباعدات الظاهرية للسدائم سيثبت أنها زائفة ، وفى  
هذه الحالة يدل ترتيب النجوم على أن ماضيهما يمتد إلى ملايين الملايين من  
السنين ، كما يمتد مستقبلها إلى نحو ذلك أو إلى ما هو أطول منه . أما الآن  
فالشواهد على ما يظهر مضطربة جداً بل متناقضة ، ونحن بعيدون عن  
أن نستطيع الوصول إلى قرار حاسم .

« ومهما يكن رأى الذى يكتب له النصر فإن الكون إذا حكمنا عليه  
بمقاييسنا البشرية للزمن قديم جداً تتلاشى بجانبه أعمار الناس والامم ، بل

كل تاريخ البشر فقد كانت النجوم قريبة جداً مما هي عليه الآن قبل أن يظهر الإنسان على الأرض ، وستكون على الأرجح قريبة جداً مما هي عليه الآن حين يغادر آخر إنسان . إن تاريخ الجنس البشرى كله ليس إلا طرفة عين إذا قيس بأعمار النجوم . اهـ

فتأمل قوله (لأنستطيع أن نقول شيئاً موثقاً بصحته) (لهذا أرى من الراجح) (أما الآن فالشواهد على ما يظهر مضطربة جداً بل متناقضة ونحن بعيدون عن أن نستطيع الوصول إلى قرار حاسم) الخ — مع قول كاتب الأغلال : إنه راح يولد هذا الوجود ويشهد تكونه وتولده، وذهب يحدث حديث الحاضر الشاهد كيف ولدت مادة الكون ومتى ولدت — بل ذهب مسرعاً يسابق الوجود فيسبقه ، وذهب يخبرنا عما بقي من عمر هذا الكون وعمر هذه الحياة وهذا الوجود الذي سبق أن ولده وأن شهد نشوئه وتكونه ، وعما بقي من عمر هذا الإنسان وغيره من الأحياء . الخ قل لي بربك : أليس هذا هو الغرور الصبباني ، والجرأة السفهية الحمقاء ، وقفوا ما لا علم به.

وفي مداعبة لطيفة وحوار فكاهة نسأل الكاتب : هل درس شيئاً من العلوم الرياضية المتوسطة كهندسة إقليدس وحساب المثلثات المستوية والكروية ، وحساب اللورغارثيمات الطبيعية والعادية ، والجبر الابتدائي والعالي والفلك العامى والعملى . وكلها ماعدا اللورغارثيمات من علوم الأوائل الذين يحقرهم ، فضلاً عما توسع فيه المتأخرون من علوم الرياضة العالية ، وحسابات النسبية .

## المسألة اليهودية

عنى كاتب الاغلال بالمسألة اليهودية فى أغلاله عناية خاصة تسترعى الانتباه والحذر ، فكتب فيها عشر صفحات ( ٢١٦ - ٢٢٥ ) وساق فيها من الآراء والاحتمالات ما يسدل الاشتباه والحيرة على غرضه الذى يرمى اليه : أهو نصيح محض وإيقاظ وتحذير من مستقبل الصهيونية وشروورها ووطنها القومى الذى تسعى له سعياً حثيثاً متواصلاً فى فلسطين ، فساق الانذار تلو الانذار كأنه النذير العريان يقول : صبحكم مساكم ، إن العدو بأسفل الوادى يريد أن يغير عليكم فيصبحكم - أو هى دعوة صهيونية مستأجرة لتفتير الغزائم وتوهين القوى ينشر بأس الصهيونية وذكائها ، وعلمها وخبرتها وصناعها وعالميتها ، على حد قول الله تعالى ( إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ) ومن ذلك تحريف الآيات فى ضرب الذلة على اليهود ، وإطفاء نارهم ، وبعث الذين يسومونهم سوء العذاب إلى يوم القيامة وتقطيعهم فى الارض أمماً ( كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله )

سأترك الحكم على غرضه وما انطوت عليه دخيلة نفسه ، وذات صدره حتى تظهره الايام أجلى ظهور ، وحينئذ يكون الحكم للايام والعقلاء والقضاة العدل . وإنما المناقشة معه للفهم المقلوب ، والتحريف الشائز لمدلولات آيات كتاب الله ودفع معانيها الظاهرة فى الصدور والاعجاز وقلب مفهومها رأساً على عقب ، فهذا ما أخوضه .

قال الكاتب ص ٢١٦

هذا ما كان يقوله المسلمون في العصور الخالية في سيادة النصارى عليهم .  
أما اليوم فقد حل محل هذا الوهم وهم آخر ، وصاروا يقولون هذا القول ويهمون  
مثل هذا الوهم في خطر اليهود وفي ملكهم ومحاولتهم إعادة وطن قومي لهم . . .  
فقد أكثروا من الادعاء بأن اليهود لا خطر لهم ذاتي ، وأنه لا يخشى منهم منفردين  
على المسلمين ولا على الأوطان الإسلامية لا على فلسطين ولا غيرها . ثم زعموا  
كما زعموا منذ ٥٠٠ سنة بأن الله قد دفع إليهم إيماء مكتوب بأن اليهود لن  
يكون لهم ملك ولن يكون لهم وطن خاص . ثم اتهموا كتاب الله بوجود  
هذا العهد فيه وراحوا يتلون الآيات منزليها في غير مواضعها .

والآيات التي استدلو بها هي قوله في سورة البقرة ( ضربت عليهم الذلة  
والمسكنة ) ثم قوله من آل عمران ( ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من  
الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ) ثم قوله من  
سورة المائدة ( كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ) ثم قوله في الأعراف ( واذا  
تأذن ربك لبيعن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع  
العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك )  
وقد حسبوا أن هذه الآيات قواطع في أن اليهود لن تقوم لهم دولة ؛ ولن  
تكون لهم صولة . ولكن هذا غير صحيح لا بالنظر إلى سنة الله ولا بالنظر إلى  
كتاب الله . أما سنة الله فانها قد علمتنا بأن من أخذ بأسباب الملك ناله واليهود  
من أعمل الناس اليوم لهذا الغرض ومن آخذهم بالأسباب

وتقول للكاتب : إن السنن وحدها ليست كافية في نوال المطلوب  
إلا على قاعدته المادية الدهرية ، فلسفة القرن التاسع عشر وما قبله من  
آلية الكون وحكمه بالنواميس الطبيعية ، مع إنكار القدر والاختيار  
الالهى ، وقد قدمنا الرد على ذلك من كلام أساطين القرن العشرين وما

وصفوا به الفلسفة الآلية المادية أنها أفكار أطفال وصبيان ، وارجع إلى ما نقلت سابقاً من كلام مشرفة باشا عميد كلية العلوم ، وكلام السير جيمس جنز العالم الأنكليزي من كتابه « الكون الغامض »

ونقول لكاتب الاغلال : إن ألمانيا وإيطاليا واليابان لم يدخروا وسعاً في الأخذ بأسباب السيادة على العالم من قوة عسكرية وحرية وصناعية ، فهل نالوا ما أخذوا بأسبابه ، أم هو القدر الذي جمع عليهم ما لم يكن في حسابهم ؟

وأيضاً: فهل الأسباب التي أخذت بها مصر والعراق أقل مما هي في اليمن وبلاد العرب وسوريا حتى استقلت هذه وفشلت الأوليان ؟ إن القدر الذي آمن به طينعيو القرن العشرين وأدخلوه في تفكيرهم العلمي لايؤمن به الكاتب ، ويعد الايمان به عجزاً وغلا يعوق التقدم والرقى . لذلك يعد الكاتب أخذ اليهود بالسنان التي يظنونها تصل بهم إلى أهداف الملك والوطن الصهيوني منيلاً لهم ماسعوا اليه وإن خالفت النصوص القرآنية . ألا فلينتظر الكاتب نتائج أخذ اليهود بسننهم فإننا مع جهادهم وإعداد العدة لصدوم وإذلالهم ، مع التصديق بما أخبر الله عنهم منتظرون . ولا يخيفنا ما ذكر عنهم من ذكاء وغنى وخبرة وصناعة وعلم ، وهما هي المسألة قد دخلت في طورها العملي ( قل كل متربص قتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى )

قال الكاتب ص ٢١٦

وأما كتاب الله فان هذه الآيات ليست صريحة في صدق هذه الدغوى أما

(ضربت عليهم الذلة) في الآيات كلها فان الذلة عند أكثر المفسرين هي الجزية فيكون تفسير هذه اللفظة أن الجزية قد فرضت وقت نزول القرآن على اليهود وفرضها عليهم في وقت من الاوقات لا يلزمه أن تكون مفروضة عليهم كل الأوقات بدليل أنها الآن مرفوعة عنهم مع صدق القرآن بأنها قد ضربت عليهم وإذا قدر بأن المراد بالذلة في الآيات هو المعنى الأول السابق إلى الافهام لم يلزم منه صدق هذا الوهم ، ذلك لان أخبار القرآن بأن اليهود أذلة في وقت نزوله لا يقتضى أن يبقوا أبد الآبدين كذلك . وما من أمة من الأمم إلا قد مرت بها عصور ذلة وضعف مهما كانت اليوم عزيزة منيعة وفي الكتاب ( لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ) وكل الناس يعلمون اليوم أن الذلة مضروبة على المسلمين على أوسع نطاق وأحكمه ولكن لا يمكن الزعم بأنهم سيبقون أذلة أبدا . . وأما المسكنة عند أشهر المفسرين فهي الفقر والمراد هنا الفقر القلبي لشدة حبههم المال وقيل المسكنة هي ضرب الجزية وقيل الخراج وكل هذه التفسيرات لا تنافى أن يكون لهم ملك وأن يكونوا يوما ما خطرا مرهوبا .

أقول : في هذا ألوان من غرائب التلاعب بفهم كتاب الله وتحريفه بقلة حياء (منها) كذبه على أكثر المفسرين أنهم فسروا الذلة بضرب الجزية . والمفسرون يعلمون أن أكثر يهود العالم حتى الذين في الحجاز حول المدينة لم تؤخذ منهم الجزية وقت نزول هذه الآيات ، فكيف يفسرونها بما لا يؤيده الواقع ، والجزية نزلت في سورة التوبة في السنة الثامنة من الهجرة بعد إجلاء يهود المدينة عنها بله يهود العالم كله . ومن فسرها بالجزية فقد فسرنا باللائمة .

والذلة والصغار والحقارة والمهانة والمسكنة وعدم العزة والأنفة ، كلها معان متقاربة لائفة بحال اليهود أيما كانوا وحيثما قطنوا ، سواء

بأوربا أو بأمريكا أو بغيرهما. وأما المعنى الثانى الذى وهنه الكاتب بقوله « وإذا قدر أن المراد بالذلة هو المعنى السابق للأفهام » مما ذكرناه من حال اليهود — فهو المعنى الحق، وهو صادق على اليهود وإن كذبه الكاتب وعدّه وهماً. فالآيات لفظها « ضربت » الذى يدل على الإلزام وعدم الانفكاك من ضرب السكة والنقش على وجهيهما ما تلزمه ولا يزول عنها. ثم أكدت ذلك بعبارة ( أينما ثقفوا ) المستلزم لعموم الأمكنة ومن لازمه عموم الأزمنة ثم أكدته تأكيداً آخر بالاستثناء الذى هو من أدوات العموم فيما عدا المستثنى بقوله ( إلا بحبل من الله وحبل من الناس ) وفسر الحبل بالعهد والميثاق، فهم أذلاء صاغرون أينما كانوا وأيان وجدوا إلا تحت حماية عهد إلهى ومخالفة من الناس، لا بقوتهم الذاتية التى يخيفنا منها الكاتب فدعوى الكاتب على القرآن إخباره بذلة اليهود وقت نزوله فقط — كذب على القرآن الذى وصمهم بضرب الذلة والمسكنة عليهم أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس، وقد عرفت معنى الضرب والعموم فى ( أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس )

وذكره أن أمماً مرت عليهم عصور ذلة ثم عزت بعد ذلك، لا يفيد شياً فى دعواه، فالمسألة فى إخبار الله أنهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس، لا مرور عصور ذلة على أمم بعدها عزة. وشتان بين المسألتين ( الأولى ) خبر الله القطعى بضرب الذلة على اليهود أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ( والثانية ) مرور عصور مختلفة على أمم. فأين هذا من هذا؟ ثم استشهاده على ذلك

بقول الله تعالى ( لقد نصركم الله بيدرو وأنتم أذلة ) مما يدل على أن معرفته بالعربية فسدت إلى حد العجمة الشائنة أو هو الهوى وفساد النية فقول الله ( وأنتم أذلة ) جملة حالية والأحوال تتجدد وتزول ( ودوام الحال من المحال ) وأما ( ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ) فخير جزم عام لا يتخلف حتى تزول السموات والأرض ولو تبجح ترومان رئيس أمريكا وهدد بنصره لليهود ترفا لهم لا تتخابه رئيسا أصليا فيما يرجوه في الدورة الانتخابية فستكذبه الأيام ونخونه الأمانى ( وليغلبن مغالب الغلاب ) وقول الكاتب ( وكل الناس يعلمون اليوم أن الذلة مضروبه على المسلمين على أوسع نطاق وأحكمه ) فخذ أملاه عليه بغضه للإسلام حتى لم يعد يفرق بين الذلة والضعف . نعم في المسلمين اليوم ضعف لا ذلة حتى المحكومين بالأجانب منهم فيهم عزة بقدر ما فيهم من دين وفيهم ذلة بقدر ما تركوا من دينهم ألا فليخبرنا الكاتب عن الذلة بمعناها الصحيح أين هي في اليمن وبلاد العرب ومصر والشام والعراق على تفاوت بينهم في الضعف والقوة بقدر تمسكهم بالدين ، أما الذلة المضروبة على اليهود أيام دول النصرانية من عهد قسطنطين وما جرى عليهم من تشريد وقتل أفاقوا منه في العصر الاسلامي قليلا مع ذلة يستلزمها خبثهم وماضيهم وما قدموا ، ثم جاء العهد الهتلري وما صبه عليهم وإنا لتتوقع لهم تكرار التاريخ عليهم إذا لم يقلعوا عن خبثهم ونواياهم الشريرة ( وقضينا إلى بنى إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم



عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولاً ثم  
رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً  
إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا  
وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى  
ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً )

وتسأل الكاتب متى احترم المفسرين وأخذ بأقوالهم حتى يأخذونها  
عنهم أن الذلة هي الجزية ويعزوه إلى قول أكثرهم كذباً أو قلة فهم لما  
قالوه أو هوى وسوء نية ليعبر من ذلك على ما يناقض خبر القرآن ووعيدة  
اليهود فيقر بذلك عين اليهود وينال منهم ما يبغيه؟ قال الكاتب ص ٢١٧  
وأما قوله ( كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ) فالمراد أن دسائسهم  
ومكايدهم التي حاكوها بالحكام واستمرار للقضاء على الرسول ودعوته قد أخذها  
الفشل من كل جانب وأنهم هُزموا في كل حروبهم التي شبوها مرعدين القضاء  
على لاسلام وهذا لا ينبغي أن يكونوا خطرا في المستقبل .

وأول الآية ( وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما  
قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل  
إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة  
كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا  
يحب المفسدين )

فأنت ترى أن الآية في وصف اليهود أينما كانوا وحيثما ثقفوا ليست  
خاصة بما فعلوه مع النبي ﷺ فأحبطه الله وأطفأه كما قيده الكاتب بذلك عن

عنده ليتوصل بذلك إلى ما يريد من تهديدنا بهم . والعموم في الآية ظاهر من قوله وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ومن لفظ كلما الذي يسور به المناطقه قضايهم الكالية الموجبة، فمن أين جاء للكاتب هذا التخصيص الذي استنتج منه أن يكونوا خطرا في المستقبل .

وتنبه إلى عبارته في مكائدهم وفسائسهم: أخذها الفشل وأهم هزموا . والله يقول: أطفأها الله، فكأن الكاتب يعادى اسم الله ويتنفر من نسبة فعل إلى الله تعالى ولو نسبته الله لنفسه حتى لا ينخرم تلازم أسبابه ومسبباته وحتى لا يؤمن بقدر إلهي فوق الأسباب والنواميس أو يهدم ما بناه من مادية القرن التاسع عشر وآلية الكون وصرامة النواميس

قال الكاتب ص ٢١٧ س ١٦

وأما بعث الله عليهم من يعذبهم إلى يوم القيامة فانه لا ينافي الملك أيضا لأنه إذا كانت لهم دولة وبقيت الحروب بينهم وبين الآخرين مستعرة فان في هذا أشد أنواع العذاب وأشد سوم لهم بالعذاب ولا ريب أن المتحاربين كل منهم يسوم الآخر ويصلية العذاب .

وهذا من جنس ما قبله تحريفا وتمويهها، فالآية وعيد من الله تعالى وإخبار منه أنه يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب، وسومهم سوء العذاب فسرّه نظيره مما سامهم إياه آل فرعون في قوله ( وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبجون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ) فسوم سوء العذاب الذي جرى لهم في عهد آل فرعون هو الذي أخبر الله عنه أنه يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يفعل بهم نظيره، وبعثه عليهم من يفعل بهم ذلك هو نظير ما بعث عليهم

من عباده الكلدانيين والآشوريين في تاريخهم الماضي ( فإذا جاء وعد  
أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فحاسوا خلال الديار وكان  
وعداً مفعولاً ) ( فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد  
كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ) فهذا البعث هو نظير ما أخبر  
الله أنه سيفعله بهم إلى يوم القيامة فمن أين تأتيم الدولة ويكون لهم الملك  
مع هذا حتى يتوقعه الكاتب لهم ويشبهه بما يكون بين المتحاربين مع أن  
المتحاربين لا يقال فيهم عرفا ولغة أنهم يسومون بعضهم بعضا سوء العذاب  
إلا للمتصر منهم على المخدول المدال عليه ، ثم في قول الله ( عليهم ) ما يدل  
على الاستعلاء والتحكم والاذلال لمن يذوق طعم الأسلوب العربي ، ثم الغاية  
بقوله ( إلى يوم القيامة ) تعود لغواً على ماتوقعه الكاتب لهم من قيام  
دولة وملك لهم ويمسى هذا الخبر لغواً وذلك مما لا يعز على الكاتب ولا  
يستغربه ، لأن دينه الذي يقدره واستبدله بالاسلام هو مادية القرون  
التاسع عشر وما قبله من كون آلى لا اختيار خالقه ولا قدر بل نواميس  
طبيعية صارمة إن تخلفت بقدرة خالقها وإرادته دل ذلك عند الكاتب على  
أن الخالق قوة مجنونه أو كالمجنونة تقف في سبيلها ، وأنى لها ذلك كالتى  
نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا . سبحان الله وتعالى عما يقول الكاتب  
فيه علواً كبيراً

قال الكاتب ( ص ٢١٧ )

قالقرآن لم يقدم لنا صكا بالضمان من خطر هذا الشعب الذكى الغنى الماكر  
بل قدم إلينا الأوامر الصارمة الصريحة بأن نحذر ونستيقظ ونقف وقد جاءت

الأحاديث الصحاح بأن حروبا عظيمة ستضطرم بين المسلمين واليهود وقد يكون في هذا ما يعطى بأن اليهود قد تكون لهم دولة وجيوش يحاربون بها ودفاعا عنها . فليهنأ يهود صهيون فقد مزق لهم الكتاب وعيدات القرآن فيهم من ضرب الذلة والمسكنة عليهم أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ومن الخبر الأكيد من بعث من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة مستعليا عليهم ومن إطفاء حروبهم التي يوقدونها لأغراضهم كعادة ملك داود الخ وتوقع لهم ملكا ودولة يحاربون بها المسلمين ، فياقره أعين الصهيونية بهذه الدعاية السافرة لهم .

وإذا كان الكتاب يؤمن بما جاء في الأحاديث الصحاح الواردة في ذلك ففيها أن المسلمين ينتصرون عليهم حتى يختبئوا وراء الأشجار والأحجار وحتى يقول الحجر يا مسلم : هذا يهودى ورأى . وتخبر بهم الأشجار إلا شجر الغردق فإنه من أشجارهم . وفيها نزول عيسى بن مريم ولا يقبل من أحد إلا الإسلام سواء من اليهود أو النصارى وهذا هو أحد الوجوه في تفسير الآية ( وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ) أى أن أهل الكتاب وقت نزول عيسى يؤمنون به كلهم قبل موت عيسى عليه السلام . والوجه الآخر في معنى الآية أن كل كتابي سواء في وقت عيسى أو قبله يؤمن بعيسى وقت احتضار الكتابي تعرض عليه حقيقة الأمر في مسألة عيسى فيؤمن بالحق فيه سواء كان يهوديا أو نصرانيا والمختصر المختصر له صفحات حياته اختصلا بارقا سينمائها .

قال الكاتب ص ٢١٨

ومما يجب الالتفات إليه أنه لا يحسن منا أن نحكم بأن القرآن قد جهر بأن اليهود لن يكون لهم ملك في عصر من العصور فالتنا لو حكمنا هذا الحكم ثم أبطلت الأيام حكمنا هذا لخشنا أن يكون في ذلك شيء من توجيه الاتهام إلى القرآن ونصوصه وقضاياه .

ونقول للكاتب : إذا حكم القرآن بحكم قطعى جزمنا به ، وأنه لا تنقضى الأيام والليالي ، ولا تبطله الأعوام والعصور ، لانا نعلم علماً لا شك فيه أنه من عند علام الغيوب ( الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان حليماً غفوراً )

بقى : هل حكم القرآن على اليهود هذا الحكم أنه لن يكون لهم ملك فى عصر من العصور ؟ فقد رأيت النصوص التى حرفها الكاتب ومزقها شر ممزق ، ليخرج منها بهذه النتيجة التى يقر بها أعين اليهود وينال بها حظوتهم ، وإن كان يُظهر بذلك الغيرة على صدق القرآن ، ويزعم إبعاد الاتهام لنصوصه وقضاياه ، وستظهر الأيام حسن فهم المسلمين لكتابهم وصوابه ، وإن ارتاب المبطلون ، وتشكك المتشككون ( قل كل متربص فربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى ) ( إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ) ( سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق )

ونصيحة الكاتب لنا بقوله ( ص ٢١٨ )

وأن أشد ما يفرعنا وأشد ما حملنا على أن كتبنا هذا الذى كتبنا فى هذه المسألة هو أننا نخاف أن نبقي متوهمين أنفسنا وبلادنا بمنجاة من هذا الخطر

الخفيف الفاغر فاه اليوم كما كنا نظن أننا بمنجاة من الخطر المسيحي حتى قضى القضاء . . . . . وحينئذ لا يجدى الندم كما لم يجد فيما فرغ . وقد لاحظنا أن هذا الغرور - وهو خليك بأن يسمى غرورا - مستول على تفكير إخواننا المقصودين بهذا الخطر الذى يكاد يحاط بهم ( يعنى العرب فى جزيرتهم ) فهم يزرون أنهم لو خلى بينهم وبين اليهود جامعة اليهود ما جمعت من الأموال والقوات ومن العلم والمكر والدهاء كانت لهم الغلبة ، وإن فقدوا كل شيء من هذه الأمور التى من ملكها فهو المنتصر ومن فاتته فلا شيء له .

وقوله ص ٢١٩ س ٦

ولهذه النتيجة - فتح فلسطين لليهود - نتيجة أخرى ، هى أشد هولا وأشد افزاعا لمن يفكر فيها ويديرها هى الامتداد العسكرى والاقتصادى والثقافى الذى سيكون أثرا محتوما لاحتشاد القوى اليهودية المخيفة فى ساحة ضيقة مثل فلسطين . . . . . ومن المعلوم أن هذا الامتداد لن يكون إلا فى بلاد العرب (قلت ومصر والعراق والشام ولبنان حتى اليمن ) ومعنى هذا أن الآلة اليهودية لا محالة من أن تتحدى الآلة العربية وتضطدم بها ، ولا ندرى كيف تتكافأ الاكثان مع ما بينهما من الفروق العظيمة ، والقول بأن العزة للكثير قول كان يصدق أحيانا لما كانت الأمم والجماعات يتنازعون ويتقاتلون بالأفكف والحجارة والسهام والنبال . وأمثال ذلك ولا يمكنه لا يجب أن يصدق فى الزمان الذى يكون العلم فيه هو الفاصل والحكم والعدة .

وقوله ص ٢٢٠ س ٢٢

وأما فلسطين وسواها من البلاد العربية فهى عاجزة عن الامرين : عن تدمير اللصوص الواغلين أو إجلائهم وعن منافستهم تجاريا أو صناعيا أو زراعيا ، فما أطيبهم إذن مغنا وما أسعد من ظفروا بهم ودخلوا عليهم الأبواب ، ومن السهل عليك أن تبسط يدك آمننا مطمئنا فتجذب الطيور المسالمة الضعيفة من أوكارها

لتقدم لك على مائدتك طعاما شهيا سائغا - يريد أن هذا مثلنا مع اليهود -  
ولكن من الصعب عليك أن تفعل ذلك بعين الأسود معنى هذا أن بعض  
الشعوب فيها مناعة ذاتية تقيها الفناء والعدوان وبعضها ليست فيها هذه المناعة  
فهى محتاجة إلى حماية خارجية والا ذهبت في الهالكين واليهود يعلمون أننا  
فاقدون لهذه المناعة ولهذا فانهم لا يخشون وغولهم علينا ولا غزوهم إيانا . لن  
يهاجم اللصوص منزلك وأنت موجود فيه يقظان إلامتى وثقوا من ضعفك وهوانك  
ثم نصح ( ص ٢٢١ ) لفلسطين وغيرها من البلدان العربية لنجاتها  
من جميع الغزاة والدخلاء بتعلم كيفية إيجاد هذه المناعة الذاتية التى تكون فى  
استطاعتها تدمير الغازين ومنافستهم منافسة تمنعهم من أن يتلمسوا  
لأقدامهم يبننا موضعاً ثم قال

أما ما لم توجد فينا هذه المناعة فسنظل عرضة لضروب الغزوات وصنوف  
الغازين ولن يمنعنا من ذلك صراخ ولا احتجاج ولا شيء مما صنعه من هذا القبيل .  
ولم يشرح لنا تلك المناعة الذاتية هل يريد بها إصلاح خلقنا وديننا  
وبالتبع له دنيانا أو هو رفض ذلك كله والاستبدال به مادة طبيعية لا روح  
ولا خلق ولا دين فيها كما أعاده وكرره فى كتابه

وقال ص ٢١٩ س ١٤

وأما الاحتمال الآخر الذى يرضينا معشر العرب والذى نعمل له والذى هو  
أقصى أمانينا - أعنى إحصاء الأبواب كلها فى سبيل كل يهودى يريد دخول  
فلسطين - فهذا الاحتمال - على أنه أفضل احتمال - ليس فى استطاعته أن  
يؤد عنا الخطر الصهيونى الذى أنشأ أنيابه حقيقة فى جانب من جوانب هذا  
الوطن العربى وذلك أن اليهود حينئذ - وهم أهل الذكاء والحيلة والتصميم  
والتعصب القومى العجيب - سيجأون إلى وسائل كثيرة هينة عليهم وعلى من

هم مثلهم ثقافة وعلماء ونشطاء ومالاً وشأناً دولياً ملحوظاً . من هذه الوسائل تنظيم عمليات التهريب براً وبحراً وجواً والتحايل على الوصول إلى مازعموه وطنهم الذي لن تثنيهم عن دخوله قوة من القوى ومنها محاولة تكثير مواليدهم وتوالدهم بطرق فنية مبتكرة مفزعة . وهكذا حتى يصيروا عدداً جسيماً في هذه البلاد وحينئذ ينطلقون في سبيل تحقيق أغراضهم الكبرى التي أرصدوا لها أضخم الدهنيات العالمية يمدّها ذلك الخيال اليهودي الذي ألهبته عبر التاريخ الفاسية الطويلة ومعارف هذا العصر الفذ ، ثم تلك الشهية العتيدة التي شهر بالتمتع بها حفدة شيلوك وقارون إزاء المال والحياة وإزاء المنافسة في تحصيلهما ، وإذن فالخطر اليهودي قد صار حقيقة واقعة على كل الاحتمالات والحالات فلو ظفرنا بأجل ما يلعب بآمالنا - وهو وقف الهجرة الصهيونية نهائياً - لما كان في ذلك شيء من الضمان إلا عند من اعتادوا أن يناموا تحت مطارق الأقدار ، فكيف الخلاص إذن .

( ثم تسأل ) لماذا يحاول اليهود أن يتركوا أوروبا مهبط النشاط الانساني الرائع ومجلى العبقرية البشرية وأن يتخذوا كل صعب وذلول ليتجمعوا في هذا الوطن الشرقى العربى الذى يكاد يكون من الناحية الزراعيه والصناعية والعلمية فطرياً بدائياً والذي لا قيمة لموارده الطبيعية بالنسبة للبلاد التى يفرون منها . ثم نفى عنهم أن يكونوا قد خدعوا فاعتقدوا أن مجال العمل والنشاط والحياة فى فلسطين أعظم منه فى الأوطان التى تركوها كما أنه من غير الممكن أن يكون المبدأ الدينى قد خالط رءوسهم فاختاروا هذا المكان من الدنيا انقياداً لماطفة دينية وطاعة لنص وجدوه فى كتبهم المقدسة . كل هذا لا يمكن أن يكون - وإن جوزه على الجماهير المضللة ولكن الرءوس التى نظمت هذا الغزو وأوفت به على الغاية ليس من الممكن أن يكون قد ألم بها هذا الخيال أو الخيال فالأمر إذن غير ذلك فما هو ؟



ثم اقترض أن بريطانيا وأمريكا - أقوى قوتين تحكمان العالم اليوم - طلبتا إلى اليهود أن يختاروا لهم أغنى وأفضل منطقة في ألمانيا أو اليابان أو إيطاليا ليصيروها وطناً قومياً بقوة السلاح فهل من الممكن أن يرضى اليهود بهذا الوطن المفروض المعروض وأن يقدموا على تجربته؟  
أجاب بالنفي البات ثم سأل ولكن لماذا لا يفعلون  
ثم أجاب بقوله ص ٢٢٠ س ١٨

بالجواب عن هذا نعرف لماذا اختاروا بلداً عربياً وهان عليهم تحدى أهله وتحدى جيرانهم وإخوانهم انهم لا يقبلون مثل هذا الوطن لأنهم يعلمون أن أهله سيدمروهم في يوم من الأيام أو يجلوهم على الأقل لا محالة هذا من جهة ولأنهم يعلمون من جهة أخرى أن هذه الشعوب ليست هيئة المنافسة ولا سهلة القضم والبلع أما فلسطين وسواها من البلاد العربية فهي عاجزة عن الأمرين معا عن تدمير اللصوص والواغين وإجلائهم وعن منافستهم تجارياً وصناعياً وزراعياً فما أطيبتهم إذن مغنا وما أسعد ما ظفروا بهم ودخلوا عليهم الأبواب! من السهل عليك أن تبسط يدك آمننا مطمئناً فتجذب الطيور المسالمة الضعيفة من أوكارها لتقدم لك على مائدتك طعاماً شهياً سائغاً ولكن من الصعب عليك أن تفعل ذلك بعرين الأسد.

ثم حضنا على المناعة الذاتية ولم يبينها لنا بما عودنا من بيانه المسهب الطويل المكرر فلماذا؟ أجبنا وهو الشجاع المغوار الذي هاجم المسلمين في صميم دينهم أم ماذا وراء الأكمة؟ وليس في فم الكاتب ماء فلماذا لم ينطق. أظنبت في نقل ما وصف به الكاتب اليهود وما وصفنا والأمثلة التي ضربها لنا ولهم من الطيور الشهية المأكلة السائغة المضغ والبلع ومن خلونا من

علوم العصر وصفاته ومكره ودهائه وغناه وماله بجانب تفوق اليهود  
حفدة شيلوك وقارون في الذكاء والدهاء والشأن العالمى ليتفكر فى ذلك  
ساسة العرب وزعماءها وقوادها وحكامؤها إن كان للتفكير موضع من  
عنايتهم فى ذلك حتى يبرهنوا أنهم أهل للحياة فى العصر عصر العلم والآلة  
والصناعة وحتى يكونوا جزءا من قافلة الجماعة وركب الحياة وأتينا نهيىب  
بهم كما أهاب بهم الكاتب مع فارق جوهرى بيننا وبينه إذ هو يلغى  
الدين ونحن نعدده كما يعدده سائر العقلاء أساس النهضة وعمود الحياة التى لا  
تقوم إلا عليه ، الدين الذى يقوم على حياة الروح والجسد على المعنى والمادة  
على الخلق والخلق ، على الزهد والغنى ، على القناعة والسعى والكسب ، على  
الايان بقدر الله واختياره مع الأخذ بالأسباب ، على جريان الأسباب فى  
وديانها ما لم تر العناية الإلهية تحويلا لحكمة عالية قد نعلمها وقد لانعلمها .  
لقد كان من شهوة كثير من الناس انتصار المحور ، وتدمير الحلفاء تدميرا  
عسكريا - وإن كان رأسهم قد تدمر معنويا واقتصاديا - ولكن  
العناية الإلهية لها من الأغراض والحكم ما هو فوق هوى الكثير ( ولو  
اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ) ( وعسى أن تكرهوا  
شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم )

وختم الكاتب مقاله بقوله ص ٢٢٥ س ١٤

والذى نريد أن نقوله هنا هو أنه لا محابة ولا نسب بين الله وبين أحد من  
خلقه وقد وضع نوااميس وسننا وقوانين تحكم هذا العالم على وفق حكته العليا  
وعدله الشامل . فمن وفق لاستخدام هذه النوااميس والسنن والقوانين وسار  
معها بلا اصطدام ولا خروج فقد نال ما يبغي ومن عاند هذه النوااميس والقوانين

وحاول الخروج عنها فقد هلك ولا محالة ، ولن ينفعه أن يقول انه مسلم وأنه يصلى ويصوم ويكثر من ذكر الله بلسانه كما أن هذه الأقوال والدعاوى لن تجدى من ذهب يتجدى سنة الله ، فترك الطعام والشراب والمحافظة على الصحة والحياة زاعما أنه مسلم مؤمن وزاعما أن المسلم المؤمن معصوم محفوظ منظور من قبل العناية الالهية .

ونحن مع الكاتب نقول إن الأقوال بلا أعمال لا تفيد ولا تجدى ولا قيمة لها عند الله ولا عند خلقه ، ولكن نقول ان المسلم حقا الذى يعرف الاسلام من كتاب ربه وسنة نبيه وسيرة الراشدين من خلفائه وسيرة صاحب رسول الله ﷺ ورضى الله عنهم ومن تبعهم على أثرهم فى فهم الاسلام والعمل عليه والسير على ضراطه فهذا معصوم محفوظ منظور من قبل العناية الالهية ، لا تعارضه السنن والنواميس بل تخدمه بمعونة العناية الربانية وبالهداية الالهية وبالتوفيق السماوى ورحمة أرحم الراحمين والشواهد من الواقع والتاريخ أعظم البراهين .

فما غزا الرسول ﷺ غزوة ولا انتصر على عدو ولا فتح الصحابة شرق الأرض وغربها وصاروا سادة العالم ويدهم صولجان العز والسيادة إلا بالايمان الصحيح والاسلام الحق الذى كان نور هدايتهم وشمس سيرهم وبه تقدموا علما وعملا وسياسة وسيادة . ان خالد بن الوليد بطل الاسلام وسيف الله الذى لم يعمد فاتح العراقين وبطل الشام ما شرب السم سم الساعة الذى كان مع مفاوضه الفارسي فلم يضره إلا بقوة الايمان والاسلام . وذلك اليماني - وأظنه أبا خالد الالاني - الذى ألقى فى النار فلم تحرقه وفرح به عمر بن الخطاب حينما رآه وقال ما معناه : الحمد لله الذى أراني فى أمة محمد

من صارت عليه النار بردا وسلاما كبراهيم ما أطفئت عنه النار إلا بقوة  
الايان وصدق الاسلام . وهذا شيخ الاسلام ابن تيمية من أعرف الناس  
بالمعقول والمنقول ما تحدى شيخ الرفاعية في زمانه بدخول النار وإياه ليتبين  
الصادق من الكاذب في دعوى الولاية والكرامة إلا بالايان الحق  
والاسلام الصحيح .

وختاماً هل كان الكاتب جادا حينما مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب  
في كتابه بالنجاح ومعرفة الحياة ثم وصف أتباعه الذين نجح فيهم ص ١٤  
« بأنهم يعدون بين الشعوب نموذجاً رائعاً للهوان والضعف والجهل والمسكنة »  
وعنهم بقوله ص ٧٦ « وكلنا يعلم أن بلداً إسلامياً مستقلاً لا يزال اليوم  
يعيش على هامش الحياة وعلى الفطرة الأولى يعني أنهم بكونهم على هامش  
الحياة ليسوا فيها حقيقة بل هم إلى الموت أقرب من الحياة وكذلك مدح  
جلالة الملك ابن السعود - وهو أهل للمدح ثم قال ص ٧٨ بعد ما وصف  
بعض قادة الأمم وأن كثيراً منهم كانوا يعملون على أن يحولوا بين شعوبهم وبين  
العلم ويحرمونه عليهم لأنهم يخافون امتناعهم عليهم وعسر طاعتهم لهم إذا  
تعلموا، ثم قال : « وحتى في هذا العصر لا يزال يوجد فريق من هؤلاء  
القادة الذين يخشون العلم . ومما يؤلم أنه يوجد اليوم في إحدى البلاد العزيزة  
علينا من لا يكافئون المتعلمين إلا بالسجن والعذاب والمطاردة » فمن يعني  
الكاتب بهذا وهل يظن الناس لا يفهمون مغامره ولماذا هذا الإبهام  
والتستر بالغلائل التي لا تستر والرعي من وراء جدران الجبن؟

وقف القلم هنا ليعود في فرصة أخرى والحمد لله أولاً وآخراً